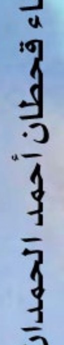


هيجاء قحطان أحمد الحمدان

الإسلام في شعر فيكتور هيجو



الإسلام في شعر
فيكتور هيجو

الإسلام في شعر
فيكتور هيجو

هيجاء قحطان احمد الحمداني

الطبعة الأولى 2013
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية 712/ 2 /2012
ISBN 978 – 9957 – 551- 12 - 4

دار الجنان للنشر والتوزيع
المركز الرئيسي (التوزيع - المكتبة)
00962796295457 – 00962795747460
هاتف 0096264659891 فاكس 0096264659892
ص. ب 927486 الرمز البريدي 11190 عمان
مكتب السودان ــ الخرطوم
00249918064984
dar_jenan@yahoo.com E-mail:

الإسلام في شعر
فيكتور هيجو

تأليف

هيجاء قحطان احمد الحمداني



تمهيد

لم تكن الدراسات عن الاسلام والتراث الاسلامي في اعمال الكتّاب والمفكرين الاجانب وليدة الصدفة في القرن التاسع عشر.لا بل ان هذه الدراسات تمتد منذ بزوغ الاسلام حتى يومنا هذا.

ان العصور الوسطى كانت مسرحاً للصراعات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعيةوالعسكرية بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، وقد انعكست هذه الصراعات في فكر وادب الكتّاب الغربيين المفتقرين روحياً، بينما كان الفكر الاسلامي يشع نوراً بفضل التفوق الاقتصادي والسياسي والثقافي والحضاري للدول الاسلامية. فوجد الغرب نفسه طوعاً او كرهاً يستلهم ويتعلم الثقافة العربية الاسلامية عن طريق ثلاثة منافذ هي : اسبانيا (الاندلس) والحروب الصليبية وصقلية[1]، سواء بالترجمة او الاتصال المباشر.

ان الوجود الاسلامي في اسبانيا الذي امتد الى اكثر من سبعمائة عام قد رسخ لوقت طويل تلك الوشائج بين اوربا والعالم الاسلامي. من جهة اخرى كان المسيحيون ينظرون بعين العطف الى (القدس) وهي تحت الحكم الاسلامي، وهذا مادفع الى الحروب الصليبية وامتدادها الى اكثر من قرنين. وقد انعكست تأثيرات هذه الحروب في الفكر والادب الاوربي ضد الاسلام ونبيه محمد (ص) بشكل خاص[2]. وفي الوقت ذاته، كان فردريك الثاني، ملك صقلية (1212 -1250) يهتم كثيراً بالثقافة الاسلامية. وقد ترجمت في عهده العديد من الكتب العربية الى اللغة اللاتينية ، فبدأ الاوربيون يدرسون اعمال العلماء العرب كأبن رشد وابن سينا وغيرهم[3]. ورغم الاهتمام الذي اولاه فردريك الثاني للثقافة الاسلامية الاّ ان

---

[1] عبد المطلب صالح. موضوعات عربية في ضوء الادب المقارن.بغداد ، دار الشؤون الثقافية 1987. ص5 -6.

انظر ايضاً: آثار العرب والاسلام في النهضة الاوربية. عدة باحثين. القاهرة ، دار الهيئة المصـــرية العامـــة 1970 ص162 - 175.

[2] المصدر السابق، ص6

[3] زغريد هانكة. شمس العرب تسطع على الغرب. الدار البيضاء ، دار الثقافة الجديدة 1991. ص448 -455.

صورة الاسلام التي تمخضت عن الحروب الصليبية بقيت مشوهة لعدة قرون في اذهانهم. ففي العصور الوسطى، اعتبر البعض منهم الاسلام ديناً وثنياً[4] او مذهباً انشق عن الدين المسيحي وتنكر له[5].

وقد شهد عصر النهضة اختلافاً في المواقف حيال الاسلام. ف(مونتيني) (Montaigne) مثلاً، بحث وحلل فكرة جنة الاسلام دون تعصب، بينما تبنى (بوسويه) (Bossuet) موقفاً مغايرا ومماثلاً للعصور الوسطى[6].

وفي القرن السابع عشر كتب (موريري) (Moreri) قاموسه التاريخي مكوناً صورة سيئة عن الاسلام[7]. وقد انتُقِدَ هذا القاموس من قبل (بيير بيل) (Pierre Byle) الذي وصفه بـــ المليء بالافتراءات[8].

لقد استمرت نبرة الكراهية ضد الاسلام حتى القرن الثامن عشر. ولم يُعتد به الا في نهاية عصر التنوير، عندما اعتُبر واحترم جنباً الى جنب مع المسيحية واليهودية. وشيئاً فشيئاً امست اراء الاوربيين تميل نحو الموضوعية حيال الاسلام.

اما في فرنسا، فهذا (فولتير) (Voltaire) يتراجع عن رأيه المضاد للاسلام في كتابه مقالة في الاخلاق[9]عام 1756، بعد ان كتب مسرحيته محمد

---

[4] جورج بونفيل. اسطورة القرون، قصائد منتخبة ومزودة بتحليل. باريس ، دار بـــورداس، 1966. (ملاحظـــة هامشـــية ص75). انظر ايضاً : عمر شخاشيرو. الشرق الادنى والاوسط في اعمال فيكتور هيجو. بـــاريس ، دار جـــوف وشـــركاءه 1950، ص7.

[5] مراد هوفمان. الاسلام كبديل، ترجمة غريب محمد غريب. الكويت. دار بافاريا 1993، ص10.

[6] عبدالمطلب صالح. المصدر السابق. ص10 -11. انظر ايضاً :

بول هازارد. ازمة الضمير الاوربي. باريس. دار بوافان 1935، ص212.

[7] عبدالمطلب صالح. المصدر السابق. ص13.

[8] بول هازارد. المصدر السابق . ص109. انظر ايضاً :

بول بيريه. القرون الوسطى الاوربية في اسطورة القرون ومصادر فيكتور هيجو. باريس، دار هنري بولان وشركاءه 1911، ص133 -134.

[9] انظر فولتير. مقالة في الاخلاق وروح الاسم. الفصل السادس والسابع.

عام 1741 عارضاً نبي الاسلام كجاهل متعصب؛ وفي الواقع لم يكن فولتير يهاجم الاسلام في حد ذاته في تلك المسرحية ، وانما كان يهاجم البابوية بإسم الاسلام كما يشير بعض الباحثين.[10]

ومن الجدير بالملاحظة، ان نابليون نفسه انتقد فولتير ودافع عن النبي محمد (ص) الذي *حطم الاصنام ودعى الى عبادة الله الواحد الاحد*[11].

في عام 1783 ترجم (سفاري) (Savary) القرآن الكريم مع مقدمة حول حياة النبي محمد (ص) لغرض تعريف الفرنسيين بالاسلام ، وليس لمهاجمته كما كان يفعل مترجمو العصور الوسطى. هذه الترجمة تتميز عن ترجمة (بوديه) (Bodier) عام 1627 المعادية للاسلام[12]، وعن ترجمة (دو ريير) (Du Ryer) عام 1647 التي لم تعط صورة واضحة عن الاسلام[13].

في عام 1784 اسس (وليم جونز) (William Joens) وزملاؤه في كلكتا اول جمعية آسيوية في البنغال[14]. وكان هدفه البحث عن تاريخ العرب، دياناتهم، ميولهم، قوانينهم، ... الخ[15].

وفي عام 1790 كتب (بيرناردان دو سانت بيير) (Bernardin de Saint-Pierre) حكاية قصيرة حول الاديان (ومن ضمنها الاسلام) بتسامح كما في حكاية المقهى[16].

وفي عام 1795 تم تأسيس مدرسة اللغات الشرقية في باريس ، وقد تولى (سلفستر دو ساسي) (Silvestre de Sacy) رئاسة القسم العربي فيها.[17]

---

[10] عبد المطلب صالح. المصدر السابق. ص22 -23

[11] عبدالمطلب صالح. مباحث في الادب المقارن. بغداد، دار الشؤون الثقافية 1987، ص86.

[12] عبد المطلب صالح. موضوعات عربية. المصدر السابق، ص13 -27.

[13] عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص17.

[14] ريموند شواب. النهضة الشرقية. باريس ، دار بايو 1950، ص16.

[15] نجيب العقيقي. المستشرقون، الجزء الاول. القاهرة ، دار المعارف 1964، ص160 -161.

[16] عبدالمطلب صالح. موضوعات عربية.... المصدر السابق، ص21.

[17] ريموند شواب. المصدر السابق،ص71.

ومن الاسباب التي دفعت للاهتمام بهذه النهضة الشرقية ودراسة الاسلام بشكل، خاص هو الصراع بين مناصري الكاثوليكية والبروتستانتية حول الموقف من الاسلام، فبينما كان الاول معادياً له تبنى الثاني موقفاً معارضاً.[18]

بعد ذلك جاءت الثورة الفرنسية التي شبهها (ميشيليه) Michelet بـــ *يوم القيامة*[19]، وهو يعني العصر الذي ليس فيه سلطة سوى سلطة الله[20]. لقد رفعت الثورة الفرنسية شعارات الحرية، المساواة والاخاء في كل مجالات الحياة ، وبضمنها الحضارات والاديان والشعوب، هذا الشعار كثف الاهتمام للتقرب الى الاسلام.

الى جنب الثورة الفرنسية، اثارت الرومانسية الذوق الادبي للتغرب[21]، وهكذا رحل الكثير من الادباء الفرنسيين الى الشرق المسلم، *لم يعد الهدف من ذلك البحث عن صور خلابة، فعلى الاقل صار الهدف المقارنة بين الاخلاق، المبادئ، الفلسفات، الاديان، الوصول الى معنى السببية، التعارض، الشك*[22].

ان كتاباً مثل (لامرتين)، (جيرار دو نيرفال)، (الفريد دو فيني)، ادرجوا الاسلام بشكل موضوعي في كتاباتهم.[23]

ومما فتح عيون الاوربيين الى الاسلام هو الاستشراق الذي انتشر بشكل واسع في القرن التاسع عشر. بالاضافة الى ذلك تسابق الجمعيات الاسيوية الى تعريف الاوربيين بتراث الشرق والاسلام[24].حتى ان تسمية الادب المقارن لم

---

[18] عمر شخاشيرو. المصدر السابق، ص**20**. انظر ايضاً :

عبدالمطلب صالح. موضوعات عربية...، المصدر السابق، ص**18**.

[19]ميشيليه. تاريخ الثورة الفرنسية. باريس ، دار كاليمار باريس **1952**، ص**21**.

[20] محمد غنيمي هلال. الرومانسية. القاهرة ، دار الثقافة (بدون تاريخ)، ص**143**.

[21] انظر بيير جوردا. التغرب بالادب منذ شاتو بريان، الجزء الثاني. باريس ، دار بريس اونيفيرستير دو فرانس، **1954**.

[22] بول هازارد. المصدر السابق، ص**28**.

[23] انظر عبدالمطلب صالح. دراسات ادبية مقارنة. بغداد ، دار الشؤون الثقافية **1994**.

[24] انظر نجيب العقيقي. المصدر السابق، لتجد قائمة بالمجلات التي صدرت عن هذه المجتمعات.

تستعمل في فرنسا الا في عام 1827 عندما استخدمها (فيومان) (Villemen)في محاضرته القيمة في السوربون.[25]

بالرغم من ان فيكتو هيجو لم يزر الشرق مطلقاً الا انه كان على علم بالمواضيع التي يعالجها اقرانه كما سبق. فقد قرأ كثيراً عن الشرق عند سابقيه مثل شاتو بريان* ، وكوته، وقام ايضاً بقراءة عن قصائد فارسية مترجمة مثل قصائد حافظ شيرازي وكلستان[26]، واعتمد على مستشرقين مثل فونيه (Fouinet) وبواتيه (Pauthier).**

وفي الوقت الذي استخدم فيه اغلب الكتاب النثر للتعبير عن آرائهم حول الاسلام، اختار هيجو الشعر، لان الشعر بالنسبة له هو *التعبير عن الفضيلة*[27] تحت كل الاشكال وفي كل الاديان.

اما عن موضوع بحثنا حول الكاتب الفرنسي فيكتور هيجو (1802-1885) فان هناك عدة اسئلة تثار حول مدى تأثره او عدم تأثره بالاسلام ، ومواقفه العملية منه. ومن هذه الاسئلة :

متى عرف هيجو الاسلام؟ وماهي وجهة نظره حيال ذلك؟ وهل تغيرت على امتداد حياته؟ سنحاول جهدنا للاجابة على هذه الاسئلة في هذه الرسالة...

---

[25] بول فان تيكم. الادب المقارن. باريس ، مكتبة آرموند كولان **1951**، ص**19**.

* مثل عبقرية المسيحية **1802**، الشهداء**1809**.

** مثل الديوان الغربي والشرقي **1819**.

[26] روحي الخالدي. علم الادب عند الافرنج والعرب وفيكتور هيجو. عمّان ، دار الكرمل للنشر والتوزيع **1925**، ص**94**.

[27] نقلاً عن لويس اراكون. هيجو شاعراً واقعياً. باريس ، دار سوسيال **1952**، ص**12**.

المقدمة

نظرا لعدم وجود احصائية دقيقة عن كل الدراسات التي كتبت عن فيكتو هيجو، وجدنا انه لغاية عام 1970 تم تأليف 271 كتاباً وبحثاً واطروحتاً حول الشاعر كأنسان وفنان ومفكر[28] ، وبالتأكيد صدرت بعد ذلك دراسات اخرى كثيرة عنه[29]. ومن بين كل هذه الدراسات لم يدرج الاسلام بشكل خاص ولم يبحث في كتابات الشاعر، بينما نجد دراسات اخرى حول المسيحية وحول التوراة عند هيجو[30]. وهذا بالضبط مادعانا الى ادراجه ضمن دراستنا، هذا من جهة، ومن جهة اخرى الا يمكن للتفكير الهيجوي الذي كان دائماً محل جدل ان يدرس من زاوية اسلامية، اسوة بما هو مدروس من زوايا اخرى؟ خصوصاً اذا علمنا ان لدى الشاعر افكاراً انسانية مستمرة حول الخير والشر. كل هذا دعانا الى تبني مشروع دراسة الاسلام في شعره. هذه الدراسة لاتحتوي فقط على تحليل القصائد التي كتبت عن الاسلام، وانما ايضاً التفكير الهيجوي من وجهة نظر اسلامية، على امل اعطاء جواب معين عن كل الاسئلة المحيرة حول التفكير الديني للشاعر. ولكن قبل هذا وذاك التوصل الى نتائج حول موقفه الحقيقي من الاسلام.

دراستنا اذن ترتكز حول الاسلام بما تعنيه المفردة ، وقد تجنبنا وضع مفردة "الشرق" مكانها، لانه في هذه الحالة يتوجب علينا القيام بدراسة مستقلة ، في حين ان الاسلام جزء من الشرق.

وقد اخترنا في حقل دراستنا كل المؤلفات الشعرية لهيجو لان المسألة تتعلق بتفكير يمكن تشبيهه بالنهر، على الباحث فيه ان يتبعه خطوة بخطوة لكي

---

[28] انظر كلود جيلي. هيجو وثروته الادبية". المصدر السابق ص166 -180.

[29] انظر على سبيل المثال دراسة عبد المطلب صالح . موضوعات عربية في ضوء الادب المقارن. المصدر السابق.

[30] انظر دونالد بوشتانان. الاحاسيس الدينية لفيكتور هيجو، من (1825 -1848)". بيزانسون ، دار امبرمري دو ليست 1939؛

كلوديوس كريبه. التوراة عند فيكتور هيجو. ليون ، دار فيت 1910. نقلاً عن كلود جيلي، المصدر السابق، ص177.

يفهم بشكل جيد التطور الذي حصل والطرق التي اتبعها على طول المسافة التـــي يسير عليها.

لقد قمنا بتنظيم وتقسيم انتاج الشاعر على خمسة فصول متتبعين بذلك التطور التاريخي لحياة الشاعر بكل ما تحتويه من تطورات وتقلبات سياسية واجتماعية وثقافية اثرت في فكره وسلوكه.

فالفصل الاول (1802 -1822) الذي يتضمن اشعار الطفولـــة والمراهقـــة تحتوي على كل المراحل التي بني عليها تفكير الشاعر ، وتلك التي فتحـــت لـــه الباب للاسلام. والفصل الثاني (1822 -1830) اقتصر بشكل رئيس على دراســـة ديوان "الشرقيات" الذي عكس نظرة غير عادلة للاســـلام دون دراســـة جديـــة او تدقيق من قبل مؤلفه. والفصل الثالث (1830 -1851) سلط الضوء حول مراحـــل شك الشاعر وتفكيره في مختلف المسائل الدينية، انتهاءً بإنشغاله الجدي بالاسلام. والفصل الرابع (1851 -1870) يظهر الشاعر في المنفى كمفكر وفيلسوف. وفي هذه الفترة كتب هيجو عن الانسانية بشكل عام ، ولم يستبعد منها الاسلام.

اما في الفصل الخامس والاخير (1870 -1885) سنحاول جاهدين تسليط الضوء على تفكير هيجو حول كل الاديان ، ومن ضمنها الاسلام، وفي هذا الفصل سنناقش محورين: الاول حول الصورة الشاملة للاسلام عنـــد هيجـــو، والمحـــور الثاني حول التفكير الهيجوي الديني على وفق منظور اسلامي.

وفي جميع الفصول قمنا بنوع من المقارنـــة بـــين الافكـــار الاســـلامية، وبالاخص من القرآن الكريم، وافكار الشاعر الدينية البحتة.

لقد اعتمدنا على ترجمة (سفاري) للقرآن الكريم عندما قمنا بالتقريب بين افكار الكاتب الدينية والايات القرآنية. وقد سمحنا لانفسنا بتصحيح الترجمة عندما كنا نجدها تبتعد عن المعنى الصحيح لها ، وعندما يقترب معنى الاية قليلاً من فكر الشاعر كنا نشير الى ذلك في الهامش فقط. والا فإنا نذكرها كاملة وبالنص.

ومن اجل دراسة الموضوع بشكل جيد تتبعنا في دراستنا الطريقة التحليلية المبنية على النقد الادبي التقليدي.

وفي الحقيقة فإن هذه الدراسة لم تكن بالسهولة التي يشير اليها عنوانها، فقد واجهتنا عدة مشاكل وصعوبات، بداية ندرة المصادر والوثائق الضرورية القادرة على اغناء البحث، مروراً بمشكلة تاريخ القصائد التي الذي لم يكن مثبتا دائما. فدواوين مثل "كل القيثارة" التي نشرت عام 1888 و 1893 و "السنين المشؤومة" عام 1898 تحتوي على تواريخ يعود بعضها الى عام 1827. وهذا مادفعنا الى تجميع القصائد كلها واعادة كل قصيدة الى الفصل الخاص بها ، من اجل ترتيب افكار الشاعر وتتبع تطورها على امتداد حياته. وبهذا الخصوص يقول الباحث جون كالفيه (Jean Calvier) معلقاً: "*جميع التواريخ مخطوءة تقريباً حسبما استطعنا ان نلحظ ذلك بعودتنا الى المخطوطات التي تحمل التاريخ الحقيقي*"[31]، من اجل ذلك وجدنا انه من الضروري الاعتماد على عدة نشرات لمؤلفات شعره للتحقق من التواريخ الحقيقية للقصائد، واخيراً والاهم من كل هذا بالنسبة الى دراسة كهذه، رغم كونها ادبية، الا انها ذات طبيعة متعلقة بمجالات العلوم الانسانية الاخرى وبشكل خاص التاريخ والدين (اللاهوت والفكر) واحياناً الفنون، فضلاً عن علاقتها ببعض المسائل الاجتماعية الاخرى ، وكان هذا الامر يدفع بالعمل دائماً لان يأخذ ابعاداً جديدة ، وبالنتيجة يتطلب جهوداً اضافية من اجل التعرف على الموضوع وفهمه بشكل جيد ومن كل جوانبه.

من جهة اخرى، فأن طبيعة دراستنا المرتبطة بشكل رئيس بالاسلام تطلبت منا ان نكون على علم واف بالفكر الاسلامي ، وفهمه بشكل صحيح من اجل دراسته بشكل موضوعي وعلمي عند الشاعر.

وقد وافتني فرصة ثمينة لزيارة فرنسا عام 1998 كوني الطالبات احدى المتفوقات في الدراسة التحضيرية للماجستير، من اجل ترصين لغتي الفرنسية

---

[31] جون كالفيه. شعراء القرن التاسع عشر . باريس ، دار ج دو جيغورد **1933** . ص **309** .

ولمدة شهر، ولكنني كنت اقتنص الوقت من اجل البحـــث عـــن مصـــادر جديـــدة لدراستي . وقد استطعت الى ذلك سبيلا والحمد لله، فقد اصطحبت معي عشرة من الكتب التي لايمكن الحصول عليها في بغداد ، بل اني زرت موقع البيت الذي ولـــد فيه الشاعر، وشاهدت القطعة التي كتب عليها اسمه في اعلى الشقة فـــي مدينـــة بيزانسون .

نأمل ان تحقق هذه الدراسة وجهة نظر مضـــمونها وان تكـــون النتـــائج موضوعية وعادلة بالنسبة الى شاعر كبير مثل فيكتور هيجو.

<u>الفصل الأول</u>

المراحل التحضيرية

للتفكير الديني واستلهام الإسلام

(1802 -1822)

من اجل دراسة الاراء الدينية لفيكتور هيجو ، وحضور الاسلام في كتاباته الشعرية، يتوجب علينا قبل كل شيء فهم تفكيره الديني الغامض والغير واضح حتى ان "*كل جهد بذل لتتبع تطوره المنطقي كان مصيره الفشل مقدماً*" كما يرى الباحث بوشانان[32]. مع ذلك فاننا نعتقد انه من اجل البحث في هذا الموضوع سيكون من المناسب البحث عن العوامل التي ادت الى تبني الشاعر هيجو وجهة نظره الخاصة حيال الدين، وخصوصاً في العقدين الاولين من عمره، (1802 - 1822) اي حتى اللحظة التي بدأ فيها الشاعر بنشر اشعاره الاولى. هذه العوامل هي: <u>طفولة بدون دين</u>، <u>الرحلة الى اسبانيا</u>، <u>التوراة</u>، <u>تأثير روسو</u>، واخيراً <u>عدة حوادث ساهمت في توجيه تفكيره الديني</u>.

<u>طفولة بلا دين :</u>

يتحتم علينا التأكيد على ان فيكتور هيجو لم يخضع لأي تأثير ديني لامن والده ولا من والدته : فوالدته المتأثرة بالمدرسة الفولتيرية والتي تربت في مؤسسة علمانية، كانت تفتقر بالتالي الى كل احساس ديني، ووالده كان رجلاً ثورياً ومشغولاً بوظيفته العسكرية التي كانت ترقيه من درجة الى اخرى. لذا كان اهتمام الابوين قليلا جداً بالدين ، وبالتالي فقد اهملا تعليم اولادهما مبادئ المسيحية. لقد تزوج الابوان مدنياً حسب مايرويه لنا فيكتور هيجو نفسه: "لم تكن الزوجة تهتم كثيراً بمباركة الراهب ، والزوج لم يكن يهتم بالامر اصلاً."[33]

---

[32] دونالد بوشانان. المصدر السابق. ص6.

[33]نفس المصدر. ص7.

منذ طفولته، شهد فيكتور هيجو سوء تفاهم ابويه وانفصالهما، وقد حــرم هذا الانفصال الصغير هيجو من حنان كان يحتاجه وشعور بامان دائم، كان تــارة عند امه وتارة عند ابيه. لم يكن فيكتور هيجو معمداً، فكل جهد بذل من اجل ايجاد وثيقة التعميد كان ينتهي بالفشل، وهذا يبرهن عــدم اكتــراث الابــوين لتعــاليم المسيحية. وقد اخذت الام على عاتقها مهمة تربية اطفالها، حيث كانت تهتم بشكل كامل تقريباً بترتيب تفاصيل تربية ابنائها، حتى بعد الانفصال الكامل عن زوجهــا عام 1818. اذن ففيكتور هيجو، لوجوده الدائم معها لم يخضع سوى لتأثير تلــك التي "افسدت تقريباً كل احساس ديني كان يمكن ان يمتلكه"[34]، بالمقابــل فــالاب هيجو، لخوفه من تأثير الام ولقلقه حول دراسة اطفاله، قرر عــام 1811 وعــام 1814 ان يضع الطفل فيكتور مع اخيه اوجين في مدرسة داخلية. وعلى العكس، فالام المتشبعة بأفكار القرن الثامن عشر تركت لهم حريــة اكثــر فــي الدراســة والتفكير. وقد دون لنا هيجو فيما بعد هذه الشهادة: "السيدة هيجو... كانــت مــن انصار الملكية، عكس زوجها ، ولكنها دائماً ايضاً من انصار الفولتيريــة عكــس والدها. لقد كان لديها اعتقادها الخاص بها ، والتي كونت نصفه من الدين ونصفه الاخر من الفلسفة. وكانت ترغب ان يكون لاولادها ايضاً ديــنهم الخــاص بهــم حسبما تكونها لهم تجارب الحياة والتفكير. كانت تفضل اقترابهم الى الضمير اكثر من تعاليم المسيحية"[35]. ومثلما هيأت الام صوفي تريبوشي الارضــية لاولادهــا، تابع فيكتور هيجو بتبني تفكيره الخاص. ويروي لنا هيجو ذكرياته ، عندما تكلــم (دون بازيل)* الى السيدة هيجو حول جعل اولادها يتناولون القداس. لقد رفضته بقوة ، ولكن عندما اخبرها بأن هذا قانون لجميع التلاميذ الكاثوليك، اعلنت السيدة هيجو بأن اطفالها بروتستانت ، وذلك لتقطع كل نقاش في هذا الموضوع من جهة

---

[34] بوشنان . المصدر السابق. ص 8

[35] المصدر نفسه.

* راهب كان يدير مدرسة النبلاء عام 1811

ولكي تمنع عن اطفالها صعوبة اداء الواجبات الدينية الكاثوليكية. مع ذلــك كــان فيكتور واوجين يتصرفان كباقي التلاميذ، كانا يستمعان الى القداس ولكنهمــا لــم يكونا يستجيبان للصلوات، ولايذهبان الى الاعتراف ولا يتناولان القربــان. ومنــذ عودتهما الى فيونتين في ربيع 1812 تابع اوجين وفيكتور تربية توفر لهما حرية اكبر عندما كانت قراءاتهما متعددة عند الرجل الطيب رويال ، وذلك بعد ان انذروا في وقت ما من دخول مدرسة نابليون. ويروي لنا فيكتور هيجــو قــائلاً: "كنــت استغرق وقتاً طويلاً في المكتبة، لقد قضيت طفولتي وانا منكب علــى الكتــب"[36]؛ كان الاولاد يقرأون كل ماتقع عليه ايديهم. وعندما كان يثيرهم كتاب مــا كــانوا يقضون احياناً ساعات كاملة منشغلين به. وهكذا فقد اكتشفوا التوراة، وكتّاباً مثل روسو، فولتير، وديدرو. وبما انه كان يحلم بالمسرح منذ طفولته كما يشير الــى ذلك (فلوت)، فقد قرأ مسرحية "محمد" لفولتير[37]. ومن الممكن اما ان تكون هــذه اول مرة يعرف منها هيجو نبي الاسلام ، ولكنها لم تكن دون شك اولى قراءاتــه عن الاسلام ، لان تلك المسرحية تشوه صورة نبي الاسلام ، بيد ان الشاعر كتب في عمر السادسة عشر قصيدة وصف فيها النبي محمــد (ص) بــالنبي "المــريح الهادئ":

"فأعلم اذاً (التعلم هو طراز الحياة الجديدة،
خصوصاً ياسيدي عندما نتكلم بعقلانية)
بأن محمد، هذا النبي المريح الهادئ،
عاش بعد جوبتير الملحد.
ستعلم عندئذٍ بأنك لاتعرف شيئاً"[38]

سبتمبر 1818

---

[36] نقلاً عن بيير كامارا. الحياة المترفة لفيكتور هيجو. باريس ، دار تومز اكتويل **1985**. ص**35**

[37] بيير فلوت. يقضة فيكتور هيجو، **1802 -1822**. باريس ، دار كاليمار، **1957**. ص**161**.

[38] فيكتور هيجو. الاعمال الشعرية، الجزء **1**، قبل المنفى **(1802 -1851)**. باريس ، مكتبة البلياد، دار ماليمار، **1964**. ص**156**.

وفيما بعد، اي بعد مسرحية فولتير هذه ، اشاد فولتير وديدرو بالاسلام في كتاباتهم[39].

ولانسى بأن فولتير كان يدعو الى الوحدانية* والـــذي ســـيكون لهيجـــو اساس تفكيره، وهذا ما سيقرب هيجو من افكار الاسلام.

في عام 1816، استيقظت عبقرية الشاعر عندما دوَّن في دفاتره "اريد ان اكون شاتو بريان او لا أكون". فقد قرأ بأعجاب "عبقرية المسيحية"، ومن الواضح ان هذه القراءة ولدَّت تأثيراً لديه ؛ فقد تكلم شاتو بريان في هذا الكتاب عن الدين بأبيات شعرية اثارت اعجاب الشعراء كثيراً ، واقنعتهم بأهمية الديانة الكاثوليكية في حياة الشعراء ؛ وقد اكد شاتو بريان ايضاً على روح المسيحي الذي يســـتطيع تحمل كل شيء لسبب بسيط هو ايمانه ، وشيئاً فشيئاً تقبل فيكتـــور هيجـــو هـــذا الايمان " *الذي كان يمتزج مع عمران الكاتدرائيات والصـــور العظيمـــة للتـــوراة، وانتقل من الملكية الفولتيرية لوالدته الى الملكية المسيحية لشاتوبريان*"[40].

ان ما يمكننا التأكد في هذا العمر الصغير لهيجو هو ايمانه المطلق بوجود الله. فها هو في عام 1817 يدحض مزاعم احد الملحدين بقوله:

"ايها الفيلسوف التافه ! كفرك الغبي
ايمكنه زعزعة ايماننا؟
بإشارتك لنا عن نظامك السخيف
اتظن ان تؤثر علينا فلا نؤمن الا بك"[41]

---

[39] "بالنسبة لفولتير فالاسلام صار مقابل المسيحية ، الديانة الاكثر سماحة بامتياز. اما ديدرو فقد درس عن النبي محمـــد (ص) كمشرع بارع للقوانين ورسول الفضيلة". انظر عمر شخاشيرو، المصدر السابق، ص21.

* الموحد بالنسبة لفولتير هو الذي يؤمن بوجود اله واحد عظيم قادر، الذي خلق الخليقة، يعاقب المذنب دون قسوة، يجازي الصالح ، ... ولكن فولتير لم يكن يريد اعتناق اي دين. انظر محمد غنيمي هلال، المصدر السابق، ص150.

[40] نقلاً عن بوشانان. المصدر السابق. ص10

[41] فيكتو هيجو. الاعمال الشعرية، الجزء 1 قبل المنفى. المصدر السابق. ص92.

بامكاننا الاستنتاج ان غياب كل تربية دينية اثناء طفولته قد سمح لهيجو بأن يقرأ كل شيء دون تعصب لاي جهة ، ولا حتى لأية عقيدة. وبالتالي فهذه القراءة المكثفة وهبته الفرصة للتعرف على الفلسفات وعلى المعتقدات والاديان، وبضمنها الاسلام.

الرحلة الى اسبانيا :

سافر فيكتور هيجو الى مدريد عام 1811 وذلك بعدما ازدهر نشاط والده الجنرال ليوبولد هيجو في اسبانيا خلال التحاقه بالملك جوزيف.

وبالرغم من ان فيكتور هيجو لم يكن قد بلغ سوى تسعة اعوام الا ان كل صور اسبانيا انطبعت في ذاكرته. السؤال الذي يفرض نفسه الان هو: ماهي العلاقة بين الاسلام واسبانيا؟

فخلال سيطرتهم الطويلة على اسبانيا، ترك العرب تراثاً حضارياً غنياً لازالت اثاره شاخصة في كل مكان فيها،سيما في كتب العلوم والمعرفة، العمران الاسلامي، المساجد، اضافة الى التأثير الروحي الذي احدثه العرب على سكان اسبانيا. وفي مقدمة "الشرقيات" ينقل لنا فيكتور هيجو احدى هذه الصور المتنوعة بقوله: "... آيات القرآن فوق كل باب"[42].

من جهة اخرى لم يتوان هيجو على التأكيد مراراً ان "اسبانيا هي ايضاً من الشرق"[43].

ان اسبانيا في عيني هيجو كما في عيون الرومانسيين، هي بلد مختلف عن باقي دول اوربا ويقترب كثيراً من بلدان الشرق، لقد رأى الشاعر فيه وطن النخبة والفن العربي الاسلامي، خاصة العمران الاسلامي. فلكونه لم يزل طفلاً آنذاك لم يكتشف الصغير فيكتور من الشرق سوى الاشياء المرئية وليس المقروءة. في

---

[42] مقدمة النشرة الاصلية، يناير **1829**.

[43] نفس المصدر.

قصيدة "*غرناطة*" مثلاً اعجب هيجــو بالمســاجد، بالمنــارات، "*القبــب الذهبيــة والفضية*"[44] المختلفة عن الكاتدرائيات والكنائس وخاصة في (الحمــراء) ، حيــث نجد انها حفرت في اطار النوافذ وفــوق الجــدران شــعارات وقصــائد عربيــة واسلامية.[45]

ومنذ اقامته في اسبانيا من 1811 الى 1812 لاحظ هيجو من موقعه تلك الوشائج بين اسبانيا والشرق المسلم حيث تنطق آثارها في كل مكان. كان ديوان "الشرقيات" ثمرة هذه الملاحظة الشخصية.

التوراة:

تحتل التوراة مكانة معتبرة في اعمال فيكتور هيجــو. فتأثيرهــا ســوف يستمر كما سنرى حتى نهاية حياته.

ومن المهم جداً ان نعرف هذا التأثير على هيجــو، لان مضــمون العهــد القديم يشبه في عدة نقاط مضمون القرآن الكريم، لان المصدر هو واحد ، وهــو (الله تعالى). وهذا ما سيسهل قــراءة القــرآن بالنســبة لهيجــو عنــدما يــنظم "الشرقيات". بالاضافة الى ذلك "فالتوراة مصدر كبير للافكــار الدينيــة فــي الادب المقارن"[46].

منذ طفولته، كان هيجو قارئاً نهماً للتوراة. ولم تبرح تترك بصماته فــي اعماله الاولى.

كان ذلك في عام 1810، في ايام الفيونتين عندما عرف هيجــو التــوراة لاول مرة ، وهو لم يزل صغيراً. فكان الانبهار امام هذا الكتاب المقدس، فلنستمع اليه يعترف لنا بهذا الاستشهاد المؤثر:

---

[44] الشرقيات. القصيدة **31** .

[45] انظر محمد عبدالله عنان. الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغــال ، ط **2**. القــاهرة ، مؤسســة الخــانجي **1961**، ص**184** -**214**.

[46] ب. برونيل، كلود بيشوا ، أ.م. روسو. ما يعني الادي المقارن. باريس ، دار ارموند كولند **1983**. ص**89**.

"كنا نصعد الى عليّة الدير كي نلعب.
وهناك، واثناء لعبنا كنا ننظر غالباً
فوق اعلى الدولاب الى كتاب صعب المنال.
وذات يوم تسلقنا حتى وصلنا الى هذا الكتاب
الاسود، ولا اذكر ماذا فعلنا من اجل امتلاكه،
ولكني اتذكر جيداً بأنه كان التوراة."[47]

وبأكتشافه هذا الكنز، وبدل لهوه كأقرانه، امسك الصغير هيجو هذا الكتاب باعجاب حتى قبل فتحه، فهو يبوح لنا اية فرحة غمرت قلبه وهو يقرأ للمرة الاولى الشخصيات الدينية في كتاب يُعرِّفه بتاريخ العالم منذ عهد آدم عليه السلام حتى آخر ملوك بني اسرائيل. اذن فمنذ نعومة اضفاره كان هيجو يقرأ هذا الكتاب دون كلل او ملل حتى النهاية ، كان يبدي حماساً بالغاً لقراءة الكتب السماوية:

"كان هذا الكتاب القديم يبعث رائحة
الغبار.
ذهبنا سعداء للجلوس في زاوية.
نفحات في كل مكان! ياللسعادة!
ياللنشوة!

ثم فتحناه، كان كبيراً جداً فوق رُكَبِنا،
ومنذ الكلمة الاولى بدا لنا رقيقاً جداً
بحيث بدأنا بالقراءة ناسين اللعب

47 التأملات، الفصل الخامس، قصيدة **10.**

قرأنا نحن الثلاثة هكذا، طوال الصباح
عن جوزيــف، روث وبــوز، الســامري
البسيط ولكوننا دائماً مسحورين به، كنــا
في المساء نعيد قراءته."[48]

كان يبدي احتراماً عميقاً لهذا الكتاب حتــى انــه أقتــرح علــى اطفالــه قراءته[49].انها {"الصور العظيمة للتوراة" التي اغرت المراهق (هيجــو) لقــراءة "عبقرية المسيحية"}[50]، وفي الوقت ذاته تغذي خياله الشعري . وسيســتلهم مــن التوراة قصيدة "نار من السماء"[51]، او العارض المنتقم، الذي يعبر عن غضب الله تعالى نازلاً على العالم. وتوجب عليه ان ينظم قصيدة طويلة بعنــوان "الطوفــان" المستوحاة من رؤية توراتية.

في بداية المنفى سيظهر الاستلهام التوراتي اهمية خاصــة فــي حياتــه: سيجد الشاعر فيه بواعث للامل ، ونبرات للانتقام. ومن النادر ان لانجــد، بعــد المنفى، قصيدة دون ذكر او تلميح للعهد القديم.

ان التشابه الواضح في القصص الدينية والحقائق التاريخية المذكورة في الكتابين المقدسين: التوراة والقرآن الكريم، يساعدنا على التعرف بشــكل افضــل على مصادر الشاعر، وموقفه ازاء المواضيع الدينية. وسيفيدنا في اقامة مقارنة بين المصدرين.

---

[48] نفس المصدر

[49] انظر الاصوات الداخلية، قصيدة **(22).**

[50] كلود جيلي. فيكتور هيجو، شاعر الالفة. باريس ، دار نيزة **1969**. ص**71.**

[51] الشرقيات، قصيدة **(1).**

<u>تأثير روسو :</u>

كان هيجو خلال طفولته كان هيجو قد قرأ كثيراً عن فولتير وديدرو وروسو، ونحن نركز هنا على روسو لاننا نعلم المكانة التي يحتلها (مبدأ الطبيعة) عند الشعراء الرومانسيين. ومن المهم هنا ان نعرف تأثير روسو على شاعرنا والعلاقة بين هذا التأثير ودين الاسلام.

كان روسو يدعو الى الديانة الطبيعية، وتوصل الى نتائج بارعة حول الدين من خلال الطبيعة: وجود الله، الاخرة، العناية الالهية.[52]

ان هذا يعني ان "الطبيعة اصبحت وسيلة للغريزة الاخلاقية، قادرة على ان تصبح لوحدها ديانة كاملة"[53]. ان كتّاباً مثل روسو أرتقوا الى فكرة الله من خلال حبهم للطبيعة، ان طريقة التفكير هذه ستساعدنا على استيعاب افضل لتفكير الشاعر.

ولد حب الطبيعة عند هيجو منذ طفولته في ايام الفيونتين، الحديقة الرائعة والعصافير والازهار والحشرات التي تمثل جمال الكون، كلها علمت هيجو الاصغاء الى "الترانيم الكونية وانشودة الخليقة"[54] مرتقياً بذلك الى الاله العظيم الحاضر في كل مكان.

لقد فتحت "<u>هواجس</u>" روسو الطريق الى "<u>تأملات</u>" هيجو المليئة بالمناظر المهدئة امام شرور العالم.

تمثل الطبيعة بالنسبة لهيجو وسيلة لامتصاص الهموم والاحزان، ففي لحظات الحزن كان يهرب الى الطبيعة المطمئنة التي ترتاح لها النفس البشرية ليبدد الكآبة التي تخنقه، هذا يجعلنا نتذكر موت ابنته ليوبولدين. عندما كان الاب

---

[52] اندري كريسون. روسو : حياته، فلسفته، منتخبات ، ترجمة نبيه صقر، ط 3. بيروت ، دار عويدات 1982، ص51 - 103.

[53] بول هازارد. المصدر السابق. ص2

[54] كلود جيلي. فيكتور هيجو، شاعر الالفة. المصدر السابق. ص121.

يتأمل الطبيعة ليعزي ذاته، فهو يعرف مسبقاً ان الطبيعة كما يــذكر ذلــك الناقــد روبرت بويل **Robert Boyel** "تطفئ الشرور"[55]:

"الان وبما اني، من الحداد الذي اظلم روحي
اخرج شاحباً ومنتظراً،
واني اشعر بهدوء الطبيعة العظيمة
الذي يدخل قلبي؛..."[56]

بالاضافة الى ان "الطبيعة مُهذِّبة، فهي تزرع عنــدنا المعرفــة الحقيقيــة بالله"[57]. هذه الطبيعة بالنسبة لهيجو تحثه على البحث عن الله:

"ايتها الاماكن الجميلة، انا اتأملك بعين ملأى
بالدموع.
جئت ابحث عن الله في بقايا المعبد"[58]
"ايتها الاشجار ترونني اهرب مــن الانســان
وابحث عن الله"[59]

ثم تقربه من خالقه:

"الان وانا اشعر بالسكون امام هذه المنــاظر
المقدسة، سهول، غابات، صــخور، وديــان،
انهار فضــية، متــأملاً ضــعفي ، ومتــأملاً
معجزاتك،استعيد ادراكي امــام هــذا العــالم

---

55 نقلاً غن بول هازارد. المصدر السابق. ص**266**.

56 التأملات، الفصل الرابع، القصيدة **(15)**.

57 دونالد بوشانان، المصدر السابق، ص**56**.

58 فيكتور هيجو. الاعمال الشعرية ، الجزء **1**، قبل المنفى. المصدر السابق. ص**230**.

59 التأملات. الفصل الثالث، القصيدة **(24)**.

الشاسع ؛ جئت اليك يالهي! **معترفـــاً بأنـــك**
طيب، رحيم، حليم، ودود،..."[60]

في هذه الوحدة امام مناظر الطبيعة، يصغي هيجو الى صوت الله:

"ننمو على الضفاف، ننمو في الغابات،......
رؤية السماء عن قرب،......
انه صوت عميق،عزف كوني...
فوق محيط السماء"[61]......

بتكامل عظيم كهذا، مدركاً به جوهر الاشياء، توصل هيجو الى معرفة الله من خلال الطبيعة، ولكن الطبيعة لا تسمح بالمعرفة الكاملة لله. هناك حدود دائماً؛ انه نوع من "لطف الايحاء". الاسئلة التي تطرح نفسها على فكر الانسان لاتعطـــي جواباً شافيا امام الطبيعة الغير مكترثة والصامتة. لماذا يمنـــع الله الطبيعـــة مـــن توضيح ذلك؟ هيجو لايعرف، انه يلاحظ فقط وينتهي تفكيره الى خضـــوع شـــبيه بالفكر الاسلامي:[62]

"بما ان الله اراد ذلك، فكل شيء يسير الـــى
افضـــل! ولـــو زاد وضـــوحاً ربمـــا اعمـــى
اعيننا.......
دون قياس الموج، ماذا كان سيكون حالنا
لو ان الله الحي فـــي عليـــاء خلوده،ســـكب
الحقيقة فوق الادراك الانساني؟
الاناء صغير جداً ليستوعب كل شيء
قطرة واحدة تكفي ان تتناولها كل روح

---

[60] التأملات. الفصل الرابع، القصيدة (15).
[61] اناشيد وموشحات. الفصل الخامس، انشودة (25)، (3).
[62] انظر القرآن الكريم. سورة الاسراء ، الاية 85.

حتى وان كانت ممتزجة بالظلال!..."[63]*

لقد بدا مقتنعاً بأن العقل الانساني ضعيف جداً ليظفر بتجلي الحقيقة العظمى.

وعلى اختلاف الرأي مع بوشانان الذي يظن بأن الطبيعة هي التي اوحت لهيجو وجود الله وبأنه لايرتقي، مثل روسو، من الطبيعة الى معرفة الله، فأننا نشاطر الرأي مع كلود جيلي بأن هيجو بقى وفياً لهذه الديانة الطبيعية. ولكننا نضيف الى ذلك بأن افكار المفكر هيجو تطورت كثيراً خلال سني حياته مقترباً في نقاط عدة مع الاسلام، ونضرب مثالاً على ذلك، الوحدانية: ديوان اناشيد وموشحات يعلن لنا بوضوح وحدانية الله عندما يؤكد بأن "كل شيء يخضع لقانون ثابت"[64]، وان الله حاضر في كل مكان في الطبيعة. وبقراءتنا صفحات شعره، نتبين بسهولة مدى تشبعه بالفكرة:**

"*اله واحد* ! *اله حقيقي*! *لغز واحد* ! *روح واحدة*"[65]

ومن المعروف بأن الوحدانية هي الأساس الجوهري للدين الإسلامي، فالطبيعة، كما يؤكد القرآن الكريم هي شاهد حقيقي بأن الله واحد :" ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أأله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون".[66]

---

[63] انظر الاصوات الداخلية، القصيدة 28، " التفكير يعني الشك".

* القصد هنا انه لا يمكن ادراك كل شيء

** في الحقيقة، وكما هيجو، توصل فولتير ايضاً الى نفس هذا الهدف بقوله: " الطبيعة بأكملها تقول لنا ان الله واحد". انظر فولتير، القاموس الفلسفي. بورج ، مطبعة اندري تاردي 1961. ص168.

بالنسبة لروسو لم يهتم بالبحث عن ماهية هذا الاله بل اكتفى بالمعرفة بأنه موجود. انظر اندري كريسون، المصدر السابق. ص64.

[64] مقدمة اناشيد وموشحات 1826.

[65] الاشعة والضلال، V, XLIV.

[66] القرآن الكريم. سورة النمل، الاية 61.

وامام الطبيعة ، موجهاً كلامه الى الله يبني هيجو علاقة طيبة مع خالقه؛ فهو يكلمه، يرجوه بشكل مباشر دون وساطة من راهب، او دون ان يكون بالضرورة في الكنيسة:

"يالهي! احفظني، واحفظ اولئك الذين احبهم،
اخوة، اباء، اصدقاء، وحتى اعدائي
منتصرين على الشر؛"[67]

لقد وجد المفكر هيجو في الطبيعة الاثار التي تركها الله تعالى ليحث الانسان على التفكير والبحث في عظمته سبحانه. وبالمقابل بقي هيجو لسنوات يبحث عن حقيقة الله والعالم، ويشهد على ذلك ديوانه "الله".

على هذا الاساس فهم فيكتور هيجو الطبيعة*، لم يكن الهانياً او حلولياً كما اراد بذلك بوشانان وغيره من الباحثين الا عند حدود معينة.**

ومن المهم ان نذكر بأن الطبيعة التي دعا اليها روسو وبحثها بعمق، اثمرت بشكل واسع عن بزوغ تفكيره الديني. فهو يفكر بأن الطبيعة هي افضل مهذب للروح. في الابيات الاتية، نصغي الى الطبيعة نفسها تتكلم:

"سوف لن تهبه سوى الافكار الطيبة،
ستحول بريق المبادئ الى النور
سيكون الله مرئياً في عينيه الساحرتين!"[68]

---

[67] اوراق الخريف. **XIX**

***"**لان من الاشياء التي لايمكن ان يتقبله الكاثوليك ولا البروتستانت **(**ولا حتى المسلمين**)...** ان هذه الطبيعة الجريئة بدأت شيئاً فشيئاً تتجسد بالخالق بدل ان تكتفي بكونها ابداع الله في الايام السبعة، وبأن لافضل لجمالها سوى للذي كونها من العدم**.** بول هازارد**.** المصدر السابق**.** ص**265.**

****** سنناقش هذه المسألة في الفصل الخامس ان شاء الله**.**

[68] الاشعة والظلال، **XIX.**

من هنا نفهم ان تأثير الطبيعة قد ولَّد عند الشاعر هذا الايمان الكبير الذي سيساعدنا على فهم تفكيره والروابط بينه وبين بعض الافكار الاسلامية.

احداث متنوعة :

من السهل حتى عمر العشرين ان نجد عند هيجو احداثا متنوعة ساهمت بطريقة او بأخرى في توجيه تفكيره الديني.

*** معلمو فيكتور هيجو :**

1ـ الاب دولا ريفيير

في عام 1839 كتب هيجو:

"في اشراقة طفولتي الزائلة بسرعة اسفاً، كان عندي،
ثلاث معلمون: حديقة، كاهن مسن، ووالدتي."[69]

"*الكاهن المسن*" لم يكن سوى المربي الاب دولا ريفيير De la Rivière الذي كان يدرس معه هيجو و أوجين، بعد الاقامة الثانية في فيونتين من ابريل 1812 الى ديسمبر 1813. لقد خص هيجو لهذا المربي قصيدة طويلة معنونة "ما حدث في فيونتين 1813"[70].

لقد اقترح هذا الراهب للطفل هيجو، ولم يكن بعد موجهاً دينياً ان يدخل في المدرسة. لكن والدة الشاعر فضلت ان تصغي الى نداء الطبيعة اكثر من نداء المدرسة. وتركت لاولادها حرية ان يتعلموا منها كل شيء. لقد فرح هيجو كثيراً بهذا القرار الذي ابعده عن الضغوط الكريهة للمدرسة وغمره بحرية لاحدود لها في الطبيعة. هناك حيث كل شيء يعكس عظمة الخالق:

---

[69] الاشعة والظلال، **XIX.**

[70] نفس المصدر

"... ولكني اعرف بأن امي المعشوقة
المملة،... مبعدة عني السجون*
فوضت روحي الشابة الى دروسها
*الرقيقة."[71]***

2ــ الاب دو روحان، لاموني

في عام 1821، شعر هيجو بالوحدة والعزلة، كان قد فقد للتو والدته التي احبها كثيراً. بعد دفن السيدة هيجو ذهب فيكتور عند الاب روحان De Rouhan ليشكره. لقد اكتشف هذا الاخير عند هيجو روحاً دينية نقيةٍ الى درجة، ولكنه لم يكن يعرف اي شيء عن ديانته؛ فبحث له عن مرشد "يلزمك مرشد وسأتولى انا هذا الامر"[72]، فأقترح له روحان السيد فريسينوس Frayssinous. شرح هذا الاخير الى الشاب اليافع بأن واجبه سيكون في النجاح وتسخير نجاحه في خدمة الايمان. وفي الحقيقة لم تعجب هذه الديانة المريحة (المتنصر حديثاً) الذي عند خروجه من عنده قال لروحان بأن الاب فريسينوس لن يكون ابداً موجههُ.ثم عرفه روحان في 30 مارس 1821 بلاموني Lamennais والذي تركت بساطته عن هيجو انطباعاً كبيراً. لم يكن لاموني بالنسبة لهيجو مرشداً فقط ولكن صديقاً ايضاً احب فيه الصراحة الشديدة. تعلم هيجو من لاموني العطف والحنان ولكن فيما بعد، في الثلاثينات تحولت هذه الصفات الحسنة الى عصبية وحنق. مع ذلك يمكننا ان نقول ان لاموني لعب دوراً واضحاً في مسيرة التفكير الديني لفيكتور هيجو.

---

* يقصد بها قيود المدرسة.

[71] نفس المصدر.

** يقصد دروس الطبيعة .

[72] نقلاً عن اندري موروا، "اولمبيا او حياة فيكتور هيجو"، دار هاشيت، باريس **1954**، ص**89**.

في رسالة بعثها الى البارون فيترول **Vitrolle** قال لاموني "يمتلك السيد هيجو الروح الاكثر نقاءً والاكثر هدوءً ممن قابلتهم في كنيف باريس، انه معتـد بنفسه وبسيط،..."[73].

كان لدى هيجو مسبقاً الطيبة والهدوء التي تتلائم مع روحيـة معلميـه، وبالنتيجة توافق بسهولة مع روح المسيحية: الرحمة، الغفران، الامان والسلام.

<u>* حالة أوجين :</u>

في مدرسة لويس لوكرون عندما كان هيجو واخيه الكبير أوجين يتابعـان الدروس وهم يسكنان في مدرسة كورديه الداخلية، كان الاخوان يكتبان معاً ابيات شعرية حول مواضيع يقترحها استاذهم. ولكون اشعار هيجو كانت تعجب استاذهم اكثر من اشعار أوجين، بدا هذا الاخير غيوراً، اضافة الى ان هذين الاخوين وقعا في حب فتاة واحدة (أديل فوشيه **Adèle Foucher**). ولكن هذه الاخيرة كانـت تحب فيكتور. في يوم زواج فيكتور واديل، انقلبت حالة أوجين من الغيـرة الـى الجنون التام.

هذا القدر المريع في حياة الشاعر كان سبباً دائماً للحزن وللندم العميـق. الم يكن هو نفسه الذي اوصل اخيه الى اليأس من خلال تفوقه عليه فـي الشـعر والحب؟ ان موضوع الاخوة الاعداء سيكون احد وساوس هيجو في كل كتاباتـه، مسرح، رواية وشعر[74]. في شعره يتمثل بقابيل في "اسطورة القرون" وفي "نهاية الشيطان".

مع ذلك هناك اختلافات في القصتين: لم يرتكب أوجـين اي جريمـة او اي خطأ، لا على العكس، فرضاه بواقعه رغماً عنه هو الذي دفع به الى الجنون الذي

---

[73] نقلاص عن بوشانان. المصدر السابق. ص**13**.

[74] انظر اندريه مورروا. المصدر السابق. ص**108**.

قاده الى الموت عام 1837، على عكس قابيل الذي انتقم بقتل اخيه هابيل. في كل الاحوال، فكرة هذا الحدث حثت هيجو على الكتابة عن قابيل وهابيل. وبالنتيجة، عن الخير والشر، وربما تدعم هذه الفكرة البحتة كون اسم اخيه الاكبر هابيل.

ان التشابه بين القصتين، على الاقل في الفكرة، جذبت انتباه فيكتور هيجو. سيجد ان هذه القصص الدينية تتكرر في الحياة اليومية دون ان تكتفي بكونها قصة في تاريخ محدد. وقد يدفع هذا هيجو للبحث في القصص الدينية الاخرى، دوافعها، نتائجها وتأثيراتها في الحياة الانسانية، اضافة الى سبب ايحاء الله تعالى هذه القصة دوناً عن القصص الاخرى. كل هذه الاسئلة ستحمل هيجو على مناقشتها في ديوانه الشهير "اسطورة القرون" و "نهاية الشيطان".

ومن الجدير بالذكر ان الماركيز س.ي. C. d'E كان يأتي عند السيدة هيجو ويروي للصغير فيكتور قصصاً دينية. ويروي لنا الشاعر نفسه ذكرياته معه:

"... كنت تروي

قصة ما عن الذئب، الامم المغضوب عليها؛"[75]

ونلاحظ في النهاية ان القرآن الكريم يحتوي الكثير من هذه القصص الدينية، ومن ضمنها قصة قابيل وهابيل[76]. من الممكن ان يكون كتاب المسلمين كما التوراة، احد مصادر الشاعر عند كتابته للقصائد الدينية.

<u>*حضور في مقر قصر العدالة :</u>

في عمر السادسة عشر، في احد ايام 1818 حضر هيجو وكان آنذاك "من انصار الملكية او حسب مايعتقده هو"[77]، الى مقر قصر العدالة في باريس في تعذيب سارقة. يروي لنا هيجو ذكرياته الاليمة:

---

[75] التأملات. الفصل الخامس ، III، (I).

[76] انظر القرآن الكريم، سورة المائدة ، الايات 27 -31.

[77] بيير كامارا. المصدر السابق. ص12.

"كان هناك جمهور حول عمود الاعدام. اقتربت. في هذا العمود ربطت مخلوقة انسانية، الاغلال في عنقها ولافتة فوق رأسها، كانت امرأة شابة او فتاة. كان هناك موقد مليء بالحمم امام قدميها، وحديدة ذات قبضة خشبية مغمورة بالجمر تشع احمراراً... هذه المرأة كانت مذنبة بما تسميه احكام القضاء "سرقة دار"... وفجأة، عندما دقت الساعة الثانية عشر ظهراً، من وراء المرأة، ودون ان تراه، صعد رجل الى منصة الاعدام... فك الحبال، ازاح القميص وكشف ظهر المرأة حتى الخصر، تناول الحديدة التي كانت في الجمر واطبقه ضاغطاً عليه بعمق فوق الكتف العاري، الحديدة وقبضة الجلاد اختفتا في دخان ابيض. مازلت اسمع في اذني، بعد اكثر من اربعين عاماً، وسيظل دائماً في فكري الصرخة المريعة للمعذبة. بالنسبة لي، كانت هذه المرأة سارقة واصبحت شهيدة. خرجت من ذلك المكان -وانا ابلغ السادسة عشر عاماً - مصمماً ان احارب الى الابد التصرفات السيئة للقانون"[78].

ألم يكن هذا هو السبب الذي من اجله رفض فيه هيجو العقوبة وخصوصاً عقوبة الاعدام في كل الاديان؟[79]

<u>حصيلة تفكيره الديني</u>

نحن لانعلم كثيراً عن التجليات الاولى للشاعر لانه احرق كراريسه العشرة[80] لاسباب غير معروفة ولكننا نستطيع ان نلاحظ ، على مابقي من كراريسه، ايمانه الكبير بوجود الله.

سبق ان لاحظنا كيف دافع عن الله تعالى ضد فيلسوف ملحد[81]. لقد قام ايضاً في عام 1818 بكتابة نقد حول عقيدة الكافر، الذي، برأيه ليست فقط ضد

---

[78] نفس المصدر

[79] انظر فيكتور هيجو. عقوبة الموت ، منتخبات. باريس ، مكتبة بول اولندورف، دون تاريخ.

[80] انظر جورج بونفيل. المصدر السابق. ص4.

[81] انظر ص15.

الدين ولكنها ايضاً تقتل الخيال: "عقيدة الكافر اذا لم نستطع ان تقتل الروح الخالدة فأنها على الاقل تقتل الخيال؛ وعلى العكس، فكل الاديان جوهرياً هي اديان شاعرية."[82]

شعر فيكتور هيجو بأنه شجاع بايمانه الذي ولَّد عنده الابداع الشعري فشعر في اعماق نفسه بقوة الله تعالى:

"اذا تجرأت الشعوب الكافرة ان تفلت منه،
واشار على الباقي باصبع غضبه:
لاتعود هذه الشعوب موجودة."[83]

وايضاً:

"بنفخة واحدة سيطفيء الله هذا النيزك القاني
ووميضه الاحمر"[84]

وهو يستند على هذه القوة الهائلة. وهاهو يرجو الله تعالى في عمر الرابعة عشر ليحفظ له والدته. وقد تكون هذه اول مرة يتحدث فيها هيجو الى السماء:

"امي، كل مايطلبه ابن مولود بخير
من السماء لاجل امه العزيزة،
ان يهبها اصدقاء حقيقيين، صحة
وحياة طويلة وهادئة؛"[85]

---

[82] مدام فيكتور هيجو. فيكتور هيجو مروياً من قبل شاهد من حياته **(1818 -1821)** . باريس ، دار ج. هيتزل، بلا تاريخ، ص**75**.

[83] فيكتور هيجو. الاعمال الشعرية، قبل المنفى. المصدر السابق. ص**140** فبراير **1818**.

[84] المصدر السابق. ص**143**.

[85] فيكتور هيجو. الاعمال الشعرية قبل المنفى. المصدر السابق. ص**17**، يناير **1816**.

مع ذلك فالاحاسيس الدينية لفيكتو هيجو، في هذه الفتــرة، رغــم تــأثير لامونيه بقيت "سطحية" كما يقول بوشانان[86]. لم يكن ذلك المسيحي المدرك تماماً مبادئ دينه؛ وحتى عام 1821، "لم يؤكد هيجو نفسه كاثوليكياً الا بسبب متطلبات الحاجة".[87]صحيح ان شاتوبريان فتح عيني الشاعر على المسيحية ولكــن الــدين بالنسبة لهيجو كما هي بالنسبة لمؤلف "عبقرية المسيحية" تعتبر مصدراً شــعرياً لاينفذ. ويقوله لنا مؤلف "الاناشيد والموشحات" بوضوح فــي الاصــدار الاصــلي (ديسمبر 1822): "تاريخ البشر لايقدم من الشعر سوى ما اعتبــرت مــن عليــة الافكار الملكية والاعتقادات الدينية..." الاب بيير دوبوا. فيكتور هيجــو، افكــاره الدينية من 1802 الى 1825. باريس ، دار شامبيون 1913، ص318.

اذا صح القول لم يمثل فيكتور هيجو في هذه الفترة اي ديانة ولكن كــان لديه ادراكه الخاص بــالكون والوجــود، بالخــالق والمخلــوق. ويتوصــل الاب ب. دوبوا P. Dupbois الى ان "فيكتور هيجو كان لديه شيء من الدين ولــيس دين"*. ونحن نوافقه على ذلك .

في النهاية اذا كان هيجو يقدم وجهة نظره الخاصة حيال الدين فلأن هــذا كان يصب في حرية الصحافة، في حرية التعبير وفي ابداء الــرأي فــي عصــر انتشرت فيه الرومانسية مطالبة بحرية التعبير الادبي.

هذه هي المراحل التحضيرية للتفكير الديني واستلهام الاسلام عند فيكتور هيجو من 1812 -1822. ان هذه الفترة كانت ضرورية لتؤسس قاعــدة تفكيــره فيما بعد، ويدرك مؤلف "الاشعة والظلال" هذه الحقيقة فيقول صراحة بــأن "هــذه الطفولة هي التي كونت عقله على ماهو عليه الان"[88].

---

[86] بوشانان. المصدر السابق. ص15.

[87] جان بيير جوسوا. من اجل تاريخ ديني للتعبير الادبي، الجزء (1). باريس ، دار بوشيزن 1985. ص41.

* الاب بيير دوبوا. فيكتور هيجو، افكاره الدينية من 1802 -1825. باريس ، دار شامبيون 1913 . ص 318.

[88] مقدمة الاشعة والظلال، 1840.

نعتقد الان انه من الضروري دراسة فترة اخرى من حياته تلك التي كتب فيها عن الشرق بشكل عام وعن الاسلام بشكل خاص، في شعره ، وخاصة فـــي "الشرقيات".

الفصل الثاني

الفكر الإسلامي وصورة الإسلام
حسب هيجو في كتاباته
(1822 -1830)

اذا كنا قد اخترنا الفترة من 1822 الى 1830 فلأن الشاعر في هذه الفتـــرة تأمل طويلاً في الشرق وفي الاسلام في دواوينه اكثر مـــن الـــدواوين التاليـــة. بالاضافة الى ان هذه الفترة دونت انتقالاً عند هيجو من مرحـــل المراهقـــة الـــى الشباب. فهو الان اكثر تطرفاً ومغالاة لمختلف المواضيع ، فالأحكام التي يصدرها تفتقد بالنتيجة للموضوعية. وبأعتراف الشاعر نفسه، فكل ماكتب قبل عام 1830 "تصف طفولته الشعرية"[89].

في البداية، سنباشر بالبحث عـــن افكـــار هيجـــو فـــي ديوانـــه "*اناشـــيد وموشحات*" التي تقترب من افكار الاسلام؛ ثم نبحث صورة الاسلام فـــي ديوانـــه "*الشرقيات*". وبما انه استلهم الاسلام مباشرة في هـــذا الـــديوان، ســـيكون مـــن المناسب والضروري البحث عن اسباب هذا الميل للاسلام ومصتدره ونتائجه.

I - تماثل مع الفكر الاسلامي

بأمكاننا ان نلاحظ خلال سنوات العشرين من عمره، تطـــوراً فـــي تفكيـــر هيجو. "كاثوليكياً متشدداً وملكياً فـــي عـــام 1822، وميـــالاً عـــام 1828 نحـــو الليبرالية"[90].

ان "الطفل الخارق" كما يسميه شاتوبريان اصبح شيئاً فشيئاً من خـــلال قراءاتـــه المكثفة وقبل كل شيء من خلال موهبته، عبقرية غير قابلة للمقارنة.

---

[89] نقلاً عن لويس آراكون. المصدر السابق. ص**44**.

[90] ج كالفي. المصدر السابق. ص**287**

لقد تميزت مجموعة *الاناشيد التي كتبها بثلاثة مراحل هي*: "اختفاء النشيد التاريخي، الصعود نحو النشيد الميتافيزيقي، وتطوير نحو النشيد المثير"[91].

وقبل ان يضع الشاعر الشاب الميتافيزيقية على عاتق الشعر قام بدايـــة، في مقدمة ديوانه بالدفاع بحكمة عن قضية الله في الادب ، واشارة الى ان مهمة الشاعر يجب ان تكون مماثلة لمهمة النبي. فعلى الشاعر كما يؤكـــد هيجـــو، "ان يمشي امام الشعوب كالنور يرشدهم الى الطريق... وان لا يكون صدى لاي كـــلام اذا لم يكن كلام الله"[92].

لقد اهتم الشاعر بالمعنى الديني لشعره، فقد عالج في اول ديوان نشر له مواضيع الروح، الله، والشخصيات التوراتيـــة[93]. وفقـــد تـــأثير كتـــاب"عبقريـــة المسيحية" لشاتوبريان الكثير من بريقه في عيني الشاعر، و"كانت تصـــارع فـــي نفسه بقية من ايمان مسيحي مع فكر واقعي وشكوكي تكـــوَّن نتيجـــة دراســـات علمية"[94].

استمر هيجو كما في فترة المراهقة في رسم طريق الايمان الذي ســـيكون خاصاً به. ومن المهم ذكر الافكار التي يلتقي بها فكره مع الفكر الاسلامي.

بداية، سنباشر بعقيدة الاله الواحد الاحد،الـــذي هـــو اســـاس الاســـلام . فالشاعر يرفق غالباً مفردة واحد* امام الله:

"صلي! لايوجد سوى اله واحد حقيقي، عادل في رحمته،"[95]
"وروحك العظيمة كالمعبد"

---

[91] هيجو. اناشيد وموشحات، الشرقيات، تسلسل الاحداث من قبل جون كوردون. بـــاريس ، دار كارنيـــه فلامـــاريون 1968. ص19.

[92] مقدمة الاناشيد والموشحات 1824.

[93] انظر اناشيد وموشحات. الفصل الرابع، النشيد 3، 9، 18.

[94] اندريه مورروا. المصدر السابق. ص139.

* تكتب في الفرنسية (un) ونفهم منها"واحد" وهي تعني ايضاً"اداة نكرة" والقارئ يفهم من المعنى مايقصده الكاتب.

[95] اناشيد وموشحات. الفصل الرابع، النشيد (2)، ابريل 1822.

حيث لايخرج منها سوى صوت اله واحد."[96]

وفي مكان آخر نستطيع ان نتلمس هيجو اكثر توحيداً ؛ فلنصغ اليه يبوح لنا بايمانه بالله العظيم القادر على كل شيء:

"ايتها الشعوب انتم تجهلون الله الذي جعلكم تولدون!

ومع ذلك فنظراتكم تستطيع التعرف عليه

في خيركم ، في شركم ، في كل ساعة، في كل مكان!

اله واحد يعد ايامكم، اله واحد يحكم في اعيادكم!

عندما يقودكم قائد نحو الانتصارات

فالذراع التي تقودكم مدفوعة من قبل اله واحد"[97]

ثم نرى هيجو يمجد الله ويعظمه:

"المجد لله وحده! ينير اسمه في كتبه!

يحمل في يده الكون مجتمعاً !"[98]

الى جانب هذه الصفات الالهية هناك تقارباً بين الفكر الديني لهيجو والفكر الاسلامي:

"الله، الهك، بإشارة صارمة

خَطَّ طريقك فوق الارض"[99]

---

[96] نفس المصدر. الفصل الثالث، النشيد (5)، II سبتمبر 1825، انظر ايضاً :
الفصل الرابع، النشيد (2) ابريل 1822، الفصل الرابع ، التنشيد الاول، IV اغسطس 1823.

[97] نفس المصدر. الفصل الثالث، النشيد الاول ، III اكتو بر 1825.

[98] اناشيد وموشحات. الفصل الرابع، النشيد (18)، ديسمبر 1822.

[99] نفس المصدر. الفصل الرابع، النشيد (2)، ابريل 1822.

هذا التفكير المبني على الحتمية والقدرية يعكس المبدأ الذي يحرك تقريباً حياة المسلمين جميعاً*

من الممتع تمحيص الشعر الهيجوي لتوضيح فكرة البداية والنهاية عند المسلمين والتي ترتبط حتمياً بالخالق:

"كل شيء ينتهي عنده، عن طريقه يبدأ كل شيء"[100]

وبطريقة مقاربة، يذكر لنا القرآن الكريم مضمون هذه الفكرة:

{...وكنتم امواتاً فأحياكم، ثم يميتكم ثم يحيكم ثم اليه ترجعون}.[101]

ومن المثير للاعجاب ان خيال الشاعر يصل الى العالم الاخر كما لو كانت روحه تطوف هناك لتحضر يوم الحساب:

[سيريكم الله معبوداتكم،
وسيسألكم: :من الاله الان إذن ؟"][102]

ولكن من الغريب ان هيجو يذكر بدقة تفاصيل عن هذا اليوم كما اوحاه الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾[103]

ان دراسة التقارب الذي اجريناه بتواضع بين افكار هيجو وافكار الاسلام

---

* ان مسألة الحتمية هي مسألة مجادل فيها عند المسلمين، فيوجد من بينهم من يعتقد جازماً بارادة الانسان في التطور. ويوجد منهم من يؤمن بالقدرية.

[100] اناشيد وموشحات. الفصل الرابع، النشيد الثاني، ابريل 1822.

[101] القرآن الكريم. سورة البقرة ، الاية 28.

[102] اناشيد وموشحات. الفصل الثالث، النشيد الاول،III اكتوبر 1825.

[103] القرآن الكريم. سورة القصص ، الاية 74.

تقودنا حتماً للبحث عن المراجع والمصادر التي لم تفقــد التــأثير فــي التفكيــر الهيجوي. ليس لدينا اي دليل ملموس بأن الشاعر استوحى الافكار مــن الكــريم؛ كما انه يفتح الباب امام احتمالات عدة. فهذه المراجع هل هي القرآن الكريم؟ من التوراة؟ من الانجيل؟ ام من الاراء الفلسفية للقرن الثامن عشر؟ نحن نعتقد بــأن الفكر الديني الهيجوي يشبه ترابطاً مربكاً مشكلاً من عدة تيارات دينية في الوقت نفسه، فالصور التي تعرض غضب الله في التوراة ربما كانت قــد تركــت عنــده انطباعاً بقوة الله؛ وامثال المسيح (عليه السلام) في الانجيــل لتوســع ادراكــه؛ والاراء الفلسفية للقرن الثامن عشر لتغذي عند الشــاعر طريقــة ادراك الخــالق والخليقة. وقد لايكون مستحيلاً ان يعود هذا التقارب بين الافكــار الــى شــمولية المضمون القرآني الذي يقدم لنا دائما أفكارا إنسانية عليا مع اشارته الى حكمــة الله تعالى. ولا نستبعد ان الشاعر اطلع على الفكر الإسلامي من مصادر نجهلهــا بشكل أو بآخر. ويؤكد الاب (ب. دوبوا) هذا التقارب بين افكار الشاعر والافكــار الاسلامية في هذه الفترة؛ ولكنه يستبعد وجود اي علاقة مع واقعية الفكرة. فيقول "التعبير في الحقيقة اكثر واقعية من الفكرة. فاذا لم نأخذ سوى الاحتمال الاول ألا يمكننا القول بأن سماء فيكتور هيجو استعارت بعضاً من خصائصــها مــن جنــة محمد؟"[104]

الى جنب هذه الافكار الهيجوية، وجدنا لمرة واحدة المفهوم الحربي الذي كونه الشاعر عن الشرق والاسلام: ففي الموشح الخامس عشر المعنون "*الجنيــة والبيري* *Péri*" المكتوبة عام 1824، تكلم الشاعر عن "*دمشق المحاربة*"، عن "*متاريس بغداد*" التي "*تحجب*" المدينة "*كالدرع*"، وعن "*المدينة المنورة*" في النهاية، هذه المدينة المقدسة في الاسلام والتي قارنها الشاعر "*بكتيبة شائكة*" من "*السهام البراقة*". وبالتأكيد فأن الصفة الحربية للاسلام، وفكره العسكري، وميلــه للغــزو،

---

[104] الاب ب. دوبوا، المصدر السابق، ص294

* ليس له معنى بالقاموس الفرنسي.

واخيراً مجده العسكري الذي حلم به كثيراً كانت قد أذهلت خيال ابن الجنرال هيجو، احد ضباط نابليون.

في الحقيقة ، ان فكر الإسلام لم يكن قائما على الغزو كما يعتقد بعض الغربيين ، وانما هو فكر هداية وقناعة وايمان . ولذلك كان المسلمون في كل فتوحاتهم يعرضون الإسلام على اهالي البلاد المفتوحة او الجزية وفي حالة الرفض يكون الجهاد .

II -صورة الاسلام في "*الشرقيات*"

قبل ان ندرس ونحلل وجهة نظر هيجو حيال الاسلام والمسلمين في ديوان "*الشرقيات*" يتوجب علينا بداية الالمام بالاسباب التي قادت الشاعر الى ان يحول وجهته الى الشرق.

من الغريب والمدهش ان نصغي لهيجو وهو يبوح لنا بسبب يبدو "مضحكاً" كما يصفه هو ايضاً: "الصيف الماضي، عندما ذهبت أتأمل الغروب"[105] كسبب لكتابة احدى واربعين قصيدة والتي تشكل مجموعة قصائد "*الشرقيات*"، ولابد من وجود اسباب عديدة لبزوغها. اولها كانت ظاهرة العصر، والتي اتبعها هيجو رغبة منه في التنافس مع الآخرين، هذه النزعة تعود الى حركة الاستشراق المزدهرة والى الرومانسية كحركة ادبية، ولكنها تعود بشكل رئيس الى الحرب بين اليونان وتركيا ، والتي تركت بصماتها السيئة على انطباع هيجو عن الاسلام.

بعد دراسة الاسباب قمنا بعمل قائمة للمصادر التي درسها وراجعها الشاعر فيما يتعلق منها بالاسلام فقط، فقد امتنعنا عن ذكر المصادر التي تخص الشرق الخلاب، كالقصائد العربية التي استعان بها او المصادر الهيلينية لان هذا يعتبر خارج اطار موضوعنا. وقد خصصنا للمستشرق ارنست فوينه Errnest Fauinet مكانة خاصة لاهميته باعتباره ملهم ديوان "*الشرقيات*".

ولكي نعالج صورة الإسلام بشكل جيد في "*الشرقيات*" قمنا بعمل تحليل

---

[105] مقدمة الشرقيات. النشرة الاصلية. يناير **1829.**

موضوعي للقصائد، وهو ينقسم الى فكر اسلامي، صــورة المســلم ، والعمــران الاسلامي.

وسينتهي هذا الفصل باستعراض وجهة نظر هيجو العامة عن الاسلام.

أ. <u>الاسباب والجذور</u>

1. الاستشراق

لم تعكس صورة الشرق في ادب القرون الوســطى الاوربيــة ســوى الحقد على المسلمين ، والعمل المستمر ضدهم، فكُوِّنَت عدة اســاطير حــول المسلمين ونبيهم*، ومعتقداتهم ، والتي اعتبرت كخرافات دينية.

ظهرت في القرن السادس عشر ولاسيما في القرن الســابع عشــر، نهضة جديدة عن الشرق في الادب الفرنسي. "الاحداث السياسية ، وعلاقــات المندوبين، والتبادل التجاري واعمال ومهمات الرسل قد ادت بالتأكيد الى هذه النهضة"[106]. فضلاً عن حياة الشرق باتت المعتقدات الدينية الشــغل الشــاغل لاولئك الذين لديهم رغبة في استلهام الشرق وخاصة موضوع الجنــة عنــد المسلمين والذي يمكن ان يشكل موضــوعاً خصــباً فــي الادب. وكــانوا يعجبون كذلك ببعض المقولات والحكم الشرقية ذو العلاقة بالخُلُقُ العالي.**

ومن المهم ان نؤكد وجود نزعة اعجاب عند المستشرقين في القــرن السابع عشر بحكمة الشرق واديانه ، هذه النــزعة ستتطور وتتأكد في القرن الثامن عشر. السبب في ذلك ان هؤلاء الباحثين "لم يكن لــديهم ميــل كبيــر للكنيسة التي اضطهدت سابقيهم قبل قرن مضــى ، وكانــت تتــوجس مــن

---

*"كان يظهر النبي محمد (ص) بهيأة قرصان، ذو مس من الشيطان، مرتكباً كل انواع الدناءة والــدجل، ولكــي يجعلونــه مكروهاً، جعلوا منه مسيحياً عاصياً وملحداً، ذو رتبة كاردينال الذي لن يتوانى عن بيع نفسه للشيطان جراء يأســه مــن ان يصبح يوماً بابا". نقلاً عن عمر شخاشيرو، المصدر السابق، ص1.

[106] نفس المصدر. ص14.

** انظر التمهيد.

كتاباتهم"[107].

وحتى عام 1780 الذي يمكن اعتباره التاريخ الذي بدأ فيـه الاستشـراق بالدخول في مرحلة جديدة[108] كان من اشهر الرحالة الذين اعطـوا للشـرق المعلومات الاكثر غزارة هم تيفينـو Thévenot، تافيرنيـه Tavernier، بيرنيه Bernier، وشـاردان Chardin[109]. وعندئـذٍ بـدأ المستشـرقون بالاتصال مباشرة مع الشرق، فبحثوا عن ملامح جديدة له، لم يعـد الشـرق الخلاب والساحر ولكن الشرق الجدي والجدير بالاحترام في اديانه وفلسـفاته وفكره ، والتي شكلت مصـادر للمستشـرقين :"كتـب التـاريخ والتشـريع واللاهوت التي نشروها منذ القرن السابع عشر من خـلال ترجمـاتهم لهـا بعناوين تاريخية، محمدية، تركية او فارسية، والكتب المقدسة للدولة العربية وبلاد فارس، وقصائد ارشادية حول ادارة الحكومـة، الـخ..."[110]. وعندئـذٍ استأثر الاسلام تقريباً بكل حركة الاستشراق المبتدءة.

كانت العلاقات بين المستشرقين تزدهر في اوساط الجمعيات الاسيوية التـي كانت تقدم لهم المعلومات اللازمة عن الشرق ، وخاصة عن الاسلام. فقد كانوا قد بذلوا جهودهم من اجل اكتشاف التراث العربي الاسلامي[❁] ونورد مثلاً على ذلـك المستشرق الالماني (راسك) Rask الذي ترجم كتاب ابو الفداء "المختصـر فـي اخبار البشر". كان هذا الكتاب احد اهم مصادر تاريخ العرب والاسلام والذي اعتمد عليه فيكتور هيجو[111] ولكن بترجمة بواتيه Pauthier.

---

[107] نقلاً عن عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص18.

[108] عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص14

[109] نفس المصدر.

[110] نفس المصدر. ص19.

[❁] مثل هامر Hammer ؛ قام هذا المستشرق النمساوي بعمل دراسات حول العرب والاسلام. ووضع شخصية الـنبي محمد (ص) في مقدمة دراساته، ومن المؤكد ان هامر اوحى للامرتين كتابه "رجال الشرق العظماء". انظر عبد المطلب صالح، مباحث في الادب،... المصدر السابق، ص93.

[111] نفس المصدر.

ولايمكننا ان ننكر جهـود (ارنيسـت فوينـه) ولا (سلفيسـتر دو ساسـي) Silvester de Sacy "المؤسس لكل حركـات الاستشـراق"[112] وكـذلك الادوار المتميزة التي لعبها في ترؤسه الجمعية الاسيوية في بدايات تأسيسها مـن اجـل تغيير الافكار السلبية للاوربيين حيال العرب وحضارتهم وديـنهم. اضـافة الـى مستشرقين آخرين لعبوا ادواراً بشكل او بآخر في هذا الصدد[113].

اذن فكل هؤلاء المستشرقين تركوا تأثيراً في الحركـات الادبيـة للقـرن التاسع عشر سيما حركة الرومانسية*. وافادوا الكتاب الرومانسيين مـن خـلال دراساتهم عن الشرق الذي اصبح موضوعاً مشتركاً لدى معظم الكتاب مثل فيكتور هيجو.

كان فردريك شليجل Fréderic Schelgel استاذ أكستين Eckstein هو من اعطى في مدينة اثونوم Athenaeum شرعية التحالف بين المعرفة والشعر فيقول: "يتحتم علينا البدء من الشرق عند البحث عن الرومانسـية العظمـى"[114]. ومنذ ذلك الحين، اصبح الشرق مادة خصبة للرومانسيين. ففي المانيا حيث بدأت الرومانسية "كان (كوته) هو اول من فتح موضوع الشرق في الشعر"[115].

يقول الباحث (باريير) Barrère :"في الواقع فأن البارون اكستين مـدير "الحوليات" كان يشجع هو ايضاً وفقاً لنداء استاذه فردريك شليجل الشعراء الشباب

---

[112] ريموند شواب. المصدر السابق. ص316.

[113] انظر نجيب العقيقي. المصدر السابق. ص173 -207، حيث نجد قائمة بأسماء المستشرقين الفرنسيين في القرنين الثـامن عشر والتاسع عشر.

* حركة ادبية بدأت في المانيا نهاية القرن الثامن عشر ، وانتشرت في فرنسا بعد الثورة الفرنسية وازدهرت في القرن التاسع عشر ، وتعني اطلاق العنان للاحاسيس والمشاعر والخيال الشعري ، والحديث عن الانا بكل جوارحه وجوانبه. انظر محمـد غنيمي هلال . المصدر السابق.

[114] ريموند شواب. المصدر السابق. ص20.

[115] ج. براند G. Brandes. المدرسة الرومانسية في فرنسا . ترجم عن الالمانية من قبل أ. توبان A. Topin. باريس ، دار أ.ميشالون 1902 ص73. انظر ايضاً :

ريموند شواب. ص385، حيث يكشف النقاب عن تأثير كوته على هيجو ويعمل مقارنة بين"الديوان" و"الشرقيات".

للالتفات نحو الشرق"[116]. ثم بدأ الاهتمام بالشرق الادنى والاقصى بالبزوغ منذ بداية القرن. ولم يفت فيكتور هيجو ان يتناول منه جانباً في مقدمة "*الشرقيات*" معارضاً استشراق القرن التاسع عشر بهيلنية القرن السابع عشر[117]. وفي الحقيقة لم يكن هناك اي انقطاع، فقبل عامين من ظهور "*الشرقيات*" ، قال البارون آكستين الذي دخل في علاقة مع هيجو منذ عام 1823 في صحيفة "*الكاثوليكي*": "سيكون الادب الشرقي للعقول العليا ما كان عليه الادب اليوناني لعلماء القرن السابع عشر"[118].

بالاضافة الى ذلك فإن حملة نابليون بونابرت على مصر عام (1798 - 1799) اعطت سبباً آخر لازدهار الاستشراق. فهذا "العلم الجديد" ولد منذ ذلك الحين بشكل اوسع "انطلاقاً من دراسة اللغات والاثار المكتوبة، ارتقى شيئاً فشيئاً حد معرفة الطباع والعادات والفنون والحضارات"[119].

وهكذا بدأ الكتاب الرومانسيون باستلهام مادة دراساتهم من الشرق. فرحل قسم منهم الى الشرق مثل لامارتين Lamartine ونيرفال Nerval وفلوبير Flaubert وسبقهم شاتوبريان بها، وقسم آخر مثل هيجو اكتفى بقراءة مذكرات الرحالة والمستشرقين وانطباعاتهم عن الشرق او احيانا بالاتصال بهم مباشرة. وبدراستهم عن الشرق توصل البعض منهم الى تحليل الاسلام مثل لامارتين[120]، او استلهامه مثل هيجو.

2. حرب اليونان ضد تركيا

منذ عام 1821 -1832 دخل اليونان والاتراك في حرب ضروس .كانت

---

[116] انظر ج. ب. باريير. هيجو، الانسان والاعمال. باريس ، دار هاتييه **1952**. ص**49**.

[117] انظر مقدمة الشرقيات. النشرة الاصلية. يناير **1829**.

[118] نقلاً عن ريموند شواب. المصدر السابق. ص**19 -20**، **309**.

[119] لويس كامبو **Louis Guimbaud**. شرقيات فيكتور هيجو. اميتز ، دار ادكار مالفير **1928**. ص**64**.

[120] انظر لامارتين. رجال الشرق العظماء. باريس ، دار ليبرري انترناسيونال **1865**. ص**3 -169**.

اليونان تحارب من اجل استقلالها وحريتها ؛ ومات من اجلهـــا الشـــاعر بيـــرون Byron في ميسولونكي Missolonghi.. وقد رفعت قضية اليونان الثـــائرين الحماسة في الاوساط الفرنسية ضد المسلمين الاتراك في الاوساط الملكية مثلهـــا عند الليبراليين؛ فأثار " التعاطف مع اليونان"* ادبيات متعددة. كـــان الاوربيـــون يدافعون عن اليونان ضد الاتراك؛ وكان اصدقاء هيجو من الفنـــانين المتعـــاطفين معهم ، امثال (دلفين كـــي) Dolphine Guy، لامـــرتين، (كـــازمير ديلافـــين) Casimir Delavigne كان كلهم كانوا يكتبون قصـــائد عـــن "التعـــاطف مـــع اليونان". وقد حاول هيجو ان يجعل من احدى *شرقياته* مشهداً حيوياً عن الحرب، ففي عام 1824 عـــرض اوجـــين (دو لاكـــروا) Eugène Delacroix لوحتـــه الشهيرة "*مجزرة سيو*" Le Massacne de Scio، "اثار الفنـــان فيهـــا حركـــة تعاطف مع "الشهداء" اليونان ، وفتح في نفس الوقت الحياة على موجة حمـــاس وتواصل مع اليونان"[121]. لقد اوحت هذه اللوحة لهيجو كتابة قصيدته "*الطفل*"[122]. وفي السنة التالية كتب "*المدينة المسلوبة*"[123]. وعلى العكس فقد ولَّدت الحماسة المناصرة لليونان، والحقد على الاتراك ، وبالنتيجة على الاسلام المتمثل بالدولـــة العثمانية.**

اذن فالحرب بين الدولتين هي التي دفعت بالكتّاب والفنانين بأن يستلهموا من الشرق، من تركيا، ومن الاسلام مواضيع لاعمالهم. وهكذا ولـــد جانـــب مـــن "*الشرقيات*" المتعلقة بهذه الحرب مثل "*المدينة المسلوبة*"، "*نـــافران*"، "*كانـــاري*"،

---

* تسمى في الفرنسية فيليلينيزم Philhellénisme.

[121] دانيل كاسيكليا. Daniel Gasiglia. فيكتور هيجو، حياته، عمله. باريس ، مطبعة موديرن دو ليســـت 1984. ص38.

[122] الشرقيات. XVIII. حزيران 1828.

[123] نفس المصدر. XXIII. ابريل 1825.

** لقد اعطت هذه الحماسة ثمارها عام 1827 عندما سمح تدخل فرنسا وانكلترا وروسيا مع اليونان باندحار تركيـــا في نافران.

"*رؤوس السراي*"، "*الطفل*". وقد عكست هذه القصائد الانطباع السيء في حينها لمؤلفها عن الاسلام.

وبعيداً عن الحقيقة، قام هؤلاء الادباء والفنانين برسم صورة مليئة بالتعصب والحقد والتهكم ضد الدين الاسلامي. وسبب هذا العداء حسبما يفسره لنا روحي الخالدي ان هؤلاء الشعراء الفرنسيين كانوا يتوهمون باعتقادهم بأن هؤلاء اليونان في هذا القرن هم اسلاف لأولئك الابطال والفلاسفة اليونان في العصر القديم والذين اورثوا المسلمين علومهم وفلسفتهم[124].

مع ذلك لايمكننا ان نغفل ان هيجو كان لايزال ملكياً، متشبثاً بافكار حزبه، لذا فلم يكن ممكناً بالنسبة له ان يتحررمن قسرية رؤية المسلمين من خلال الاتراك. علما بان السلوك السياسي لاية دولة اسلامية لا يعبر بالضرورة عن الاسلام ومبادئه السامية.

ب. مصادر "*الشرقيات*"

1. وثائق وشهادات

لم يكن فيكتور هيجو مستشرقا بالمعنى الصحيح للاستشراق ، ولكن مع ذلك كان مطالعاً نهماً للنصوص الشرقية، واذا سلمنا بأن الشاعر لم يلجأ الى النصوص الاصلية ولكن المترجمة، فهذا لم يمنعه من البحث واستعارة المصادر الصحيحة، لافتقاده فرصة السفر او الملاحظة الشخصية. وعلى قول شخاخيرو: "لم يهمل هيجو اي مصدر ولم يتوقف عن ان يزيد معرفته عن الشرق، وعندما لايحصل على المعلومات التي يتوخاها من الكتب والاصدقاء، فأنه يلجأ الى القواميس"[125]. كانت اغلب مراجعه عبارة عن طرائف، امثال، ايات قرآنية،

---

[124] روحي الخالدي. علم الادب... المصدر السابق، ص199.

[125] عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص41.

وابيات شعرية.

وقد حقق عدد لابأس به من الكتّاب الرحالة تأثيراً على عقلية الشاعر الشاب من خلال كتاباتهم عن الشرق المسلم، وفي مقدمتهم شاتوبريان في مؤلفاته "عبقرية المسيحية" و "الشهداء" و "خط الطريق من باريس الى القدس" التي كان هيجو يمتلكها منذ طفولته، كلها تحتوي على صفحات لابأس بها عن الاسلام والمسلمين. ومن المناسب ان نذكر في هذا الصدد الضيافة الحسنة للعرب التي كتب عنها الرحالة في كتاباتهم ، والتي استوحى منها هيجو قصيدته "*وداعاً للضيافة العربية*"[126].

لقد كانت الرحلة الى اسبانيا عام 1811 قد طبعت في ذاكرة هيجو صورة المدينة الشرقية والعمران الاسلامي المنتشر في هذا البلد النصف شرقي، واعطت هذه الصور الحيوية له في وصف الحياة الاسلامية في "*الشرقيات*"، وهو كما هو معروف لم يزر اي بلد شرقي.

اما فيما يخص مطالعات الشاعر فقد كانت متعددة، نذكر في المقام الاول الكتب التي استوحت من الحرب اليونانية التركية، وفي المقام الثاني اللوحات وهي لوحة دو لاكروا "مجزرة سيو" في عام 1824، ولوحة (لويس امبرواز كارينري) Louis Ambroise Garneray "معركة نافران" التي رسمها بعد عام 1827. اما بالنسبة للقصائد فهناك قصائد لورد بيرون Lord Byron، "لارا" و "حج شيلد هارولد" وايضاً "المسيحي" والتي ستلهم هيجو كتابة قصيدته "ضوء القمر"، وهي القصيدة الثانية في "الشرقيات"[127]*.

---

[126] الشرقيات، XXIV

[127] انظر مؤنس طه حسين. مقدمة عن الاسلام في الادب الرومانسي في فرنسا. القاهرة 1960، ص228.

* وهذه قائمة باسماء الكتاب (نقلاً عن مؤنس طه حسين ص227) الذين استوحوا من الصراع اليوناني –التركي لتبين في النهاية مكان هيجو في الترتيب.

ج. دو بون G. De Pons	تمرد الاغريق 1821
أ. دو فيني A. De Vigny	هيلينا 1822

من جهة اخرى، وفي اطار غـزو مصـر عـام 1798، نجـد الملحمـة النابليونية التي استطاعت ان تلهم مجال الاداب والتاريخ مثـل "وصـف مصـر" (لميموريال) Mémorial.

وفي المانيا من الملائم ان نذكر "الديوان الشرقي" لكوته عام 1819[128].

وهناك ايضا كل الادب الفلسفي للقرن الثامن عشر. فقد تأثر هيجو علـى وجه الخصوص بالمفاهيم التي كانت لدى الموسوعيين عن الاسلام وهي "اسـلام السراي الملحد ، حسب وصف مونتسكيو Montesquieu"[129]. ونحن نجد عنـد هيجو هذه النظرة نفسها محوَّرة الى اسلام "ثقيل وفاجر". ومن جهة اخـرى، اذا كان فولتير وديدرو يعتبران الاسلام كدين سمح فهيجو على العكس اعتبره كـدين متعصب في هذه الفترة.

ومن المؤكد ان العصور الوسطى التي كانت مصدراً مهما للرومانسية قد قادت هيجو الى الاسلام عن طريق الحروب الصليبية. وقد قرأ الشاعر الكثير من الكتب عن العصر الوسيط عندما كان يتهيأ لكتابة ديوانه "*اناشيد وموشـحات*"[130].

ديلفين كي **Delphine Gay**	في البحث عن الاغريق **1823**
ج. ج. فينه **J. G. Viennet**	باركا **1824** مركز دمشق **1825**
أ. كيرو **A. Guiraud**	اناشيد هيللينة **1824**
أ. دو لامرتين **A. De Lamartine**	النشيد الاخير لحج هارولد **1825**
م. بيشا **M. Pichat**	ليونيدا **1825**
ج. باربي دو رفيلي **J. Barbey d'Aurvilly**	الى ابطال ذيرموبيل **1825**
مدام امبل تاستو **M^{me} Amable Tastu**	طفل كناري **1826**
ب. أ. ليبران **P.A. Lebrun**	الرحلة في اليونان **1828**
فيكتور هيجو **Victor Hugo**	الشرقيات **1829**

[128] انظر ريموند شواب. المصدر السابق. ص**385** بالنسبة لعلاقة هيجو مع كوته.

[129] مؤنس، المصدر السابق. ص**228 -229**.

[130] نفس المصدر السابق.

ومن المناسب ان نضيف الى هذه المطالعات "مقالة حول حالة اليونان منذ الغـزو الاسلامي" لـ(أ. ف. فيومان) A. F. Villemain المنشورة عام 1825 و "رحلة سوريا ومصر" لـ(فولني) Volney.

ومن بين كل هذه الكتب، هناك ما له علاقة مباشـرة بالاسـلام: القـرآن الكريم، سنة الرسول (ص) وتاريخ الاسلام. يؤكد بعض الباحثين مثل مؤنس طـه حسين القراءة الكاملة لكتاب المسلمين، مضيفاً :"صحيح انه قرأه بسرعة ولكـن في النهاية قرأه"[131]. استند هؤلاء الباحثين على ملاحظة بخط يد الشاعر كتبها في نهاية قصيدة "*الطفل*": "انظر القرآن بالنسبة للشجرة طوبى كما بالنسبة للشـجرة سجين......" وهناك باحثين مثل عمر شخاشيرو وروحي الخالدي[132]، وهـو اول من كتب في هذا الموضوع[133]، وضعوا فرضية انه لم تكن هناك سـوى قـراءة لآيات مترجمة للقرآن موجودة هنا وهناك في كتب المستشرقين الخاصة بالاسلام.

ولكي نقترب من الحقيقة، نتساءل كيف نسـتطيع الاسـتنتاج بقراءتـه الكاملة للقرآن. لايوجد اي دليل يؤكد ذلـك بشـكل واضـح ماعـدا الملاحظـة المخطوطة التي مع ذلك تشرح بابهام هذه النقطـة، حتـى ان اسـتعمال مفـردة "سريعاً" لمؤنس تبين تردده اما حقيقة قراءة كاملة للقرآن ، دون ان يعطي مـن جهة اخرى تفاصيل هذه القراءة، حول اي ترجمة للقرآن مثلا، هل هـي ترجمـة (دورير) عام 1747 ام انها ترجمة (سافاري) عام 1783، وبالتأكيد فهناك فـرق بين الترجمتين[134]. في كل الاحوال نستطيع القول بأنه يكفي ان نعرف ان هيجـو رأى وقرأ محتوى القرآن ، سواء كان كل الكتاب او بعض اياته. ويضيف الخالدي الى مطالعاته كلام النبي محمد (ص) "السُنَّة"[135]. وبالنسبة لتاريخ الاسلام يبوح لنا

---

[131] نفس المصدر، ص229.

[132] روحي الخالدي. المصدر السابق. ص18 . انظر ايضا شخاشيرو. المصدر السابق ص45.

[133] انظر عبدالمطلب صالح. دراسات ادبية...، المصدر السابق، ص270.

[134] انظر التمهيد، ص4.

[135] روحي الخالدي. المصدر السابق.

هيجو نفسه بقراءته لابي جعفر الطبري.[136]*

الى جانب هذه المطالعات، هناك اللوحات التي لاتقل اهميتها عن الكتـــب، والتي وصفت الاسلام المدهش. وكان عدد لابأس به من كبار الرومانسيين جعلوا الشرق المسلم مألوفاً لدى الجمهور الفرنسي، وخاصة في السنين الاولى للقـــرن التاسع عشر مثل كابريل دوكامب Gabriel Decamps الذي قدم عند عودتـــه من الشرق لوحات عام 1828 ذات العناوين "ذكرى من تركيـــا"، و"منظـــر مـــن اناتولي" و "حمير الشرق" و "المقهى التركي" و "طواف سيميرن"[137].

هذه هي اذن المصادر والمراجع[138] التي كانت بين يدي الشـــاعر والتـــي قادته كوثائق حقيقية سمحت له بفهم الاسلام على طريقته. مع ذلك لاينبغي لنا ان ننسى ان المبدأ الانشائي والشاعري الذي دفع بتأليف هذه الوثائق هو قبل شـــيء روحية الشاعر وخياله بمساعدة المحرك الرئيس لـــــ"*الشـــرقيات*": المستشـــرق ارنيست فونيه.

2. الالتقاء بالمستشرق أرنيست فوينة:

ارجع مؤلف "*الشرقيات*" فضل مادة ديوانه الى "كاتـــب شـــاب ذو معرفـــة وخيال، وهو السيد ارنيست فونيه*، الذي وضع علمه كمستشـــرق فـــي خدمـــة

---

[136] مدام فيكتور هيجو. فيكتور هيجو مروياً.. المصدر السابق. ص77.

* يروي كتاب الطبري تاريخ العالم منذ عهد آدم الى فترة المؤلف 838 -923. وهو يتألف من 11 جزءً. هل يمكن هيجو ان يقرأ 11 جزءً ويهمل الكتاب المهم المقدَّس للمسلمين؟!

[137] انظر مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص29 -30.

[138] فيما يتعلق بالمصادر الاخرى للشرقيات، خارج اطار الاسلام، انظر لوي كامبو. المصدر السابق، ص74 -98.

* ولد في نانت عام 1790. وفي عمر السابعة عشر سجل في "مدرسة اللغات الشرقية". وفي عام 1821 دخل "الجمعيـــة الاسيوي" حال تأسيسها، شارك في "*الحوليات الرومانسية*" بين عامي 1826 و1834. نشر رواية في عام 1832 في "كتاب *المئة وواحد*". في عام 1824 اشار سانت بوف الى اشعاره في اصدار "*الكون*". وفي عام 1830 استرجع عدة نصوص ضمن "مختارات من اشعار شرقية مترجمة في شعر ونثر" كان قد استعارها منه هيجو في السنة السابقة. بعد عام 1831 كرس نفسه لادب الاطفال ، وله في هذا الصدد مجموعة مؤلفات هي "*قاعة المأوى*" "*جيرسون او كتاب الزخارف*" و "*قافلـــة المـــوتى*".

موهبته كشاعر"[139].

ولتأثيره الكبير كملهم لـــ "*الشرقيات*" ينبغي علينا البحث في معرفة تفكير هذا المستشرق. يخبرنا ريموند شواب ان فوينة هذا كان قد اعتنق الاسلام[140]. وقد قام بكتابة "*قافلة الموتى*" حيث عرض ماكان يحدث في بعض الاوقات للمسلمين المتعلقين كثيراً بالحسين ابن علي (ع) ومسيرتهم من عدة مدن انتهاءً بكربلاء (قبر الحسين ع)[141].

عندما رغب فيكتور هيجو بالالتحاق بالشعر الشرقي ارشدوه الى فوينـــة فكان يلتقي به في مكتبة الارسنال عند الســيد نوديـــه Nodier. وكـــان فوينـــة "مخلصاً"[142]في علمه فوضع مادة الشرق بين يدي الشاعر. "احكم هيجو ملئ اكوام المواد التي نهلها من فوينة في ملاحظات ختامية واحتفظ بعدد لابـــأس بـــه فـــي صناديقه، واستغل الكنز بشكل كبير"[143]. وقد روى لنا ريموند شواب تعليق هيجو عنها بانها "كومة من الاحجار الثمينة اخذناها صدفة من منجم الشرق الكبير"[144]. من الممكن ان تحتوي هذه الصناديق اضافة الى القصائد الشرقية بعــض الايـــات القرآنية المتفرقة كما يشير الى ذلك بعض الباحثين[145].

من خلال المراسلات بين نوديه وفوينة عرفنا بأن هذا الاخير "كان يناقش

توفي عام **1845** حيث كتب آخر رواياته. انظر ريموند شواب. المصدر السابق. ص**351 -352**. انظر ايضاً لويس كامبو. المصدر السابق. ص**84**.

[139] الملاحظة **XXVII** لـــ"الشرقيات".

[140] ريموند شواب. المصدر السابق. ص**393**.

[141] انظر عبدالمطلب صالح. موضوعات عربية... المصدر السابق. ص**48 -49**.

[142] في رسالة الى فوينة (في **3** يوليو **1896**) كتب كوتنكير **Guttinguer** قائلاً عنه بأنه "الاكثر ثباتاً بين الخلـــق، هـــو دائما الشاعر ذاته ، ينظم اشعاراً ذات قيمة لم يسبق لها مثيل ؛ باختصار من بيننا جميعاً هو الاكثر اخلاصاً". انظـــر ريمونـــد شواب، المصدر السابق ص**352**.

[143] ريموند شواب، المصدر السابق. ص**384**.

[144] المصدر السابق.

[145] انظر ما ذكرناه في ص **49**

مشافهةً الملفات المعهودة الى هيجو"[146].وكان يعمل من اجلـه بكياسـة مفعمـة بالحماسة، وباندفاع مؤثر ، كما تشير الى ذلك رسائله الى الشاعر: "ارسـل لكـم احدى التقاليد الاسلامية التي يمكن ان تنظم صورة شرقية جميلة على مايبدو لي، فالحقيقة هناك؛ ارجو ان تعود اليها ، وانظر الى ما اريد ان اعرفك به كما لو انه شيئا تملكه لوحدك ، يطيب لي ان باستطاعتي اغنائك بها"[147]. فـي عـام 1828، اوحى فوينة لهيجو القصيدة الرائعة ذات الفلسفة الدينية لفريد الدين عطار "*منطق الطير*" والتي ستوحي لهيجو ديوانه "*الله*".

وقد يتساءل المرء حول السبب الذي دعى فوينة المتحمس لاغناء هيجـو بالمعلومات بنسيان حقوقه كملهم. لقد سبق وان قلنا ان فوينة كـان قـد اعتنـق الاسلام، وهذا يعني انه مقتنع تماماً بالعقيدة الاسلامية؛ وهنا بيت القصـيد علـى مايبدو لنا، ربما كان لفوينة هدفا يود ان يصله، فقد كان يأمل من صديقه هيجـو ان يفهم الاسلام بشكل صحيح، ولكن خاب امله واحبط؛ فقد نشر مؤلفه "*اختيـار اشعار شرقية*" عام 1830، أي بعد ظهور "*الشرقيات*"، وفيها [ترك لنفسه العنان ان يتكلم بلهجة يغلب عليها السخط والتي تبدو موجهة ضد فيكتور هيجو: "صرخ قائلاً : ياللتعاسة. ارددها ثلاثاً ياللتعاسة، الى ذلك الذي يقرأ عن شعراء الشـرق دون ان يلم بطباعهم ، بمحيطهم ، بحاجاتهم، بأرضهم وبسمائهم"][148]. الا يمكننا ان نستنتج من ذلك معنىً دينياً وذلك لكون كل ما ذكره يدفع بهذا الاتجاه.

على ان رغبة فوينة ستتحقق فيما بعد، وان شرق هيجو سيكون متطوراً منذ عهد "*الشرقيات*"، "وعلى الاخص باتجاه نفس الطرق التي دله عليهـا آنـذاك فوينة معتنق الاسلام"[149]، ففي "*اسطورة القرون* "سنرى كيف سـتتغير صـورة

---

[146] ريموند شواب. المصدر السابق. ص353

[147] نقلاً عن لويس كامبو. المصدر السابق. ص83.

[148] لويس كامبو. المصدر السابق. ص84.

[149] ريموند شواب. المصدر السابق. ص393.

الاسلام من البربرية في سنوات العشرينات الى المراعاة والاحترام في سنوات الخمسينات .

ج. تحليل مواد القصائد

1. الفكر الاسلامي

في اغلب قصائد "*الشرقيات*" التي كتبت تحت تأثير حرب الاستقلال الهيلينية، نلمس في كل مرة نفس نبرة الحقد والتهكم والعداء للاسلام. فحماس الشاعر لليونان اجبره على غض النظر على كل ماله علاقة بتركيا: دين، ثقافة، حضارة..

ان القصائد التي سنحللها فيما يتعلق بالاسلام تأخذ دائما طابع الاستهزاء بالمعتقدات الدينية والعقائد الاسلامية. لم يتعلم فيكتور هيجو من الاسلام في هذا الوقت سوى الشهوة والقسوة والتعصب الديني، والذي لايعبر عن واقع الاسلام ، ولكنه يصف اولئك الذين يتصرفون على هذا النحو بأسم الاسلام وهم السلاطنة العثمانيون.

I / العقائد

وضع هيجو مواضيع تحريم المشروبات الكحولية وتعدد الزوجات جنبا الى جنب كما لو انه يلوم المسلمين على تعصبهم الديني. فيُعبِّر عن ذلك بصورة المفتي الذي يصرخ ليوقد الحماسة الحربية لجنوده:

"*أسحقوا يامؤمني النبي المقدس*

الجنود المترنحين السكارى من الخمر

اولائك الرجال الذين لايملكون غير زوجة واحدة"[150].

ان تحريم الخمر وتعدد الزوجان هما امران معروفان لايمكن انكارهما في

---

[150] الشرقيات VI اكتوبر 1828.

الدين الاسلامي؛ ولكن من غير المعقول ان نصغي الى المفتي ليلقي خطاباً هكــذا من اجل تحريض الجنود على القتال. كما لا نجد في تاريخ الفتوحــات الاســلامية والحروب مع اعدائهم أي اشارات الى ما قاله الشاعر . وانما كانت الحماسة من اجل الفوز بالشهادة والنعيم في الاخرة. ويبدو ان الشاعر، ولكونـــه بعيــداً عــن الاسلام، عالج هذين الموضوعين استهزاءاً برجال الدين المسلمين ، وحــاول ان يبرز التعصب الديني الذي يرفضه بقوة ؛ فهو يرى ان مبــادئ الاســلام صــعبة التحقيق ، وفروضه ثقيلة جداً ولايمكن تحملها ، كقوله لاحد السلاطنة:

***"هل تخلى في رمضان عن الصوم القاسي؟"*[151]**

وكبعض المستشرقين الذين لايرون في الاسلام سوى العبوديـــة، تحــدث هيجو بشكل مسهب عن الحريم وعن طبقة العبيد عند المسلمين:

"ماذا أصاب السيد؟ - هكذا تصرف العبيد. ....

***مرتباً حريمه كالقلعة"*[152].**

وهذه الامور تزيد من غضب الشاعر الذي كان ينشد الحرية حتى نهايــة حياته.*

ان موضوع الحريم يقودنا الى مسألة الحجاب عند المرأة المسلمة والذي هو في نظر الشاعر ليست فقط ضد الحرية ولكنه اهانة لأبسط حقــوق المــرأة ، ففي احدى القصائد التي تحمل عنوان *"الحجاب"*[153] تحامل هيجــو علــى الغيــرة الشرقية وتحدث عن قصة فتاة شابة اتُّهِمت برفعها جزءًا من حجابها عند عودتها

---

[151] الشرقيات **VII** ديسمبر **1827.**

[152] المصدر نفسه.

* وفي الحقيقة لم يقبل الاسلام العبودية ووجود الحريم الا في اوقات معينة، ففي فجر الاسيلام لم يكن مــن الممكــن الغــاء العبودية بشكل مفاجئ ولكن بشكل تدريجي. من جهة اخرى لم يتوقف الاسلام عن المطالبة بالغاء العبودية في حالــة معينــة، سواء كان بدل توبة او صوم.

[153] المصدر نفسه **XI** سبتمبر **1828.**

من الحمام فكان ان رآها احد الشباب، قُتِلت هذه الفتاة من قبل اخوتها الاربعة الذين ارادوا الانتقام لشرف العائلة. رغم ان هذه القصة لم تكن نادرة في ذلك العصر ولكن هذا يبدو كتقليد متعصب بعيد عن الاسلام الذي يزن العقوبة بمستوى الخطأ والجريمة* فلا عقوبة الا للزناة في قوله تعالى "والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة..".[154]**

وعلى العكس، في مكان آخر اعجب هيجو بطريقة حساب المسلمين لايامهم:

"مدن ذو قباب ذهبية حيث تكون شهورها اقماراً"[155]

II / المخلوقات

تقود الاهمية التي يوليها هيجو حول الحياة الآخرة والكائنات غير المرئية بدورها الى استلهام كل مخلوق غريب في الاديان الاخرى. فأستوحى هيجو من الاسلام الحور، وعزرائيل والجن. كان هيجو مشدوهاً بما قيل عن جنة المسلمين. فالحور* مثلا اثارت خياله:

"بعد المعركة، احب ان يضحك صوتها المتناغم ،
ومن صرخات الحرب التي لم تزل اجش،
احب ان تشدو الحور والحب!"[156]

** قديماً لم تكن الحمامات في البيت، كانت مواقع خارجية واليوم لم يتبق منها سوى القليل.

* لايذكر القرآن الكريم عقوبة للتي لاترتدي الحجاب، مع ذلك فهو يدعو اليه بوضوح، انظر سورة النور ، الاية **31**.

[154] القران الكريم . سورة النور. الاية 2

[155] الشرقيات **XLI** نوفمبر **1828**.

* الحور: عبارة عن فتيات جميلات في جنة الاسلام وعذراوات. يكافئ المؤمنين بالزواج منهن."وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون." القران الكريم. سورة الواقعة . الايات **22 - 23**

[156] الشرقيات **XV** مايو **1828**.

ويجد هيجو في الملاك عزرائيل موضوعاً مثيراً للفضول ، فيرعب به شخصيات قصائده:**

"هل أروه في الحلم ، في حدود الارض،
الملك عزرائيل، واقفاً على جسر جهنم؟"[157]

يعّرف لنا هيجو عزرائيل بأنه "مَلَك القبور التركي"[158]. فتركي ومسلم تعني له الشيء ذاته ، فهو لايستطيع التمييز بين الاثنين. وربما كان الشاعر قد وجد هذه المعلومات، كما يرويه لنا الباحث بيير ألبوي، في "*ملاحظات تاريخية ونقدية حول المحمدية*" لجورج سال Georges Sale، الموضوعة في بداية ترجمة القرآن من قبل دورير (1775)[159]. ومن الملاحظ في هذا البيت نفسه ان "*جسر جهنم*" مذكورة في القرآن بإسم "صراط" والذي يعطي المعنى نفسه.

ففوينه هو من اعلمه بـ"يوم الحساب واجتماع الشهداء"[160] حيث يتوجب على كل شخص المرور فوق هذا الجسر الدقيق والمرعب، كلٌ حسب سرعة اعماله الصالحة. اذن فمن الممكن ان يكون فوينة المسلم قد اعلم هيجو بكل مايحدث للانسان منذ ولادته حتى يوم الحساب في العقيدة الاسلامية. واستعار هيجو من هذه المعلومات فكرة الروح الانسانية التي تذهب وحيدة و "*عارية*" عند الموت. وانه سيكون هناك سجل عن سلوك كل انسان.

"روحك ستصعد عارية في كتاب جرائمك
سيقرأ لك الشيطان اسماء ضحاياك!"[161]

** لم يذكر الملاك عزرائيل ابداً في القرآن ولكنه معروف جداً في التقليد الاسلامي كملك الموت.

[157] الشرقيات **VII**. ديسمبر **1827**

[158] الملاحظة **VII** للشرقيات.

[159] انظر تعليق بيير البوي في فيكتور هيجو، الاعمال الشعرية **I** - قبل المنفى. المصدر السابق. ص**1306**

[160] الملاحظة **XXVII** للشرقيات.

[161] الشرقيات. **XIII** نوفمبر **1828**.

الاختلاف الوحيد هنا انه في القرآن الإنسان نفسه وليس الشـيطان يقـرأ كتابه "اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا".[162]

مثلما احتوى القرآن على سورة كاملة عن الجن، يصف لنا هيجـو فـي احدى قصائده المليئة بالرعب والتي سماها "*الجن*"[163]، الخوف الذي يملؤ الانسان وهو يشعر بقرب الجن منه ، والجن يصفهم لنا القرآن بالكائنات غير المرئية[164]، لذا سوف لن يعرف هيجو وصفهم. يمكننا القول ان هيجو كان بالاحرى يستدعيهم لان "*الجن العرب تستطيع في الاماكن الجرداء التي تلازمها مفاجأة المسـافر ، لا بل اختراق الدور غير المغلقة باحكام مساءً*"[165]. وعلى نفس المنوال سارع هيجو الى هذه الصورة الشرقية ليشعر بها ، وهي قادمة في الظل، ليسمع جلبتها، ولكي يحضر تأثيرات اذاها ، ولكنه يبقى مع ذلك مسلوب القوة امـام جبروتهـا. فـي النهاية يسارع هيجو الى طريقة اسلامية للاحتماء منها عندما يشعر المرء بعـدم الراحة والانزعاج، هذه الطريقة هي استدعاء اسم الله او اسم النبي محمـد (w). وعندها ستلوذ الجن بالفرار حالاً:

"*ايها النبي! لو انقذتني يدك من هذه الشياطين الشريرة عند الليالي،*........
***اجعل نفخاتهم ذات البريق تتلاشى عند هذه الابواب المسكونة بالايمان.*"[166]**

في هذه القصيدة، يعيش هيجو في عز الاجواء الشرقية، فهو يمزج الخرافات الشعبية بالمعتقدات القرآنية. وواضح جدا انه يتمثل بالايات القرانية الكريمة منها "اعوذ بالله من الشيطان الرجيم : وقل اعوذ بالله من همزات

---

[162] "اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا". سورة الاسراء ، الاية **14.**

[163] الشرقيات **XXVIII** اوغسطس **1828.**

[164] القرآن الكريم سورة الاعراف الاية **27.**

[165] فيكتور هيجو، الاعمال الشعرية. الجزء الاول قبل المنفى. المصدر السابق. ص**1318.**

[166] الشرقيات. المصدر السابق.

الشياطين. واعوذ بك رب ان يحضرون"[167]. وفي العادة ان المسلم اذا اراد الخروج في سفر موحش فانه يقرأ اية الكرسي سبع مرات وبذلك ينقذه الله تعالى من اغواء الجن.

III / التعابير

تناثرت في "الشرقيات" تعابير دارجة في الحياة اليومية للمســلمين، مثــل ذكر اسم الله كما هي العادة عندهم في الصلاة والحرب، وفي حالة الدهشة وعنــد البدء بأي مشروع كان . وقد استعار هيجو هذه الكلمة المــذكورة علــى لســان الناس عند اللحظة التي خرج فيها علي باشا:

"في احد الايام كان علي يمر:

انحنت الرؤوس العليا الى الاقدام.....

كل الناس كانت تقول: الله!"[168]

الى جانب اسم الله نجد شعار التهليل الاسلامي الذي وضعه هيجو في مقدمة احدى القصائد:

لا اله الا الله[169]

هذا الشعار تُرجِمَ وكُتِبَ بشكل صحيح .

ولكي يعطي الى "شرقياته الطابع المحلي" لم ينس هيجو ان يطلق على الســلاطنة العثمانين القاباً كان المسلمون من خلالها يمجدونهم قديماً وحديثاً مثل "*ظــل الله*" و "*نور الانوار*":

"يا للاسف! لم يفطر ظل الله!"[170]

---

[167] القران الكريم. سورة المؤمنون. الايات 97، 98.

[168] نفس المصدر XIII نوفمبر 1828.

[169] نفس المصدر XV نوفمبر 1828.

[170] الشرقيات VII، ديسمبر 1827

"*علي تبليني، نور الانوار*"[171]

ربما كان اللقب الاول قد استعير من كتاب "رحلة الى سوريا" لــ فــولني Volney: حيث ذكرت هذه العبارة: "ظل الله فــوق الارض. هــو لقــب يمنحــه السلاطنة لانفسهم"[172] اما اصل اللقب الثاني فيعود الى القرآن الكريم[173] حيث ذكر في وصف الله بالتقدير والتمجيد .

IV / المفردات

يقول ج. لانسون G. Lanson، "يمتلك فيكتــور هيجــو احــدى اغنــى المفردات التي يستعملها الشاعر... فهو يحب الكلمات الغريبــة الغيــر معروفــة لمتطلبات الانسجام التي يمكننا ملاحظتها"[174]. وهكذا فهو يميل الى الكلمات النادرة في القرآن من مثل "*طوبى*" و "*سجين*". ففي قصيدته "*الطفل*" يبحث هيجو عن اثمن شيء ليقدمه للطفل اليوناني الباكي ليرجع اليه ابتسامته، فيقتــرح عليــه ثمــرة "*طوبى*":

"او ثمرة طوبى، من هذه الشجرة العظيمة جداً
بحيث ان حصاناً راكضاً دائماً بعجلة وثابة
يقضي مئة عام للخروج من ظلها؟"[175]

كما نلاحظ استعمال هيجو لكلمة "*طوبى*" كما هي مذكورة في القــرآن، اي في العربية، ويُهَمِّش عليها: "انظر الى القرآن بالنسبة لشجرة طــوبى كمــا هــي بالنسبة لشجرة سجين. جنة الاتراك لها شجرتها كما لها نارها"[176].

---

[171] نفس المصدر XIII مارس 1828.

[172] فيكتور هيجو، الاعمال الشعرية، الجزء الاول قبل المنفة، نفس المصدر، ص1310.

[173] انظر القران الكريم. سورة النور. الاية 35." الله نور السمواة والارض" "نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء"

[174] كوستاف لانسون. تاريخ الادب الفرنسي. باريس، دار برودارد توبان 1960. ص1058 -1059.

[175] الشرقيات XVIII يونيو 1828.

[176] الملاحظة XVIII للشرقيات (ملاحظة مخطوطة).

وهذا يدفعنا للتفكير بأنه اما ان هيجو وجد كلمة "طوبى" في نسخة من القرآن ولم تترجم الى معناها الحقيقي وهو "العمل الطيب" او ان فوينة هو الذي اعلمه بكم من المعلومات ليختلط الامر في النهاية عليه. فالشجرة التي وضعها هيجو في قصيدته هي شجرة السدر[177]. وبنفس الطريقة بمقابل كلمة "طوبى"، سجين تعني له شجرة "*خاصة بالارواح الشريرة*":

"سيضعك الله في اغلال من الحديد.

تحت شجرة السجين الخاصة بالارواح الشريرة

التي ترتجف منكمشة فوق اغصانها السود، في ليل جهنم السابع!"[178]

ويمضي هيجو بهذا التعريف الى أن ["سجين" هي الدائرة السابعة للنار التركية. كل نور محجوب عنها من خلال ظل شجرة واسعة"][179]. وهذا يشير الى ذاكرته التي لاتميز بين المواد التي استوحاها من فوينة. فالشجرة التي قصدها هيجو هي "الزقوم"، المذكورة لثلاث مرات في القرآن[180].

والان لنضع المعاني الحقيقية للكلمات جانباً، فلو نظرنا الى الموضوع من زاوية اخرى سنجد ان المعنى العام للكلمة صحيح دائماً: "فكلمة "طوبى" التي تعني "العمل الطيب" الموعود للمؤمنين ستكون رمزاً لشجرة الخير ، ثمارها مضمونة للمؤمنين ؛ وكلمة سجين التي تعني "كتاب مرقوم"[181] الخاص بالكفار تحورت صورته على شكل شجرة مريعة موعودة للكفار.

ظهر الفكر الاسلامي عند هيجو في اشكال متعددة، احياناً خاطئة واحياناً

---

[177] انظر حديث الرسول محمد (ص) في الاسراء والمعراج والذي نقله ابو هريرة في تفسير ابن كثير. دار احياء الكتاب العربية، الجزء 3، ص19. ويلمح القرآن الى هذه الشجرة في سورة النجم الاية16.

[178] الشرقيات. XIII نوفمبر 1828.

[179] الملاحظة XIII للشرقيات.

[180] القرآن الكريم سورة الصافات، الاية 62 ؛ سورة الدخان ، الاية 43 ؛ سورة الواقعة ، الاية 52. "ان شجرة الزقوم طعام الاثيم"

[181] القران الكريم . سورة المطففين. الايات 7، 8، 9. "كلا ان كتاب الفجار لفي سجين. وما ادراك ما سجين. كتاب مرقوم."

صحيحة: مع ذلك لم يتوصل الى الوجه الحقيقي للاسلام. فهو لم يحلل ذلك ولم يبحث فيه بعمق؛ في الحقيقة لايبدو ان هيجو كان مهتماً ومفكراً بالموضوع اصلاً.

من جهة اخرى سيكون من السخف ان نلوم هيجو على هذه الاخطاء وعلى عدم اكتراثه، لاننا في النهاية وعلى وجه الخصوص امام شاعر، فالامر اذن لا يتعلق بمفسر الكتاب المقدس او برجل دين مسلم، ثم لنكن منصفين مع الشاعر الذي اشار بنبل اهدافه في مقدمة ديوانه:"ببساطة اخذته النزوة في كتابة "*الشرقيات*" لم يعني الديوان بالنسبة له سوى محاولة فنية لا أكثر.

2 - صفات المسلم

بداية، علينا توضيح حقيقة ان فيكتور هيجو كان يتصور المسلم من خلال مجتمع الاتراك العثمانين على اساس انهم يمثلون حكومات الدولة الاسلامية. هذه الصورة هي ثمرة ضروف العصر. لم يكن العداء ضد المسلمين في لحظة تأليف "*الشرقيات*" ذات طبيعة لتخفض نبرتها.

تحامل هيجو ضد العثمانيين، حتى انه ذهب احياناً الى الشتيمة، وبالنتيجة فهذه الصورة لاتعبر عن الروح الحقيقية للمسلم.

ظهرت في ا لديوان بشكل غامض شكلين متعاكسين حول صورة المسلم: الاول الصفات الحسنة وهي قليلة جداً وتمثل الشيء المثير للاعجاب في "*الشرقيات*"، والثاني الصفات السيئة التي يصف بها الشاعر الاسلام والمسلمين.

(أ) الشعب

الرجال

ان الشجاعة والفروسية من المزايا الحسنة التي يحب هيجو ان يصف بها العرب المسلمين. فهو يبين لنا في عدة قصائد ملامح هذه الشجاعة، كما في قصيدة "*صرخة حرب المفتي*" و "*شاعر الخليفة*" ، وعلى الاخص في قصيدة

"*مسيرة تركية*" حيث استعار المقاتل العثماني بعضاً من صفات الشجاعة من عرب الصحراء:

"احب الجندي الحقيقي، مرعب "بليال"؛*

عمامته الواسعة احالت جبهته اكثر قساوة،......

يكن لسيفه العتيق حباً بنوياً"[182]

وشجاعة المحاربين المسلمين نابعة من ايمانهم:

"في الحرب يصرخ المحاربون! محمد! محمد"[183]

وهنا يجهل هيجو صرخة المسلمين في الحرب التي هي "الله اكبـر". ولا يلفظ اسم محمد في الحروب الا لقول "لا اله الا الله محمد رسول الله". ويبـدو ان الشاعر يعتبر النبي محمد (ص) هنا كما لو كان مؤلهاً من قبل المسـلمين أسـوة بصورة عيسى (ع) عند اكثرية المسيحيين.

تترافق الفروسية مع الشجاعة عند المسلمين ؛ ففـي قصـيدته "*وداعـاً للضيافة العربية*"، يصف لنا الشاعر براعة الفارس العربي المسلم:

"حدوة حصانك تثير الغبار من الحصى الصلبة

وتقدح شرارا من النار؛

وتضوي كلمعان الرماح في الظلام"[184].

هذه القوة نابعة من الصحراء ، حيث يتعلم الرجل الصـلابة والصـرامة والرجولة وكل المزايا الحسنة للمحارب الحقيقي. ان هذه الابيات تـذكرنا بالايـة القرانية الكريمة : " والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا، فـالمغيرات صـبحا ،

---

* يبدو انها اسم لمدينة

[182] الشرقيات. **XV** مايو **1828.**

[183] الشرقيات. **VI** اكتوبر **1828.**

[184] نفس المصدر. **XXIV** نوفمبر **1828.**

فاثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا"[185] .

ولنأتي الان الى المساوئ ، ان اكثر ما يبغض الشاعر في صفات المسلم هو مذلته و فقدانه للنبل، وطاعته العمياء للطغاة، ونفاقه امام الملوك ، والذي تشهد عليه قصيدته "*شاعر الخليفة*"[186]. وعلى عكس اليوناني فالتركي ليس لديه كرامة ولا شرف حسب قول هيجو، ولايستحق ان نرثيه ؛"انه كما لو كان عبداً لايمكن ان يثير سوى الاحتقار"[187]:

"ولكن هؤلاء الموتى المجهولون
الذين لايميزون في اوساطنا القوية الهميمة
بين جباههم الدنيئة والجباه البطوليه
هم الابناء الملعونين لأبليس والشيطان"[188]

وتأتي غالبية الصفات السيئة التي يصف بها الشاعر المسلمين من تفاصيل الحرب التي تستطيع أن تقدم الاف الصور المريعة لتدعم افكاره. والاسوء قد يكون هذا المشهد في قصيدته "*المدينة المحتلة*" الذي ليس له ادنى علاقة بالمقاتل المسلم:

" ايها الخليفة! ارتجفت الامهات وبكيت العذارى خافقات القلب
لسنواتهن الفتية الذابلة وسَحَبَ المستخدمون المتهورون الى خارج
الخيام اجسامهن الحية بالضرب وبِقُبَلٍ مميتة"[189].

وفي الابيات الاتية يدين هيجو القراصنة (المسلمين) الذين لا يتوانون عن فعل أي

---

185 القران الكريم. سورة العاديات. الايات 1 -5 .
186 نفس المصدر. XXXVIII اكتوبر 1828.
187 عمر شخاشيرو. المصدر السابق، ص88.
188 الشرقيات. III، IV يونيو 1826، انظر ايضاً :
القصائد XI سبتمبر 1828 وXIII نوفمبر 1828.
189 نفس المصدر. XXIII ابريل 1825

شيء بالقوة حتى وان كان بتغيير ديانة المقابل:

"ايتها الفتاة الجميلة، يجب ان تصمتي،

يجب ان تتبعي طريقنا......... سنجعلك محمدية"[190].

النساء

نجد في ديوان "*الشرقيات*" النساء المسلمات محبوسات في بيوت الحريم، يعانين من العبودية التي رمين بها، كما في قصيدة "*رؤوس السراي*"[191] ، او "*ألم الباشا*"[192]. من جهة اخرى، اختار هيجو من الحيـاة الاسـلامية مشـاكل تعـدد الزوجات ؛ فحسب رأي هيجو ان تعدد الزوجات يثير الغيرة ويبعث على الاحقـاد والمشاحنات داخل بيوت الحريم. ولهذا السبب نجـد ان "*السـلطانة الاثيـرة*"[193] تطالب بأعدام منافساتها.

ومن الملاحظ ان المرأة المسلمة في هذا الديوان تعاني دائماً مـن عـدم احترام ابسط حقوقها، من فقدانها للحرية ، ومن القيود المحكومة بها ، اما بسبب المعتقدات الدينية ، او بسبب التقاليد المتعصبة. ففي قصيدته "*الحجاب*"[194] يبـين لنا هيجو ما ينتظر تلـك التـي "تبتعـد عـن التطبيقـات القاسـية للمسـلمين المتأخرين"[195]. ويبدو لنا ان الشاعر يتكلم بالاحرى عن قانون قرآني تطور فـي اوساط المجتمع الشرقي ليتحول الى عادات وتقاليد غير قابلة للتراجع.

وتظهر المرأة المسلمة في هذا الديوان محتَقَرة . فالمسلم من وجهة نظر هيجو يزدري المرأة دائماً. وبالمقابل فالذي يراعيها هو جبان في عين اقرانه:

---

[190] نفس المصدر. **VIII** مارس **1828**

[191] الشرقيات. **I, III** يونيو **1826.**

[192] نفس المصدر. **VII** ديسمبر **1827.**

[193] نفس المصدر. **XII** اكتوبر **1828.**

[194] انظر ما ذكرناه في ص **55** .

[195] مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص**238.**

"الذي يحب احاديث أمرأة واحدة...... هو شخص جبان، ..."[196]

في قصائد اخرى مثلما في قصيدة "سارة المستحمة"[197] وصــفت صــورة المرأة كما لو كانت في اجواء الف ليلة وليلة. وهو خارج موضــوعنا فــنحن لا نعالج سوى ماله علاقة بالاسلام.

وبأختصار فعندما يصف هيجو حال المرأة المسلمة فهو يراها دائماً ضحية القوانين القاسية للدين.

(ب) رجال الدين

يحب هيجو ان يعدد في ديوانه "*الشرقيات*" المراتب المتعددة لرجال الدين. فعلى طول الديوان نجد أسماءًا مثل مفتي وامــام ودرويــش وعــالم ، فيصــف الشاعر هيأتهم بصفات متعددة ، ويذكرهم في قصــائده لاعطــاء ديوانــه اللــون المحلي و "ليستهزأ" ،كما يبدو لنا من اتباع نبي الاسلام. فهو يصف الائمة مثلاً ، باعتبارهم قدوة المسلمين ، كمنافقين يقولون شيئاً ويفعلون عكسه :

"تاركين الائمة الذين يلقون الخطب في المساجد،
يشربون الخمر في الليل، ويشربونه ايضاً في يوم العيد"[198]

اذا امعنا في حضور رجال الدين المسلمين في هذا الديوان فيبدو ان هيجو لم يعي بدورهم الحقيقي ، ولم يفهم مهماتهم. فقد اكتفــى بتــأثيرهم فــي بــلاط السلطان. والحالة الوحيدة الايجابية التي ذكرها الشاعر قد تكون حالة "الدرويش" الذي لايتردد في مواجهة (علي باشا) ليذكره بجرائمه وليتنبأ بنهايتــه فــي يــوم الحساب:

---

[196]الشرقيات. XV مايو 1828.
[197] الشرقيات. XIX يوليو 1828.
[198]نفس المصدر. XV مايو 1828

"ولكن سيأتي يوم حسابك، ففي "جنينا" الساقطة
لا بد ان ينهار القبر ويفتح تحت قدميك في النهاية ،
اعد الله لك اغلالاً من الحديد"[199]

هنا نجد المهمة الحقيقية لرجل الدين المسلم الذي لايخشى الا الله ، والذي من اجل قول الحقيقة يذهب لمواجهة اسياده بشجاعة. وهكذا لا اهمية عنده الا لضميره لايصال صوت الله والحق في كل مكان.

(ج) الحكام، النبلاء

ان معظم القصائد التي تتعلق بالاسلام فـــي "*الشـــرقيات*" تخـــص الحكـــام والنبلاء في الدولة العثمانية. فعندما يصفهم الشاعر يزدري بهم. ويظهر السلاطنة العثمانيون في هذا الديوان كمتوحشين، قساة، بوهيميـــون، دمويـــون، اشـــداء، ساديون، اغبياء، عنيدون، متعصبون، اعمياء من العشق ، وغالبـــاً شـــهوانيون وباحثون عن اللذة. باختصار القسوة والشهوة والغباء هـــي الصـــفات الرئيســـة للحكام (المسلمين).

- **<u>القسوة</u>**

منذ القصيدة الثالثة تظهر القسوة الاسلامية. فهذه القسوة هي نفسها تقطع الرؤوس اليونانية ، وتعلقها في ابواب السراي. ففي قصيدة "*ضوء القمر*"[200] وضع الاتراك المسيحيين احياءًا في اكياس ورموها في امواج البحر[201]. تظهر القسوة في هذه القصيدة على شكل تناقض بين العذاب العظيم وعدم اكتراث السلطانة التي تعزف الجيتار.

---

[199] الشرقيات. **XIII** نوفمبر **1828**

[200] نفس المصدر. **X** سبتمبر **1828.**

[201] "نشرت الصحف الباريسية في عام **1828** بما مفاده ان السلطان قد اقدم على رمي السجناء المســـيحيين في البحـــر في نفس الضروف" ملاحظة فليب فان تيكم، نقلاً عن مؤنس طه حسين، المصدر السابق، ص**236.**

في قصيدة "*المدينة المحتلة*"، نجد كل مفردات القسوة في تفاصيلها، فبأسم الخليفة يتم الحرق والقتل والسرقة ، لا المصلين ولا الاطفال مستثنين من هذه القسوة:

"الاطفال الصغار جداً المسحوقون تحت البلاطات
***عاشوا تحت وطأة السيوف التي مازالت ترتوي بدمائهم..."*[202]**

وعندما يتحدث عن السلطان محمود، يستنكر هيجو تصرف بعض الحكام الذين يستخدمون القسوة دون جدوى حفاظا على حياتهم وترسيخ عروشهم:

"ايها الاخوة، اشفقوا على محمود! الذي ولد في ظل قانونه
الوحشي، تحجبه السلطة عن الناس وعن الله.
نظراته العمياء لا ترنو الى السماء .
عرشه الابدي والمتزعزع دائماً
***يحمل في كل زخرف زهري رأساً مدمى"*[203]**

السلطانة ليست اقل قسوة من السلطان، الم تكن هي نفسها التي طالبت بقتل منافساتها؟[204]

وعن طريق القسوة ايضاً يقترب السلاطنة من الباشوات الذين لديهم نفس مزايا اسيادهم : الغنى ، السلطة ، الفسوق ، كمثل (علي تبليني) الباشا المتسلط في"جنينا" او عمير، الباشا الغني في نيكربونت.[205]

- **<u>الشهوة</u>**

الى جانب القسوة، هنالك الشهوة كميزة يصف بها هيجو الحكام والنبلاء

---

[202] الشرقيات. **XXIII** ابريل **1825.**

[203] نفس المصدر. **III**، **V** يونيو **1826.**

[204] نفس المصدر. **XII** ، السلطانة الاثيرة. اكتوبر **1828.**

[205] الشرقيات. **XXI** مايو **1828.**

الاتراك المسلمين. فنرى مثلاً الباشا المسن عمير يجن بسبب حبه للازارا[206]، والسلطان احمد الذي ابدى استعداداً لكي يبيع دينه من اجل عيني حبيبته اليهودية الجميلة؛ فقد وافق على اعتناق المسيحية بطلب من عشيقته التي مع ذلك لم تكن بحاجة الى ان تبرر او تعطي حجة غريبة لطلبها، بما ان عشيقها مستعد ان يقول اي شيء لارضائها:

"لانه من غير الشرعي،
ان نعيش تلك اللذة التي بحثنا عنها
بين ذراعي تركي عاهر.
فلدي مخاوفي من ارتكاب خطيئة
يكفي ماقمنا به من أثم."[207]

وكما تحدث هيجو عن السلطان احمد، نجد تكرار نفس النبرة مع الباشا عُمير. فالاثنان وضعا ثروة امبراطوريتيهما تحت اقدام عشيقتيهما؛ واذا كان الثاني قد قدم مملكته تحت اقدام حبيبته، كان الاول على العكس بائعاً لدينه. هذا النوع من العشق غير المتناهي وهذا العهر يودي بالمسلم الى الإذلال ، فالشاعر يعطينا الفكرة التي مفادها ان الاثارة تجتاح فكر المسلم وان لاشيء يهمه سوى عشقه؛ وبهذه الطريقة يقدم لنا الشاعر ضعف الايمان الروحي عند الحكام المسلمين.

- <u>الغباء</u>

الغباء هو نتيجة الشهوة، فقد رأينا رجالاً عظماء يقعون في حب فتيات وينتهي بهم الامر الى غباء كبير،اي التنازل الكامل عن مملكتهم وعن ثروتهم.

---

[206] نفس المصدر.

[207] المصدر السابق. **XXIX** اكتوبر **1828.**

في قصيدة "*ألم الباشا*"[208] يقدم لنا هيجو القسوة والغباء في الوقت نفسه فالسبب الذي يجعل الباشا حزيناً جدا هو ان "*النمر الذي يملكه من بلاد النوبة قد مات*". وهكذا فلاشيء اكثر حزناً واكثر اهمية من الحيوان الذي يمتلكه، ذلك القاسي جداً عندما يتعلق الامر بالناس. لقد وصف لنا هيجو الباشا كما لو انه خالٍ من كل شعور نبيل، قليل الحرص في شؤون السراي، وغير مكترث لمسؤولياته لكي يبكي حيوانه.

يبدو لنا ان هيجو يهتم باعطاء القارئ روح الاستهزاء والازدراء في شعره، وعلى هذا الاساس يحثه على تكوين صورة سيئة عن الاسلام؛ لان اي قاريء لهذه القصائد دون علم بفكر الاسلام سيبتعد بالتأكيد من دين يتصرف رجاله على هذا النحو.

ولايمكن ان نجزم ان هذه الصفات كلها خاطئة. فالتاريخ يعطينا مايكفي من الامثلة المماثلة لتلك التي وصفها هيجو. "فوصف هيئة علي تبليني تظهر في التاريخ على هذا النوع تقريباً بكل اوصافه"[209].ولكن تبقى المبالغة في الوصف نبرة معظم القصائد. فالسلطان احمد الذي باع دينه من اجل عيني المرأة اليهودية لاتوجد سوى في مخيلة الشاعر الذي يرمي الى اظهار ميزة الاثارة لشخصياته.

بأمكاننا القول ان السبب الرئيسي الذي يدفع هيجو للكتابة عن شخصياته بهذه الكراهية هو بلا شك الصراع اليوناني-التركي الذي اخفى عنه الوجه الحقيقي للمسلم.

ونحن نسأل اذا كان الشاعرمن غير حوادث الحرب هذه ان كان سيكتب بنفس الطريقة! نعتقد انه كان سيرضى بوصف الحياة الشرقية على وفق اجواء "الف ليلة وليلة" التي قرأها في طفولته. وعند معالجته ديانة البلدان الشرقية، كان سيكتب حصراً حول التعصب الديني، كما هي نبرة بعض المستشرقين . والشاعر

---

208 الشرقيات. **VII** ديسمبر **1827.**

209 عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص**91.**

حتى بدون هذه الاحداث ماكان سيملك الرغبة الطيبة في فهم الدين الاسلامي او قراءة القرآن الكريم. كان سيكتفي بتقديم الدين بشكل سطحي بعيداً عن فكره الخلاق.

3. العمران الاسلامي

لم يكن العمران الاسلامي غائباً ابداً في "*الشرقيات*"، فمؤلف الديوان اهتم كثيراً بوصف بناء الجوامع والمنارات والقصور والقبب الذهبية او الفضية وبناء الدور على الطريقة القوطية؛ والنقوش الاسلامية والايات القرآنية على جدران الجوامع وابوابها.

استعار فيكتور هيجو هذه الصور من اسبانيا اثناء مدة اقامته عام 1811. كان مايزال صغيراً لذا انطبعت في ذاكرته كل المناظر الخلابة وترجمت في اشعاره على هذا النحو. وبالتأكيد فقد اضاف اليها من خياله الكثير من التفاصيل حول النقش الاسلامي ، الا ان مصدر هذا الوصف يبقى دائماً اسبانيا، التي فتحها العرب قبل اكثر من 700عام.

"ويبدو انه بالنسبة لهيجو لايوجد في داخل المدن الاسلامية سوى المساجد اي بشكل رئيسي قبب ومنائر. فالشيء الخلاب الاسلامي هو حصراً عمراني"[210]. ويقينا فقد انشد فيكتور هيجو ، وهو صغير السن ، غرابة الخطوط المتقاطعة والمنحنية والنقوش المتباعدة التي كان يهتم بها في الفن القوطي؛ واشار الى تأثير الثقافتين المختلفتين فيه: الجرس والمنارة. ففي "*رؤوس السراي*" نرى وصف هذا العمران الاسلامي:

"القبة القائمة في الليالي المزروعة بنجوم لاحصر لها.

....

قببها الزرق الشبيهة بالسماء التي تلونها.

---

210 مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص232.

الدور ذات السقوف المسطحة،واقواس الجوامع

......

هنالك ، منارات بيضاء حيث ينتصب هلاله

كساريات العاج المدججة بسهام من حديد؛"[211]

وتظهر اشكال هذا التأثير بشكل واضح في نهاية الديوان عندما حزن الشاعر لفقدانه اجواء شرقياته وصورها ، كما لو انه كان طوال وجود الديوان يعيش في حلم جميل، ثم فجأة استيقظ لكي لايرى سوى باريس... اذاً لم تعد هناك:

"*مدن القباب الذهبية حيث تحسب اشهره اقماراً*

ذهب كل شيء ، اختفى كل شيء ! – لم تعد هناك منارات

صهباء"[212]

بالتأكيد ان هيجو لم يفكر على ماترمز اليه هذه الاشكال العمرانية، فالقبة مثلاً هي تعبير عن السلام والاسلام؛ والمنارة دليل على الوحدانية[213]. ودون فهم لها ، احب فيكتور هيجو هذه المناظر ، حيث استعار قسم منها من قصص "الف ليلة وليلة":

"*احب في هذه الاقطار*

....

البجعة البيضاء

فوق المنارات البيضاء"[214]

---

[211] الشرقيات. I, III يونيو 1826.

[212] الشرقيات. XLI نوفمبر 1828.

[213] سعد زغلول. تاريخ الحضارة العربية الاسلامية. الكويت ، دار السلاسل 1986. ص555.

[214] الشرقيات. IX يوليو 1828.

ولكن قد يكون الوصف الاجمل هو وصف "الحمراء" ، وكانت تسمى سابقاً مسجد الحمراء*. ففي قصيدته "*غرناطة*" اعتبر هيجو قصر الحمراء احد روائع الفن العربي الاسلامي في اسبانيا:

"الحمراء! الحمراء! قصّرٌ كحلم طلاه العباقرة بالذهب
وكل شيئ فيه نسق
القلعة ذات الشرفات المزخرفة المتقادمة
هناك حيث نسمع ليلاً مقاطع ساحرة.
عندما ينشر القمر على الجدران سهاماً بيض
من خلال الآف الاقواس العربية"[215]

وصف هيجو غرناطة من خلال الاف الاقواس التي تدخل في اطار الشكل المعماري. ومن المعروف جداً سحر الحمراء، نقوشها وزخارفها العربية الاسلامية الموجودة في كل مكان، على الجدران والابواب والنوافذ حيث نجد ، فضلاً عن القصائد العربية ، عبارات وشعارات اسلامية محفورة مثل: "لا اله الا الله"؛ و "لاغالب الا الله" و "الحمد لله على نعمة الاسلام" و "لاقوة الا بالله" علاوة على الايات القرآنية مثل "وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم"[216]*. ولم يكن هيجو يفهم بالتأكيد من هذه الكلمات المكتوبة باللغة العربية اكثر مما نفهمه نحن من الاحرف الصينية المكتوبة في بضائع متنوعة. "لم يكن يهتم بعد بالشكل الديني

---

* كان مسجد الحمراء وسط الهضبة جنوب الروضة ، انشأه السلطان محمد الثالث ملك غرناطة (1302 -1309) ولما احتل الاسبان غرناطة اهملوه واقاموا فيه هيكلا واستعملوه كنيسة ، ثم هدم في سنة 1576 من قبل فيليب الثاني واقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا ، ولم يبق من اثاره شيئ سوى مصباح برونزي في متحف مدريد الوطني.اما قصر الحمراء ، فقد هدم جزءاً كبيرا منه واقيم مكانه قصر جديد من قبل شارلكان عام 1527، وكان هذا العمل في التجني على صرح الحمراء حافزاً للملك فيليب الخامس من 1701 -1746 للقيم بتخريب وتشويه له ، فعمل على مسخ طرازه العربي، واستبدل رالزخارف العربية بزخارف ايطالية. انظر محمد عبدالله عنان. المصدر السابق. ص208 -209.

[215]الشرقيات. XXXI ابريل 1828.

[216]انظر محمد عبدالله عنان. المصدر السابق. ص212.

*

او الفلسفي لهذا الاكتشاف كبعض معاصريه "[217]. مع ذلك لنأخذ بنظر الاعتبار هذه الحقيقة ، ولنفكر فيما اذا لم يكن الشاعر وهو "الطفل الهائل" قد فكر في اعماق نفسه في السبب الذي من اجله أولى العرب المسلمين هذا الاهتمام الكبير لدينهم ولكتابهم المقدس للدرجة التي يكتبون الايات القرآنية والشعارات الاسلامية على جدران الجوامع وقد طليت بالذهب والفضة ، بينما لانرى مثلاً كتابات الانجيل على جدران الكنائس والكاتدرائيات. نقول انه ربما كان هيجو قد فكر بهذا الموضوع ، وانه لم يجد جواباً سوى التعصب الديني الذي اكده كثيراً في قصائد الشرقيات. ورغم انه اعجب بالعمران الخلاب، "*الايات القرآنية على كل باب*"[218] ولكنه لم يفكر بالسبب الحقيقي للاحترام الكبير الذي يكنه المسلمون لدينهم.

كذلك نجد انه في مقدمة *الشرقيات* وصف هيجو الجوامع ذات *القباب النحاسية والقصديرية* بعد ان كان قد وصفها *بالقباب الذهبية والفضية* كما تشير الى ذلك مخطوطته. وبفحصنا الفرق بين الوصفين يبدو لنا انه كان من الصعب للشاعر الشاب ان يصدق بحقيقة مفادها ان المسلمين يطلون جوامعهم بالذهب والفضة وهذا يعلل التغيير الذي اجراه للعبارة عند النشر.

باختصار، لقد شاهد هيجو في مدينة الحمراء خاصة ملامح العمران الاسلامي والاهتمام بالدين الاسلامي؛ وبدون ان يفهم منها شيئاً فقد اعجب بها وانشدها في قصائده.

****

في النهاية نستطيع الاستنتاج والايجاز بأنه في لحظة كتابة *الشرقيات* كان لهيجو هدفاً ليس من اجل ان يكون في مستوى معاصريه في معالجة مواضيع الشرق حسب، وانما ايضاً ليكون له الصدى الاوسع بينهم. فاذا كانت *الشرقيات* قد سجلت نجاحاً خاصاً على مستوى ادب التغرب والرومانسية لكنها لم تنجح على

---

[217] ج.ب. باربير. المصدر السابق. ص49.

[218] مقدمة الشرقيات. النشرة الاصلية، يناير 1829.

المستوى الديني. فقد كانت هناك اسباباً وعوامل سبقت ظهور *الشرقيات*[219] ، والتي لولاها "ماكان هيجو قد اتجه لا الى الشرق ولا الى الاسلام ، وهو السبب الذي من اجله نعتقد ان اسلام هيجو كان متكلفاً"[220]. فلم يستعلم جدياً عن الدين الاسلامي، ولايبدو انه كان مهتماً لذلك، فاذا تحدث عنه كان كلامه سطحياً متخبطاً بلا معرفة، كان يبحث في الشرق عن كل ماهو مثير، والذي طالما حلم به منذ طفولته عند قراءته التوراة وقصص "الف ليلة وليلة". ومن هذا الجانب نستطيع ان نعد *الشرقيات* نوعا من الهروب لمؤلفه من المشاكل والازمات السياسية والاقتصادية التي كانت تعصف بالمثقف الفرنسي. لقد كان فيكتور هيجو يريد العودة الى الحياة العفوية الاقرب الى الانسان من تعقيدات الحياة الاوربية ؛ فعندما نقرأ قصيدته "*وداعاً للضيافة العربية*"[221] نجد بأن "الرجل الاوربي هو الذي ابتعد عن هذه الضيافة، وهذه العفوية، وهذه البساطة المعروفة عند العرب"[222].

لقد مارست الحرب اليونانية -التركية تأثيرها على صورة الاسلام في هذا الديوان، فقد حكم هيجو على تاريخ الاسلام كله من خلال مجموعة من السلاطنة الذين ظهروا بشكل يثير الاشمئزاز والسخرية، واختصرها في اربع كلمات هي: التعصب والشهوة والغباء ولاسيما القسوة. وهكذا نفهم السبب الذي من اجله قارن هيجو نابليون مع محمد "ص" عند وصفه للاول :

"عضيماً بدا في اعين الكتائب المدهوشة

كمحمد الغرب"[223]

ونحن نلوم هيجو لانه لم يميز بين مسلمين على مر العصور واتراك في

---

[219] انظر ما عرضناه في ص42.

[220] مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص224.

[221] الشرقيات. XXIV نوفمبر 1828

[222] اقبال عبدالكريم، غانم سعيد حسن، المصادر العربية في الشرقيات . مقالة نشرت في مجلة "التربية والعلم" العدد 19، كلية التربية، جامعة الموصل، ص149.

[223] الشرقيات. XL, II ديسمبر 1828.

عصر معين؛ فبالنسبة له الامر سيان. وهكذا فقد شوه صورة الاسلام عندما عالج موضوعه في اطار التفاصيل المرعبة للحرب ، والتي بالتأكيد لن تعطي انطباعاً حسناً.

ومن الجدير بالملاحظة انه رغم الاهتمام الذي ابداه هيجو باليونان كان احياناً يتعاطف مع المسلمين. ففي مقدمة *الشرقيات* كتب هيجو هذه الملاحظة: "البربرية* الاسيوية القديمة ربما ليست خالية من رجال عظماء كما تريد حضارتنا ان تجعلنا نصدق"[224]. وفي قصيدته "*نهر الدانوب في غضب*" وتحت حجة التنافس والمواجهة التي كانت بين الاتراك واليونان على ضفتي نهر الدانوب، سوملن "*ذات الاجراس السوداء القوطية*" وبلغراد*** *ذات المنارات البيضاء*، يعطي الشاعر الكلام الى نهر الدانوب الذي اربكه هذا الصراع فيقول:**

"أتتبادلون القنبلة السريعة
من اجل القرآن والانجيل؟"[225]

ويدعوهم هيجو باسم الدين ومن اجل السلام بالتوقف عن القتال:

"ماذا! أما تستطيعون العيش بسلام معاً"[226]

فضلاً عن هذا يذهب الشاعر احياناً الى الاعتقاد بأن الخطأ يقع على اليونان:

"سوملن الاكثر خصاماً
هي دائماً البادئة بالاخطاء"[227]

---

*"البربرية" كانت تنسب قديماً الى كل ماهو غير مسيحي او بالاحرى يعود الى الاسلام. انظر تنبوءات نوسترا داموس، ترجمت الى العربية من قبل جميل حمادة، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان، بغداد **1989**، ص**355**

[224] مقدمة النسخة الاصلية، يناير **1829**.

** ، ***سوملن المدينة الهنغارية التي تشكل جزء من الامبراطورية النمساوية في مواجهة بلغراد في الجهة الثانية من الدانوب والتي تعود للعثمانيين.

[225] الشرقيات. **XXXV**، يناير **1828**.

[226] نفس المصدر

[227] نفس المصدر.

هذه القصيدة تؤشر بعض النقاط البيض وسط السواد الذي احيط بصورة الاسلام في هذا الديوان.

اذن، كان هيجو في بداية عمره في العشرينيات غير قادر على تمييز الاشياء بوضوح وبشكل موضوعي. ولكن فيما بعد، اي بعد ثلاثون عاماً سيكون قد قدَّر وثمَّن الاشياء بانصاف اكثر ، وسيعطي الاسلام حقه في ديوانه الضخم "اسطورة القرون".

الفصل الثالث

ميل متردد نحو الاسلام

(1830 -1851)

I. ايمان هيجو وتشابهه مع الفكر الاسلامي

طوال المدة التي تمتد من 1830 الى 1851 من حياة هيجو (اي قبل المنفى) كان تفكيره الديني يتغير عدة مرات: كنا نجده تارة شكوكياً وتارة، مؤمناً.

لكي نفهم كيف سار تفكير الشاعر في هذه الفترة، سيتوجب بداية فحص اسباب هذا الارتباك بالاراء، ودراسة انواع الشكوك التي اجتاحته وفحص تفكيره حول المسيحية من اجل ادراك الكيفية التي قادته شيئاً فشيئاً الى تكوين طريقة تفكير خاصة به. وسنرى كيف انه يتوافق في بعض جوانبه مع الفكر الاسلامي؛ ومن جهة اخرى سنكتشف ايضاً كيف ان هذا التفكير سيقوده للاهتمام بالاسلام.

- **جذور الشك لديه**

تتميز المرحلة 1830 -1851 بالاستقرار السياسي في فرنسا، مما كان له الفضل الكبير في اعمال فيكتور هيجو في هذه الفترة. لذا تركزت ازمات الشاعر حصراً حول حياته الخاصة، ماعدا الايام الثلاثة الثورية في يوليو 1830.

شهد هيجو لحظات عصيبة في حياته، فأحداث الايام الثلاث الماجدات كما تسمى، وانتفاضة الشعب تركت تأثيراً مرعباً في فكره ، فخصص لها القصائد الاولى لديوان "*اوراق الخريف*". وحتى بعد عامين على الهيجان الشعبي، عبر هيجو عن معاناته من هذه الحركات الشعبية المصحوبة دائماً بالاضطهاد، والتي تجر وراءها عدم استقرار وزعزعات جديدة.[228]

---

[228] انظر اغاني الغسق. **1835 V,VII.**

في الوقت ذاته، وفي عام 1830 كان لفقدان حبه الاول، على اثر خيانة زوجته مع صديقه سنت بوف Sainte-Beuve ، والذي تبع ضياع صداقته مع هذا الاخير ، الدور الكبير في اصابته بكآبة عميقة، فباتت ملامح وجهه جديدة، "النظرة دائماً حالمة ، تتجه الى العمق"[229]. وهذه الاحزان تركت بصماتها "*اوراق الخريف*" ، حيث لانجد صعوبة في تلمس النبرة الكئيبة والحزن الذين ملآ قصائده دون توقف.

وقد وازنت من حالة روحه تلك العلاقة التي ربطت الشاعر مع جولييت درويه Juliette Drouet عام 1833 ، فقد اعطته املاً واندفاعاً جديداً في الحياة. فكر هيجو ان الله تعالى انقذه من الحزن عندما منحه السعادة من جديد. من هنا نفهم السبب الذي من اجله كان هيجو بين طرفي ميزان، احدى كفتيه الشك والآخرى الايمان (لان هيجو قبل كل شيء شاعر رومانسي ، يرنو لعكس حالته الروحية في الشعر) وكان السبب في ذلك هو الايمان والروح الدينية لجولييت نفسها، فقد كان هيجو يكلمها عن الثقة والامل بالله، وهو موضوع كانت تحب كثيراً الاصغاء له.

وفي عام 1843 اجتاحه الحزن من جديد ، ولكن هذه المرة كان اشد من السابق ، وذلك بسبب الموت المأساوي لاعز اولاده ، وهي ابنته ليوبولدين Léopoldine، تلك التي كانت تمثل الصلة الوحيدة لتقوية ايمانه في لحظات حزنه والتي من اجلها كتب قصيدته "*الصلاة من اجل الجميع*"[230]. وقد ترك لديه حادث موت ابنته جرحاً لا يندمل، يترجمه بإخلاص ديوانه "*التأملات*".

---

[229] اندريه موروا. المصدر السابق. ص213.

[230] اوراق الخريف. XXXVII 1830.

ويكفي ان نقرأ ملامحه في هذه الفترة لنفهم مدى حزنه: "بدا جاداً، رزيناً عميق التفكير، عين غارقة في الظل، وذقن مبجل وقوي، واحياناً متمـــرد ولكـــن بشرف"[231].

وبعد مرور ثلاثة اعوام ماتـــت كليـــر براديـــه Claire Pradier ابنـــة جولييت درويه. ومنذ ذلك الحين لم يتوقف ابداً عن التفكير بالحياة الآخرة. فقـــد احدث موت الفتاتين عند هيجو ظهور رغبة محوجة جديدة لديه ، هي الايمان بانه قد يلقى يوماً تلك الفتيات الشابات الميتات وتلك الارواح المختفية .

لذا فقد بدأ يتأمل حياة القبر."كان يبحث عن ايجاد فلسفة دينيـــة ؛ وكـــان يدرس عن المنجمين الذين يخبرونه بامكانية الاتصال مع الارواح المختفيـــة فـــي هذا العالم"[232].

كل هذه العوامل تبرهن لنا الحالة غير المستقرة عند هيجو المفكر. كـــان تفكيره على هذا النحو: كلما كان هناك حزن كان هناك شك ، لاسيما مع شـــخص قد اصطدم لتوه بمشاكل الحياة الحقيقية. وهي حقيقة لايمكن انكارها، وقالها هيجو نفسه موجهاً كلامه الى الله:

"اعتبر ياإلهي!بأننا نشك عندما نعاني"[233]

وعلى العكس كلما كانت هناك سعادة كان هناك ايمان، ولكن فـــي بعـــض الاحيان يولد الايمان العميق من حزن عميق ،كما تشهد على ذلك قصيدته المؤثرة "*الى فيلكيه* "[234].

---

[231] اندريه موروا. المصدر السابق. ص**324.**

[232] اندريه موروا. المصدر السابق. ص**213.**

[233] التأملات. الكتاب الرابع **XV (A Villequier)**، سبتمبر **1847.**

[234] المصدر السابق . استغفر الشاعر في هذه القصيدة عن شكه ثم عاد واستسلم الى ربه بايمان اكثر قوة من ذي قبل متأملاً رحمته وفضله.

• أنواع الشكوك

عندما نتأمل طويلاً الازمات الشخصية لهيجو نلاحظ انه بدأ بالتفكير بعمق اكثر حول لغز القدر الانساني ، ووضع اسئلة لاحصر لها حول معنـــى الحيـــاة ، وبالتأكيد دون ان يجد اجوبة شافية. ففي قمم الجبال كان ينحني علـــى الحفـــرات ويحاور الله.[235]

يعود سبب الاسئلة التي تنصب في الشعر الهيجوي على الشـــك والجهـــل والحزن القسري، على ان لاننسى حقيقة ان موهبة الشاعر هـــي التـــي تدفعـــه لارضاء ذوقه الفضولي ، كما لاننسى الفكرة التي تقول"لايوجد من هو مؤمن جداً سوى من ملأ قلبه الشك"[236].

بدأت اسئلة الشاعر وشكوكه حول معنى الحياة الانسانية وفائدتها مـــروراً بالشك في رحمة الله ، وانتهاءاً بالشكً في المسيحية.

ان دراسة عميقة حول اصل الشك الهيجوي توحي لنا بأنه يرجع الى عام 1828 ، لانه في هذا العام اراد التخلص من الشكوك التي انتابته:

"دعوني اهرب الى عوالم اخرى".....
كفانا حلماً وشكاً.
هذا الصوت الذي اسمعه قادماً من الاسفل
قد نسمعه بشكل افضل في الاعالي"[237]

ولكن لايمكنه التخلص من ذلك ، ستفرض عليه موهبته الكثير من الاسئلة تتركز بداية حول وجوده:

"وكنت اسأل نفسي لماذا نحن هنا"[238]

---

[235] انظر الاشعة والظلال. I"وظيفة الشاعر" **1839**.

[236] بوشنان. المصدر السابق. ص**133**.

[237] اوراق الخريف. **XXXV, IV** اغسطس **1828**.

انه الان في قمة الشك، ويعترف بذلك وضوحاً:

"... *ترحل روحي من شك الى شك*"[239]

واذا كان قد قبل بفكرة وجوده على الارض، فهو يجهل عما يجب ان يفعل فيها:

"ماذا سنفعل بعد ذلك؟ اين ننزل؟ اين نعدو؟

لم يعد هناك اي هدف للبحث عنه!

لم يعد هناك اي امل يغري!

......

اين تذهب النفس في الانسان؟ اين يذهب الانسان على الارض؟

***ياألهي ! ياألهي ! اين تذهب الارض في السماء؟*"[240]**

اذن ثلاثة طرق ارتسمت امام عينيه، عليه ان يختار مابين الشك والايمان والانكار. الاختيار صعب ؛ ينغمس هيجو في تردد كبير دون اي تمييز بينها:

"*مالعمل وبما التفكير؟ _ الانكار ام الشك ام الايمان؟*

مفترق طرق اظلم! طريق ثلاثي! ليل اسود!

فالاكثر حكمة يجلس تحت شجرة الطريق،

قائلاً بصوت منخفض: سأذهب ياالهي اينما ترسلني

فيأمل حالما ومفكراً، في الطرق الثلاث المظلمة

***وهو يتأمل عن بعد استمرار النوع البشري*"[241]**

---

[238] اوراق الخريف، **V** يوليو **1829.**

[239] المصدر السابق **XII** اغسطس **1829.**

[240] المصدر السابق، **XXVII**، مايو **1830**

[241] اوراق الخريف. المصدر السابق.

بعد بخمس سنوات مضت، يبدو انه وجد الحل لحيرته قائلاً عن نفسه"بأنه مع ذلك ليس ضمن اولئك المنكرين ولا المؤمنين. انه من اولئك المتـــأملين"[242]. وسنحاول شرح هذه الفكرة عند هيجو عندما سيتعلق الموضوع بتبني دين خاص به. ولكن هل يعني هذا انتهاء الشك لديه؟ كلا! ففي كل مرة يظن فيها انه وجـــد اليقين ينتابه نوع آخر من الشك؛ وهو الان يتمثل في القدر:

"*وما أهمية ذلك* ! *بعيداً عما يحل بنا،*
***يحملنا القدر يقظين او نائمين*."[243]**

ومن الجدير بالذكر ان موت اخيه أوجين (في 20 فبراير 1837) ضاعف من شكه. فهو يسر لنا في ديوانه "*الاصوات الداخلية*" صراع الاصوات في عقله التي تبحث عن معنى الحياة والموت ، ولكنه يضيع في متاهاتها:

"*ماهو نهاية كل شيء؟ أهي الحياة ام القبر؟*
أهو الموج حيث نتأرجح؟ أهو الموج حيث نسقط؟
ماهو الهدف البعيد من الخطوات المتقاطعة الكثيرة؟
ايحوي المهد الانسان ام القدر؟
هل نحن في الامنا وافراحنا على هذه الارض
قدر لنا ان نكون ملوكاً ام فرائس؟"[244]

---

[242] مقدمة اغاني الغسق. اوكتوبر **1835.**
[243] اغاني الغسق. استهلال، اوكتوبر **1835.**
[244] الاصوات الداخلية. **III** مارس **1837.**

ومن الشك حول معنى الحياة يذهب هيجو الى الشك في العناية الالهيــة. لقد اتخذ تفكيره الان بُعداً أخر، فقد توصل الى انه لم يعد يميز الطريقة التي يحكم بها الله تعالى:

"ماذا تفعل يالهي؟ بم ينفع كتابك؟
ما فائدة ماء النهر وبريق الاعصار؟
مافائدة المروج؟ والينابيع الصافية التي تغسل العشب؟"[245]

او ينفر من القانون الالهي:

"اما انا فأقول: يالهي قانونك صارم!
يالهي! لقد وضعت في كل مكان لغزاً قاتماً،"[246]

"يارب لماذا اليتيم في مآتمه الكبيرة
يقول انا جائع!؟ اليس الطفل طيراً؟
لمَ يوجد في العش ماليس في المهد؟"[247]

وفي عام 1845 في ذكرى وفاة ابنته يلقي هيجو هــذه الصــرخة التــي تعكس اضطرابا في تفكيره الديني:

"الى مَنْ نوكل؟ من يمتلكنا ؟ من يقودنا ؟"[248]

---

[245] الاشعة والظلال. **VII** يونيو **1833**

[246] المصدر السابق. **XI** فبراير **1837**

[247] التأملات. الكتاب الثالث **XVII** ابريل **1840.**

[248] المصدر السابق. الكتاب الرابع **VIII** سبتمبر **1845**

وقد غرق في شكوكه حتى عام 1847، وهو التاريخ الذي كتب فيه قصيدته "*الى فيلكيه*" فنراه في هذه القصيدة يعود الى الله الرحيم ، ويعترف باخطائه ويبرر شكوكه:

"اعتبر يا الهي بأننا نشك عندما نعاني،
بأن العين التي تبكي كثيرا ينتهي بها الأمر إلى العمى ،
بأن الكائن الذي يغور حزنه الى اظلم هوة
عندما لن يعد يراك لايستطيع ان يتأملك"[249]

وقد لايكون مدهشاً بأن تصل شكوكه حد المساس بالمسيحية نفسها كما سنرى، ولكنه لم يشك ابداً بوجود الله.

وبتحليلنا شكوك هيجو في هذه الفترة نجد بداية ان الامر لايتعلق بانسان شكوكي مقتنع بشكه. فكم من المرات اعلن عن قلقه من شكه واراد ان يتخلص منه:

"... *يالهي خلصني من الشك*!"[250]

لابل قد ذهب ابعد من ذلك ، حتى انه اتخذ مهمة ايقاظ الشكوكيين:

"على الشاعر ان ....
.... ينير الطريق لأولائك الشكاكين،"[251]

من جهة اخرى اذا كنا نجد تراكم هذه الاسئلة دون اجابة في قصائده ، فأن ابتعاد شاعرنا عن الحقيقة لم يكن بدافع التكبر، او لأن لديه "ايمان ساذج"[252]

---

[249] المصدر السابق. XV 1847.

[250] المصدر السابق. VIII سبتمبر 1845

[251] المصدر السابق. الكتاب الاول. XXVIII مايو 1842

كما يقول بوشانان ، يبدو لنا ان هيجو كان ، كما سبقه ديكارت **Descartes** من قبل، يبغي بشكوكه الوصول الى اليقين. فبقراءتنا قصيدته" *الى فيلكيه*"[253] نلاحظ اليقين والايمان العميق الذي اراد هيجو بلوغه.

وكان الشاعر مُرغما باجتياح الشك: فموهبته هي التي تدفعه الى معرفة كل شيء مع اعتقاد راسخ. ودون ان يفهم جانبا من لغز القدر الانساني، انصب تفكيره في الشعر من خلال عشرات الاسئلة محاولاً البحث دون جدوى عن معناه وحقيقته. وباختصار لم تأتِ شكوك الشاعر الا من اجل الوصول الى الحقيقة الالهية على امل توضيحها للناس.

لم تكن الديانة المسيحية ببعيدة عن شكوكه. فقد تناول يسوع المسيح، والكنيسة ، والرهبان ، والعناية الالهية ، وخلاص البشر على يد المسيح . وقد وجد نفسه في حيرة بين المسيحية المثالية والمسيحية الواقعية.[254]

ادت نتائج ابحاث هيجو الى تبني تفكيراً وديناً خاصاً به. وسنقوم باختبار وتحليل شكوك الشاعر حول المسيحية، ودراسة دينه الخاص ، لكي نرى مدى التقارب بين فكر الشاعر وفكر الاسلام.

● الفكر الهيجوي تجاه المسيحية

بداية علينا توضيح حقيقة ان الاسلام اعترف بالمسيحية واحترمها، وانه اذا كان هيجو قد شك مثلا في الدور الانساني للرهبان ، فان هذا لايعني بانه متفق مع الاسلام ، لابل على العكس فهو يتعارض احيانا بقوة مع مبادئه.

---

[252] بوشانان. المصدر السابق. ص**105 -107**

[253] التأملات. الكتاب الرابع **XV 1847**

[254] في هذه النقطة يقول بوشانان" ربما كان (هيجو) مقتنعاً بالعودة الى الفكر الاكثر صحة من"العهد الجديد" الذي نشره المسيح... فالشيء الذي يبدو لنا غير منطقي في تفكير هيجو هو انه حلم بانتصار المثالية الانجيلية دون فهم ضرورة المنهج الروحي الذي تستطيع ان تؤكده الكنيسة فقط" المصدر السابق. ص**176 -177**.

لذا يتوجب علينا ان نستعرض شكوكه حول المسيحية والتي يتشابه قسم منها الى حد كبير مع افكار الاسلام.

في عام 1835 لم يكن هيجو قادراً على اخفاء شكه وشعوره بان الديانة المسيحية لم تعد تحمل قيمتها الحقيقية:

"نحمل في قلوبنا الجثة المتفسخة

***من الدين الذي كان يحيا عند آبائنا"*[255]**

فالكاثوليكية مذهبه الذي كان مرتبطاً في فكره مع الملكية في سنوات العشرين تبدو له الان "تعبيراً تاريخياً للشعور الديني الذي قد تم تجاوزه من قبل تطور العلم والتفكير المعاصر"[256]، وتبدو له كذلك "عدو التطور والحرية والديمقراطية"[257] فاذا تحدث الشاعر عنها كان ذلك فقط من جانب "نزعة جمالية"[258].

تعلم هيجو من المسيحية صفة الرحمة بشكل اساسي، فقد فرضت في فكره بقوة اكثر من دعوة الانجيل المقدس ، حتى ان فكرة الله لم تأتِ من المسيحية بقدر ماجاءت من وعيه الخاص.

وقد يبدو ضرورياً ان نسجل هنا بأن شكوك الشاعر قد جاءت حول شعوره تجاه يسوع المسيح (ع) :

"شيء واحد، يايسوع يرعبني بصمت

---

[255] اغاني الغسق. **XXXVIII** اكتوبر **1835**

[256] جان يرترند باربير. المصدر السابق. ص**76**.

[257] بوشانان. المصدر السابق. ص**155**.

[258] المصدر السابق. ص**141**.

انه صدى صوتك الذي يذهب ضعيفاً ضعيفاً"[259]

وكذلك تجاه خلاص البشر على يد المسيح :

"..... ***دم يسوع يسقط بلا جدوى، قطرة تلو قطرة***"[260]

وفي الحقيقة تثير هذه القضية بعض المفاهيم الفكرية عند الديانات المنزلة.

لنتفق الان ان هيجو لايبدو كثير التعلق بالكنيسة، فاذا دخل فيها في بعض الاحيان ، فهو من باب "مستكشف ، وبقلب جامد"[261]. اما بالنسبة للصلاة فهو لايؤديها بالضرورة في الكنيسة، فقد كان يفضل اداءها في كل مكان وزمان ، فهو يرى ان الله تعالى قبل كل شيء موجود في كل مكان:

"***غالباً يدك الله***
الابراج العالية
ولكنه دائما يرعى
العش البسيط الهادئ!"[262]

ان هذا الموضوع ليذكرنا بآيات قرآنية كريمة تبين ارتباط فكرة وجود الله في كل مكان مع قبلة الصلاة: "ولله المشرق والمغرب، فاينما تولوا فثم وجه الله"[263].

من جهة اخرى ابدى لنا هيجو لاكثر من مرة انزعاجه من رجل الدين الذي سيصفه *بالفاسد والحواري الحزين*[264]. اذن فالاحرى ان لا نصغي اليه لانه:

---

[259] الاصوات الداخلية. I، 1837.

[260] التأملات. الكتاب الخامس III 1846.

[261] بوشانان. المصدر السابق. ص150.

[262] اوراق الخريف. XXXVII, IX، 1830

[263] سورة البقرة. الاية 115.

"يشتم الطبيعة باسم الفعل المكتوب،
ولايفهم بأن كل شيء هنا يمثل الفكر،
وان الله نفخ من روحه في الصلصال كما فعل معنا
وان الشجر والزهر تفسران الانجيل"[265]

اذن على ديانة رجل الدين فضل هيجو الديانة الطبيعية ، والتي حسب رأيه تستطيع ان تهذب الانسان كما كان قد اكتشف ذلك منذ طفولته.[266]

لم يرتبط هيجو على هذا المنوال لا بالمسيحية ولا بعقيدة دينية محددة.

- **الدين الخاص للشاعر واقترابه من الفكر الاسلامي**

هذا يعني ان تمرد الشاعر ادى الى بزوغ تفكير خاص به ، بعيداً عن كل ديانة منزلة ؛ بامكاننا القول انه احتمى داخل هيكل صنعه بنفسه وهو يميل الى ديانة لاتتعارض مع الحرية.

لايختار هيجو لديانته نبياً محدداً بين الاخرين، بل اعتقد بانه قادر بنفسه على ممارسة هذا الدور العظيم وتصور نفسه نبياً. ولكونه متمكناً من وظيفته كشاعر ادعى انه ملهم من الله مباشرة:

"كانت السماء تردد عليَّ: يانبي!
سِرْ! وتكلم! وعلِّمْ! وبارِكْ!"[267]

---

[264] الاشعة والظلال. **VII 1839.**

[265] نفس المصدر.

[266] انظر ما عرضناه في ص**24.**

[267] اغاني الغسق. **XXVI، 1835.**

وتراءى له انه في مهمة للتحقيق. فبنى عالماً مثالياً ، يؤمن فيه الناس بالله تعالى ايمانا عميقا:

"في ايام الكفر والالحاد، يأتي الشاعر
ليُهيء اياماً افضل.
انه رجل العوالم المثالية!"[268]

"اجعل الله في القلوب، وضَعْ في كل روح
كلمة ايحاء تشعر بها خاصة."[269]

1. *ايمان مطلق بالله*

من المفيد ان نلقي نظرة حول مفهوم الله عند الشاعر. فالاله عند هيجو اله عظيم، واحد احد، قادر مقتدر، عليم ، ظاهر، باق، اله ودود، بَرٌّ مقسط ورحيم خالق الروح والناس ،*"قدوس القديسين، ملك الملوك"*[270].

ومن الملاحظ ان كل هذه الصفات وجدت مذكورة في كل مكان في القرآن. لم يتوقف هيجو في شعره عن التفكير بالله وتأمله وعن وصفه وتعظيمه ومباركته :

"آه نعم فلنبارك الله في ايماننا العميق !
فهو الذي خلق روحك وابدع العالم!"[271]

"انه الاحد! انه الكلّ! و لم يكن له ابداً كفواً احد"[272]

---

[268] الاشعة والظلال. I, II، 1839
[269] المصدر السابق. IV, IX، (الشاعر يكتب لنفسه)، 1839.
[270] اوراق الخريف. 1830 VI, XXXVII
[271] اغاني الغسق. 1833 XXI.
[272] اوراق الخريف. المصدر السابق.

ومن المناسب ان نقارن البيت الاخير بآيتين من السورة المشهورة في القرآن وهي سورة الاخلاص: "قل هو الله احد... الله الصمد...و لم يكن له كفواً احد."[273]

وعند تسبيحه الله تعالى ، يتخيل هيجو ان كل شيء في هذا العالم يسبح ايضاً بحمده:

"آمِن بذلك الذي يسبح بحمده الجميع"[274]

يخبرنا الله تعالى حقيقة هذا التصور في القرآن فيقول : "... يسبح له ما في السموات وما في الارض..."[275]. ولكن هيجو توصل الى هذه الحقيقة القرآنية من خلال التأمل العميق للطبيعة المتكاملة:

"خَلقٌ حي ، كل شيء يصغي اليه ويتأمله
ويتحدث اليه ويسبحه، انه واحد احد"[276]

وصفات اخرى يضيفها هيجو الى الكبير المتعال:

"... *يتذكر الله دائماً*!"[277]
"هذا الشاهد العظيم للاحداث الغامضة"[278]
"ولكن الله لايبتعد ابداً." [279]

فهو الذي:

[273] سورة الاخلاص. الاية **(1)**، **(4)**
[274] كل القيثارة. **III** التفكير **XXX**، **1841.**
[275] سورة الاسراء ، الاية **44.**
[276] اوراق الخريف. **XXXVIII**، **1831.**
[277] اغاني الغسق. **XV 1834.**
[278] الاصوات الداخلية. **X 1837.**
[279] الاشعة والظلال. **I, II 1839.**

"يعطي لكل واحد منا جانب من القدر

للقوي، للضعيف وللجبان؛"[280]

لذا علينا ان لانحتج لحكمه لانه :

" مَنْ يعرف كيف يحكم الله؟"[281]

هذه هي الطريقة التي وصف بها هيجو الله تعالى والتي ليست بعيدة ابـــداً عن الاسلام؛ فهي مذكورة هنا وهناك في القرآن الكريم .

بداية وصف هيجو الله تعالى من خلال تأمل الطبيعة ، خصوصـــاً عنـــدما يكون امامها ، هذا "*الخَلقُ الحيُ*"، حيث كل شيء يشهد بوجود الخـــالق المبـــدع ويدلل على عظمته... وثانياً وصفه من خلال موهبتـــه كشـــاعر وخيالـــه اللـــذان يسمحان بتأليف الصور التي تدلل على هذه العظمة:

"هذا اذاً ماتفعله الوحدة في الانسان؛

فهي تريه الله ، ترفع عنه الحجاب وتعرفه!

......

النجم يبرهن على وجوده ، والعقل يراه؛"[282]

ويدفعنا الفضول ان نتتبع الى أي درجة ذهب ايمان الشاعر بالله من خلال الطبيعة، فهو يندهش من بعض علماء الفلك الذين لايلاحظون عظمة الله والـــذين اصلاً لايؤمنون به. فقد كتب في يومياته عام 1847: "(*آرغو*) *كان فلكياً كبيـــراً، لم نسمع بذلك قبلاً، كان ينظر باستمرار الى السماء ولم يكن مؤمناً بالله...(لاافاد)*

---

[280] الاصوات الداخلية.XXX, IV 1835.

[281] اغاني الغسق. V, VI 1832 .

[282] التأملات. الكتاب الثالث XXX, IV, III، 1839

كان مثل آرغو، كانوا مع ذلك يدرسون النجوم والشموس. ما الفائـــدة **!** *إن لـــم يستنتجوا من دراستهم النور الحقيقي؟*"[283]

2. ***صبرٌ في الحياة الارضية***

لا الحقد ولا العداء موجودان في الديانة التي يدعو لها هيجو. لذا فلـــيس علينا ابعادهما حسب وانما ايضاً نسيان اخطاء الاخرين ، لان هذا *ســـيحيل* (دون علمنا) *الجباه عالية*[284]. وانها لرحمة مســـيحية حقيقيـــة موجـــودة ايضـــاً فـــي الاسلام[285]. وهيجو لم يقبل بالشر حسب للتغاضي عنه ومسامحته ولكنـــه حـــاول ايضاً تحليل حتمية الخير والشر.

"كل انسان على هذه الارض لديه وجهان الخير
والشر......."[286]

"ومصادفة يختار الانسان طريقه !"[287]

وهنا اذا كان البيت الاول يعكس الفكر الاسلامي[288]فالبيت الثاني موضوع مجادل فيه.

وفي مكان آخر نجد هيجو يحاول ان يتشبث برأيه في التمييز بين العقاب الالهي ضد المجرم والاختبار الالهي للمؤمن؛ هـــذا التمييـــز تـــم تفســـيره فـــي القرآن[289]. يشير هيجو الى الفرق بين الاثنين في هذه الابيات متحدثاً الى الله:

"لقد اختبرتني بكل الاختبارات
يالهي. لقد عانيت فعلاً...

---

[283] فيكتور هيجو. يوميات من 1830 -1848، مقدم ومنشور من قبل هنري كويمان. باريس ، كاليمار 1954 ص327.

[284] الاشعة والظلال. 1840 XLIV, II

[285] سورة البقرة. الاية 178.

[286] الاشعة والظلال المصدر السابق.

[287] المصدر السابق 1839 XL

[288] القرآن الكريم. سورة الشمس ، الاية 8

[289] المصدر السابق . سورة العنكبوت ، الاية 10.

لم اقم بعمل سيء، ومع ذلك انا معاقب؛"[290]

3. *ايمان بالآخرة*

يرى هيجو بأن لاعلاج للتفرقة الاجتماعية وللظلم والفقر والمعاناة سوى بالايمان بالحياة الثانية:

["ماذا يهم اذا كانت الحياة غير العادلة في الارض
للرجل وللمرأة،
تتوارى وتستعد للأفول تحت اقدامكم؟
الا تمتلكون ارواحكم؟
ارواحكم التي ربما سترحل قريباً الى مكان آخر
في اماكن طاهرة؛"][291]

وهكذا فالمسلمون ، كما هو هيجو، يأملون في الحياة الاخرة ، وبتعبير ادق في يوم القيامة ، علاجاً من ظلم الحياة الارضية.

4. *الفروض الدينية*

<u>الصلاة:</u>

لو وضعنا جانباً الفرق الكبير بين الصلاة المسيحية والاسلامية سيكون ممكناً القول ان صلاة هيجو، على عكس اغلب المسيحيين الذين يؤدون صلاتهم بشكل منفصل* كانت كثيرة ويومية على غرار مايقوم به المسلمون. فقد قال**

---

[290] كل القيثارة. **VI**، الحب **IV**، **1843**

[291] اغاني الغسق. **1834 XXXIII, VI**

* الاب ميشيل **Michel**، ان المؤمنين المسيحيين يؤدون صلاتهم الرسمية يوم الاحد . وفي الايام الاخرى من الاسبوع يصلي كل مؤمن بحرية حسب رغبته : فالبعض يسبح بالمسبحة ، والبعض الاخر يصلي كما يفعل رجال الدين (مرتين باليوم) ،

لــ(اديل) عام 1844: "يبدو لي مستحيلاً ترك الصلاة"[292]. وهذا يدلل لنا الاهميــة التي كان يوليها للصلاة في حياته ، الصلاة التي كانت تعطيه قــوة روحيــة هــو بحاجة اليها. اذن فقد كان يؤديها كثيراً وخصوصاً في الليل:

"فلْنصل : هاهو الليل! الليل الهادئ المهيب!"[293]
" لاملجأ غير الصلاة!
هذه الساعة الداكنة تجعلنا نرى
الخليقة بأكملها
كبناية كبيرة سوداء."[294]

في الحقيقة حث الله المسلمين في القــرآن لاداء الصــلاة اثنــاء الليــل واعطاهم تقريباً السبب ذاته الذي اعطاه الشاعر . يقول تعالى " ان ناشئة الليــل هي اشد وطئاً واقوم قيلا..."[295]

وكان هيجو يصلي باجلال واحترام وخشوع . هذه الميزات التي يجــب ان يتحلى بها كل مؤمن:

"خذ بيدي، يالهي ! يالهي خذ بيدي،
لانـي اشعر ان كل شيء ينحرف"[296]

والبعض الاخر يؤدي الصلاة الهادئة او صلاة القلب" .مقابلات اجريت في بغداد في كنيسة الكرامل يومي 29 مايو و9 اكتوبر 1999.

** الى جنب الصلوات الخمس المفروضة، يؤدي المسلمون صلوات طوعية تدعى "السنة" او" الانفال".

[292] نقلاً عن باربير. المصدر السابق. ص111

[293] اوراق الخريف. XXXVII, I، 1830

[294] كل القيثارة. II الطبيعة، XXX 1846.

[295] السورة 73 الاية 6

[296] اغاني الغسق XXXIII, IV 1834

"عندما تكون الحياة سيئة نحلم بانها افضل.
تُرفع العينان الى السماء وهي تترقرق بالدموع في كل حين؛
فيأتي الامل بالله ويسمع الله استغاثتنا
دع كل شيء يبكي
يدعو ويصلي."[297]

وفي قصيدة اسمها "*الصلاة للجميع*" يطلب هيجو من ابنته ان تصلي من اجل كل الناس، من اجل الموتى ايضاً، فهيجو يؤمن بان الموتى يعانون في قبورهم، كُلٌ حسب شرور اعماله. وهذا يتوافق مع تعاليم الاسلام واحاديث النبي محمد (ص)[298]. وهذا ما يتضح من تأكيد هيجو بأن هذه الارواح بحاجة الى الصلاة والدعاء اكثر من الاحياء:

"هل ما تعانيه هذه الارواح قليل حتى نسكت عن الدعاء ؟"[299]

يخبر هيجو ابنته بأهمية الصلاة لان الله تعالى يستجيب للأتقياء وللأرواح الطاهرة ، وانها حالاً *سترى بان الله قريب منها*[300]. هذا البيت تحديداً يذكرنا بقول الله تعالى في القرآن الكريم : "... فأني قريب اجيب دعوة الداعِ اذا دعانِ." [301]

الزكاة :

"الزكاة كما يقول الشاعر هو صنو الصلاة. " [302] اذاً يجب اداءه بقدر الصلاة*، لم يتوقف هيجو عن ادائه وعلى حث قرائه على ادائه:

---

[297] رياح الفكر الاربع. الكتاب الغنائي X 1843
[298] انظر ابن القيم. الروح. بغداد ، دار التربية 1988 ص79.
[299] اوراق الخريف 1830XXXVII, III
[300] المصدر السابق 1830 XXXVII, VI
[301] القران . سورة البقرة ، الاية 186 .
[302] اوراق الخريف. XXII، يناير 1830.

"أقول: اعطوا الزكاة الى الفقير المتواضع المنيب "[303]

وكما يفعل الانبياء عند اقناع الناس ، سيستعين هيجو في ذلك الى اسلوب الترغيب:

"يحفظ الله كنزاً لمن يؤدي له الزكاة "[304]

ثم يفتح لنا هيجو هذا *الكنز* ويشرح لنا فائدة الزكاة، فيتصور كماً من الخيرات تنتظر فاعل الخير الذي يؤدي الزكاة:

"اعطوا: من اجل ان يعطي الله، الذي يهب الذرية،
القوة لاولادكم واللطف لبناتكم...
اعطوا سيأتي يوم تتركنا الارض
زكاتكم في السماء تجعلكم اغنياء....
كي يكون مسكنكم هادئاً اخوياً ؛
اعطوا من اجل ان تحظوا في يوم ما
عندما تحين ساعتكم الاخيرة، وامام جميع ذنوبكم،
بدعاء مسكين ذو مكانة في السماء" [305]

وبالمقابل نجد ان القرآن الكريم يخبرنا عن مكافأة الذين يؤدون الزكاة ، ولكن بطريقة مختلفة نوعما ، الا انه يحمل الهدف ذاته: ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون.اولائك هم المؤمنون حقا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [306] . اما البيت الرابع فانه يحوي نفس المعنى الذي اعطاه القران الكريم، لأن قيمة الصدقة عند الله تعالى يتضاعف سبعمائة مرة لمن من يؤديه

---

* من الجدير بالذكر ان هيجو كان يؤدي الزكاة في حياته الواقعية وان هذا العمل كان يشعره بسكينة الضمير. انظر بيير كامارا. المصدر السابق. ص**126**.

[303] التأملات، الكتاب الأول، **VI**، **1840**.

[304] اغاني الغسق، **XV**، **1834**.

[305] اوراق الخريف. **XXXII** ، **1830**.

[306] القرآن. سورة الانفال، الآية **3 - 4**.

للفقير؛ وهذا لا يحدث فقط في السماء وانما على الارض أيضاً [307]. اما التشابه الاقرب فقد يبدو في الابيات الآتية:

"اعطوا – فلا يُعرف كم من السنابل ستنبت
في عصرنا وحول عروشنا! -
باليد اليمنى الى الطيبين وباليسرى للاشقياء !
وكما يزرع الفلاح حبته في الحقول،
ازرعوا في قلوبكم الزكاة !" [308] .

ومن المعلوم ان اداء الزكاة مذكور في القرآن الكريم كما في الكتب المقدسة الاخرى. ولكن قد يبدو مدهشاً ومثيراً في ذات الوقت ان نجد عند هيجو نفس المثال المضروب في القرآن: مثال السنبلة "مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم". [309] وعندما نتأمل البيت الثالث نجد فكرة اخرى مشابهة للقرآن: فكرة اليد اليمنى واليد اليسرى ومعانيها المذكورة في القرآن" فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه، ... واما من اوتي كتابه بشمالة فيقول ياليتني لم اوت كتابيه.." [310]؛ فبينما يرمز الاول إلى الخير والثاني للشر ظهر ذلك في بيت الشعر المذكور تحت نفس المعنى.

لم يشك هيجو للحظة بوجود الله، وعندما اتُهِمَ من قبل لويس بولونجيه Louis Boulanger بحدوث تغيير في تفكيره صرخ بغضب:

"كلا لم اتغير قط، لويس ؛ يتوهم قلبك
انا الرجل المفكر الذي كنت دائما كذلكَ ." [311]

---

[307] سورة البقرة. الآية **261.**

[308] اغاني الغسق. **XV. 1834.**

[309] القرآن الكريم. سورة البقرة. الاية **261.**

[310] سورة الحاقة **19 -26.**

[311] كل القيثارة. **V** ، الانا ، **I**، **1846.**

"يُفهم الانسان من اسلوبه" . فشك الشاعر لم يكن سوى جسرا للعبور الى ضفة اليقين؛ كان شك الشاعر ضرورياً لفكره من اجل انجاز تكوين مبادئ دينه الخاص.

- **افكار اخرى هيجوية متشابهة مع افكار الاسلام**

من خلال مبادئ الديانة الهيجوية وجدنا عند الشاعر افكاراً عديدة متشابهة الى حد قريب او بعيد مع الفكر الاسلامي . لذا نلاحظ ان وصفه خلق الانسان قريب نوعما من وصف القرآن اكثر مما هو في وصف التوراة .[312]

"... *ان الله نفخ من روحه في الصلصال كما فعل معنا* "[313]

وفي مكان آخر عند وصفه الله تعالى يتخيل عمله في هذا العالم كما لو انه متطابق مع الاية القرانية الكريمة: ﴿...كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [314] فكتب هيجو عن الله:

" *يمشي طوال اليوم بين الناس ،*
واهباً لهم الخير ومواسياً ، في كل حين وفي كل مكان،...
***كالحاج الذي يرحل من بلد إلى اخر.* "[315]**

اذا كان هنا نوع من التقارب مع الفكر الاسلامي، يبدو لنا ان اصل الفكرة مستوحاة من الانجيل[316]. ولا ريب ان القران الكريم والتوراة والانجيل من مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

---

[312] انظر إلى القرآن الكريم. سورة الحجر ، الآية 28 و33؛ وسورة الرحمن ، الآية 14، حيث نجد (الصلصال) ، و"التراب" كأصل مادة خلق الانسان قبل ان ينفخ الله فيه من روحه ؛ بينما نجد هذه المادة في التوراة هي فقط (تراب) ؛ انظر سفر التكوين، 2، 8.

[313] الاشعة والظلال. VII، 1839.

[314] سورة الرحمن. الآية، 29.

[315] اوراق الخريف. XXXVII, VI، 1830.

[316] نفس المصدر: "الراعي الطيب الذي يتحرى عن نعجته الضالة. " انظر اقترا به مع انجيل لوقا، الاصحاح، 15، 1-7.

ولكن الحياة الارضية التي خلقها الله تعالى، ويرعاها ليل نهار ستنتهي فيما بعد؛ كل شيء هالك وإلى زوال، فلا يبقى الا الله:

"كلا المستقبل ليس لاحد !
يا سيد! المستقبل لله
في كل مرة تدق فيه الساعة،
كل شيء هنا يقول لنا وداعاً "[317]

وما وما اشبه قوله بقول الله تعالى : ﴿...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [318] **.**

كذلك نجد في الشعر الهيجوي تعبير (الله اكبر) والذي يُردد عند المسلمين في نداء الصلاة، (الاذان):

" ..هل الله وحده الاكبر،يابتي؟
.. الله وحده الاكبر،يابني ! " [319]

ويدفعنا الفضول إلى ملاحظة ان هذا التعبير قد تكرر في قصيدته "*السنة التاسعة للهجرة* " عام 1858 على لسان النبي محمد(ص) ، فيقول:

" نحن التراب ونحن والليل. الله وحده الاكبر . "[320]

ولنلاحظ ايضاً ان هناك حقيقة في الفكر الاسلامي تقول ان الميت في القبر يعرف الحقيقة [321]**. وقد قالها هيجو ايضاً عندما تحدث عن امه المتوفاة:**

---

[317] اغاني الغسق، V,II ، **1832.**
[318] القرآن، سورة القصص، الآية **88.**
[319] الاشعة والظلال، IV, X، **1839.**
[320] اسطورة القرون، IX, I، **1858.**
[321] انظر ابن القيم، المصدر السابق، ص**18.**

"انها تعرف الواجبات الجديدة التي اناطني الله بها ؛
لأنها في قبرها، ترى الحقيقة أيضاً. " [322]

في قصيدته "*الحكمة*" [323] عندما كان يتأمل بعمق عناصر الحياة، والخليقة باكملها، توصل الشاعر إلى ان كل شيء في هذه الحياة التي خلقها الله تسير باستقامة نحو هدفه النهائي متتبعاً القانون الإلهي، عدا الإنسان الذي ينحرف (للأسف) ، وان لا شيء وجد مصادفة. ان هذا التفكير قريب من حقيقة دينية يوضحها القرآن: ﴿...كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً﴾ [324].

وكما نرى، فان أفكار الشاعر تظهر في أساليب متنوعة ؛ فتارة يعرضها مباشرة ، وتارة يعرضها مع حِكَم وامثال ، وتارة يستخدم اسلوباً سبق وان عرفناه في القرآن الكريم [325] ، فهو يحشد الاسئلة التي تحث القارئ على تأمل عظمة الله بعمق فيقول:

"من الذي انبت الزهر عند منحدرات اللجج،
ومن الذي وضع الشاعر عند حافة الاهواء القاتمة؟
أي اله اربك عينيه برؤى غريبة؟
أي اله اراه النجم وسط الظلمات ، " [326]

ولنضف في النهاية ان قصائد هيجو تكشف استخدامه الغالب لمفردات "مسلم واسلام" (Soumis, Soumission) عندما يتعلق الموضوع بعلاقة الشاعر مع خالقه. ولكونه مقتنع وراض بهذه العلاقة ، فقد نصح ولده بان يتبعه في ذلك:

---

[322] التأملات، الكتاب الخامس، **III**، **1846**.
[323] الاشعة والظلال، **XLIV,I**، **1840**.
[324] سورة الرعد، الآية، **2**.
[325] انظر سورة المؤمنون ، الآيات **84**، **86**، **88**، وسورة سبأ، الآية **24**، وسورة يونس ، الآية **31**.
[326] الاشعة والظلال. **XXXV, IV**، **1837**.

"يا طفلي، انت ترى، انا مستسلم.
كن مثلي..." [327]

ونحن تقول مسلم Soumis وليس خاضع resigné والذي يعطي معنـــاً سلبياً كما فهمه هيجو:

"وقلبي مسلم ولكنه غير خاضع. " [328]

فاذا قرأنا قصيدته "إلى فيلكيه " [329] **كاملة، سنجد كل معاني اسلام الوجــه إلى الله، والتي تتوافق مع معاني الاسلام في العربية، منتشرة فـــي ابيـــات هـــذه القصيدة.**

ومن الممكن ان نجرأ على القول ان هيجو ربما قد ظهر في بعض الاحيان ودون علمه كمسلم في المفهوم الصحيح للإسلام.

نستنتج من ذلك ان فكر هيجو كان قريباً احياناً من المضـــمون القرآنـــي. وعندما سيقرأ هيجو القرآن الكريم بشكل جدي عام 1846 قد لا يكون صعباً عليه فهمه واستلهامه. سيجد هيجو حالاً بعضاً من افكاره موضحة ومفسرة في كتـــاب المسلمين (القرآن الكريم).

II .الاهتمام بالإسلام

تحليل القصائد

1850 – 1846

---

[327] التأملات، الكتاب الأول. I، 1842.

[328] المصدر السابق. الكتاب الرابع، XV، 1847.

[329] المصدر نفسه.

مرّ وقت طويل قبل ان يحدد هيجو خطوط تفكيره. فالتقارب الذي اشرنا اليه في بعض افكاره مع افكار الاسلام هيأت فكر الشاعر لان يكون اكثر تقبلاً للأيات القرآنية الكريمة.

ولكن كيف ولد اهتمام هيجو بالاسلام؟ في الحقيقة، تعـود بـدايات هـذا الاهتمام الى ما قبل عام 1846 وتحديدا عام 1841حين نصح هيجو زملاءه فـي خطاب له ان يقرأوا وينظروا الى"كل العباقرة ممن سبقوهم والذين قادوا البشـر منذ ثلاثة الاف عام او خذلوهم او نوروهم او اضلوهم" [330] وكان هيجو اول مـن باشر بهذا العمل: فقرأ عن النبي محمد (ص) وعن القرآن الكريم في كتاب "*الكتب المقدسة للشرق*" لكويوم بوتيه Guillaume Pauthier والذي ظهر في العـام نفسه. تعلم هيجو في هذا الكتاب مكانة جميع الرجال العظام المجهولين . وكـان يعرف مؤلف الكتاب معرفة شخصية ويلتقي به . فلربما قـدمت هـذه العلاقـات للشاعر معلومات نظرية عن الإسلام . وفي كتاب بوتيية توجد ترجمـة للقـرآن الكريم من قبل كازمرسكي Kasimirski مسبوقة بمقدمة عن حياة النبي محمـد (ص) والذي سيوحي اليه في عام 1858 قصيدته "*السنة التاسعة للهجرة*"[331] .

أـــ المخطوطات :

حاول هيجو ترجمة بعض الآيات القرآنية الى ابيات، حوالي عـام 1846 [α]. فقد ترك في مسودة له حوالي عشرين بيتاً جاءت من ترجمة للقرآن الكـريم،

---

[330] نقلاً عن بوشانان. ص**36.**

[331] اسطورة القرون. **IX , I**

[α] يؤرخ اغلب الباحثين مقتطفات الشاعر حول الابيات المترجمة من القرآن الكريم لعام **1846.** انظر عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص**135**؛ وملاحظة الباحثين جورنيه **Journet** وروبير **Robert** في كتاب: .فيكتور هيجو، الاعمال الشعرية، **II** ، العقوبات، التأملات. طبعة منشورة ومدونة بالملاحظات من قبل بيير البوي **Pierre Albouy** باريس ، مكتبة البلياد دار كاليمار **1867.** ص**1705.** على اننا نجد بول بيريه **Paul Berret** وحده يؤرخها "بين **1843-1846**"، انظر اسطورة القرون لفيكتور هيجو. باريس، دار ميلوتي **1945.** ص**97.**

سننقلها مثلما كانت حتى نستطيع ان نتتبع عن قرب محاولاته الجدية الأولى فـــي هذا المضمار:

1.القرآن [332]

المقطع 59 (87/ 129).

[*يحيط الله بالناس من كل الجهات* (*قرآن*) *الرب يحيط الانسان من كل الجهات*. ـــ]

ثم اضاف *من كل الجوانب* بدل من *كل الجهات* ثم اضاف بدلهما *الانسان من كل الجوانب محاطا بالله* وغير *محاطا بالله* الى *محوطا بالله* مع اشارة *أو*:

هذه المحاولات ترمي بالتأكيد الى ترجمة الآية 115 من سورة البقرة في القرآن: ﴿...فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا وجوهَكُم فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ... ﴾ او﴿ ... وهو معكم اين مـــا كنتم ﴾[333]

المقطع 63 (84/ 129)

"قرآن"

الانسان المستقيم المؤمن

عندما يبايع تكون لديه افكاراً مهيبة

ثم اضاف عليها *يعاهد* بدل *يبايع*

"لأنه يشعر وقد وضعت يدا الله فوق يديه"

---

[332] في الحقيقة، تحت عنوان "أشياء من التوراة ـــ القرآن" نشر جورنيه وروبير في حول التأملات، مجموعة من المقتطفات المستلهمة من التوراة وبعدد اقل من القرآن، هذه المقتطفات التي جاءت تحت عنوان اشياء من التوراة مع اشارة: شعر جمعت في المخطوطة ذي الرقم **13401** (اقتباسات ترجمات، قوافي)؛ واية مخطوطة اخرى خارج هذه مجموعة، سيكون لها رقم اخر. انظر "فيكتور هيجو، الاعمال الشعرية ، **II II**، العقوبات، التأملات" ، المصدر السابق، ص**889- 891، 1717.**

[333] القران الكريم. سورة الحديد ، الاية **4 .**

هذه المقتطفات تترجم سورة الفتح الآية 10: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾

"*كل انسان امام الله يحمل اعماله*."

ثم اجرى هذه الاضافة بقوله :

***أو "كل انسان يحمل اعماله في هذه الارض*."**

وهذه هي الآيات المعنية: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ سورة الاسراء ، الآيات (13 - 14).

"*المستقيم المتفكر الذي يسجد غالباً لله*

يحمل اشارة مقدسة* فلا يشوبها أي شيء

ثم اضاف: *مقدسة فلا يشوبها أي ظل اظلم*

***تشرق جبهته في ذات المكان الذي لامس الارض*."**

وبالتأكيد اراد هيجو ترجمة الآية 29 من سورة الرحمن: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود..﴾.

ويقينا كان هيجو يستجلي من خلال هذه المحاولات اختبار نفسه وهل يستطيع ان يكتب شيئاً مهماً وجدياً مستلهماً من القرآن ام لا. وهذا يعني انه منذ هذا الوقت قد بدأ الشاعر بالاهتمام بالقران الكريم"ولكن فلنسارع للتأكيد بأن ذلك يتعلق بالاهتمام بامر جديد لا يمت بصلة عما كان قد املاه في بعض صفحات *الشرقيات*. ان ما كان يقود الشاعر في هذه الفترة هو انشغال فلسفي"[334] .

---

* ان كثرة السجود تترك اثرا في جباه المسلمين وهو ماقصده هيجو.

[334] انظر عمر شخاشيرو . المصدر السابق. ص 153 -154 .

وفي الحقيقة بعد الموت المأساوي لابنته العزيزة، وعند بحثه عن حل لمشكلة مصير الارواح في كل المعتقدات الدينية، التفت هيجو كذلك الى القرآن الذي سيلهمه بعض الافكار المتجاوبة مع رغبته. وظهرت هذه الافكار في جانب منها بشكل فعلي، ومن الملاحظ ان هذه المقتطفات كلها تقريباً تعبر عن وجهة النظر الاسلامية حول الحياة الآخرة.

في نفس هذا المقطع المعنون"القرآن"جميع هيجو عدة معان للسور بـــلا ترتيب: ولكنها تقترب من خطاب النبي محمد (ص) في قصيدته "*السنة التاســعة للهجرة* " :

"*قرآن* "

محمد يقول:

بالتأكيد كانت رسل قبلنا.

لست إلهاً، جئت بعد الآخرين؛

وسأموت في ساعتي المحددة

لا اقوم الا بطاعة الله الذي اعبده

واضاف ..... ***الله الذي خلق الفجر***

او..... ***الله الذي ابجل***

ولنصغ الآن الى من مصادر اشتقاق هذه الابيات: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ الا رَسُولٌ قَدْ خَلَــتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ سورة آل عمران الآية 144.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ سورة فصلت الآية 16 ، وسورة الكهف الآية 110.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ سورة الزمر الآية 30.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ...﴾ سورة الرعد الآية 36.

واهتم هيجو كذلك بغموض اليوم الآخر:

"ما سنكون عليه انا وانتم اجهله

لست سوى مفكراً مجاهراً بكلمة الحق ."

وهذه هي الآيات المعنية: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ..﴾ سورة الاحقاف، الآية 9.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ..﴾ سورة يوسف الآية 108.

وما شد انتباهه هو روائع خلق الله للطبيعة:

"خلق الله الشمس والسماء والبحر والارض،

ولم يكل ابداً من خلقهم."

ولنرَ اصلها في القرآن الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالارْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنّ...﴾ سورة الاحقاف الآية 33.

والابيات الآتية تعبر عن يقين كاتبها في مكافأة الخيرين وعقاب الاشرار:

"...الاشرار والكفار

في يوم ما عندما سيرون قدوم العقاب

والخلود الاظلم يصل ببطئ

مع ليله المشؤوم ولغزه الكئيب

ثم اضاف *المحزن* تحت مفردة *الكئيب*

***سيعتقدون انهم ما لبثوا غير لحظة على الارض.* "**

وهذه من الاية الكريمة:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ...﴾ سورة الاحقاف. الآية 35.

"الاخيار...

سيعطيهم الله بعد الاختبارات،

حدائق تجري فيها الانهار

وجنات مدهشة!"

يبدو ان موضوع جنة الاسلام الذي شدَّ انتباه الكتّاب سابقاً من امثال مونتيني شغل بال هيجو ايضاً. فقد اعطى في الهامش انواع الانهار قائلا: "*انهار من ماء وانهار من لبن وانهار من خمر وانهار من عسل، يقول القرآن*" [335] ، ويتعلق الأمر بلاشك بالآية 15 من سورة محمد، لأنها الآية الوحيدة التي ذكرت فيها انواع الانهار الجارية في الجنة ، والتي ذكرت في الحقيقة ثلاثين مرة في القرآن: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ .

ويبتهج هيجو وهو يستخرج من القرآن الكريم موضوعه المفضل في اظهار قدرة وعظمة الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء مما يعمله بنو البشر.

"ايها الناس
ان الله يعرف في سكونه العميق ووحدانيته
كل تحركاتكم على الارض
ومكان مأواكم ."

وهذه هي الايات : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ سورة محمد الآية 19.

﴿وهو الذي يتوافكم باليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ سورة الانعام ، الاية 6 .

وكأسلوب القرآن في نهاية الآيات ينهي هيجو ابياته معظماً حكمة القادر المقتدر:

"الله
انه حكيم عليم وقائد جيوش

---

[335] فيكتور هيجو. الاعمال الشعرية **II** . المصدر السابق. ص**891**، **(**انهار من عسل**)** كانت قد اضيفت في التحشية بين السطرين ، المصدر السابق، ص**1717**.

ثم اضاف *ويقود جيوش* تحت عبارة *قائد جيوش*
***الأرض والسماوات*. "**

وهذه هي الاية: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ سورة الفتح، الآية:4.

من الملاحظ ان اغلب هذه المقتطفات كانت من السور 46، 47، 48 (سورة الاحقاف ومحمد والفتح) في القرآن الكريم، ويبدو ان هيجو اهتم بها دون ان نعرف السبب، ومن الممكن ان يكون الشاعر قد وجد فيها موضوعاته المفضلة والمثيرة مثل الموت والحياة الآخرة وقدرة الله التي ليست لها حدود ، والتي وجدناها كثيراً في شعره. على ان هذه الموضوعات دون ان تتحدد في سورة معينة موجودة في كل سور القرآن الكريم، وقد يكون اختيار هيجو لهذه السور المتتابعة قد جاء مصادفة، او انه لا يستطيع قراءة القران كله.

مع ذلك يجب ان لا نذهب بعيدا فنتصور ان هيجو امن بتنزيل القران الكريم من قبل الله تعالى إلى النبي محمد (ص) . فقد ضَنَّ هيجو ان محمد (ص) هو الذي اخترعه ، متشبثاً بذلك بآراء ونبرة بعض المستشرقين، فقد وجدنا في بداية المقطع المعنون (*القرآن*) " *محمد يقول* "بدل الله يقول؛ اضافة إلى ان بعض الآيات المعنية التي استخرجناها تبدأ بـ" قُلْ..." ؛ هيجو محا هذه " قُلْ..." واكمل الحديث الالهي معطياً انطباعاً على انه قيل من قبل النبي محمد (ص).

2.جنة محمد

في المقطع الثاني عن الجنة يتحدث هيجو عن بعث الارواح

جنة مُحَمَّد

"سيكافئ الله المقسطين الطيبين ؛
الذين سيفتح لهم الموت طرقا وسط الظلام

للخروج من مرقدهم يوم البعث ،

وسيدفعون الباب المظلم للقبر .

فالمؤمنون الذين اتبعوا أحكام القرآن ،

سيجدون جِمالاً مُجَنَّحة كالنسور ،

تحملهم هناك ، إلى السماء الجميلة الرحيمة ."[336]

ليس هذا المقطع بالضرورة ترجمة لبعض الآيات القرآنية كما هو الحال في المقاطع الأولى وانما مجموعة افكار قرآنية ممزوجة بخيال الشاعر مع حديث النبي محمد (ص) . فمثلاً الفكرة في البيت الأول معروفة جداً ، بينما البيت الرابع يثير الانتباه. قد يكون هيجو استعار هذه الفكرة من سورة المعارج ، الآية 43: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الاجْدَاثِ سِرَاعاً ...﴾ ولكن هذه الآية نزلت بحق المشركين ، بينما يرمزها هيجو للمؤمنين! ونلاحظ أيضا في البيت الأخير فكرة الجِمال المُجَنَّحة المخصصة لحمل المؤمنين الى السماوات والتي نعتقد انها استعيرت من حديث النبي محمد (ص) في الاسراء والمعراج، عندما أسريَ به بأمر الله تعالى على ظهر البراق (حيوان مجنح) ليرى عجائب الله في السماوات.

ب ــ القصائد المنشورة

1. <u>آية من القرآن</u>

بعد كتابته لمخطوطاته لم يستلهم هيجو هذه المرة آيات قرآنية هنا وهناك ، وانما سورة كاملة هذه المرة، فقد نشر في *اسطورة القرون* قصيدة تحت عنوان "*آية من القرآن* " أرخت في 16 سبتمبر 1846.

لم تكن هذه القصيدة الا ترجمة كاملة تقريباً لسورة (الزلزلة) ، والتي من المفترض ان يكون هيجو قد قرأها في كتاب (*الكتب المقدسة للشرق*) المترجم من

---

[336] نقلاً عن بول بيريه، اسطورة القرون لفيكتور هيجو، المصدر السابق، ص97. يؤرخ المؤلف هذه المسودة لعام 1850.

قبل بواتييه. لذا نجد من الضروري نقل هذه القصيدة مع السـورة المعنيـة كـي نستطيع الحكم على الترجمة والاقتباس الذي نقله هيجو بنجاح .

هذه هي القصيدة:

آية من القرآن

"ستزلزل الأرض زلزالها العميق،

وسيقول الناس: مالها؟ في هذه اللحظة،

يخرج الموتى من العتمة جماعات كالثعابين،

صفر الوجوه، يأتون لرؤية أعمالهم.

اولائك الذين يفعلون الشر قيد أنملة سيرونه

وسيكون الله لهم اقل وداء

اولائك الذين يفعلون الخير بوزن الذبابة سيرونه

وسيكون الشيطان لهم اقل اذا [337]

وها هي سورة الزلزلة :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا. وَقَالَ الْأنْسَانُ مَا لَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا. يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُـرَوْا أَعْمَـالَهُمْ. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾

صدق الله العظيم

---

[337] اسطورة القرون. **XVII, III**، سبتمبر، **1846.**

بالقاء نظرة سريعة حول ما قام به الشاعر وسورة الزلزلة نجد انه قــام بحذف واضافة على السورة الكريمة.

بداية نجد ان هيجو قد حذف الآيات 2، 4، 5 من الســورة كمــا حــذف بدايتها (بسم الله الرحمن الرحيم) . ولكن في مجملها نجد ان عدد الآيات الشعرية توافقت مع عدد الآيات القرآنية الثمانية في السورة . يلاحظ ايضاً ان "الانســان" في الآية الكريمة اصبحت "*ناس* "في البيت الشعري ؛ اضافة الى ان كلمات مثل *عميق*، *عتمة*، *ثعابين*، *صفر الوجوه* ، *الاله الودود* ، *الذباب* ، *الشيطان المــؤذي* ،لم تظهر في السورة. هذه الصفات والاسماء والتعابير اضافها الشاعر من خياله لأنه يبدو لنا ان النص المقدس اوحى له بذلك. وبالمقابل يمكننا أن نجد في القرآن ايات اخرى يمكن ان تقارن مع الصور التي اســتخدمها هيجــو فــي قصــيدته. فالصورة التي رسمها عن الموتى الذين يندفعون من قبورهم بمقارنتهم بالثعابين يمكن ان تجد جذورها واصلها في آية قرآنية تتحدث عن نفس المقارنة ولكن مع الجراد"يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم جراد منتشــر" [338] ؛ كمــا ان *النملــة* و*الذبابة* اللتين ظهرتا بشكل منفصل في القرآن قد تكون الهمت الشاعر صورتيهما الرمزيتين ليستخدمها في قصيدته.

**ولكن ما يبرز الجمال الخلاب للنص القرآني هو بالتأكيد رصانته. في هذه العقيدة الإسلامية ان"مسألة وجود إله عادل ورحيم سيحاسب يوم القيامــة علــى صغائر اعمالنا الخيرة والشريرة يبدو انها فعلاً قد استولت على هيجو"[339] . ففــي يومياته التي كتبها عام 1847 سجل هيجو هذه الملاحظة عن زوجة شــاتوبريان التي ["*كانت تعامل زوجها ووالديه واصحابه بعنف "بإن "الإله الطيب سيرى كل*

[338] سورة القمر . الاية 7 .

[339] شخاشيرو. المصدر السابق. ص**160**.

ذلك في السماء"] [340] . ان فكرة هذه الملاحظة تبدو متعلقة بـ"*آية القرآن* " التي كتبها قبل عام مضى.

ومن خلال حبه للعدالة وايمانه العميق بان لا باطل ولا عبث في خلق الله ذهب هيجو الى استلهام هذه السورة التي تتوافق مع افكاره وتترجمها. وعندما اعجب بها وضعها على شكل ابيات ، تاركاً فيها روعة الاسلوب القرآني الذي حمله اليه كازيمرسكي المترجم.

لا يستطيع المسلمون عدم الاعجاب بالمحاولة التي قام بها هيجو في وضع احد صفحات القرآن الكريم على شكل ابيات رنانة ذي اثنتي عشر مقطعاً. فقد حاول الشاعر ان يترجم مع سجع وبنفس طريقة القرآن ، ولكن الى اللغة الفرنسية "تلك الرنة التي لا يمكن ترجمتها من لغة القرآن العربية الى اية لغة اخرى" [341] .

ان ما يدهشنا هو السبب الذي دعا هيجو الى وضع هذه القصيدة في ديوانه "*اسطورة القرون* "في الجزء الرابع من فصل "*تحذيرات وعقوبات* "وعدم وضعها في فصل "*الإسلام* " التي تتعلق بما بشكل طبيعي. أكان له هدف يريد قوله من ان القرآن لا يختص فقط بالمسلمين؟ او بأن هذا الكتاب قانون إلهي بامكان الجميع الاستفادة منه؟ ربما ! ومن هنا نلاحظ اهتماماً خاصاً من جانب الشاعر للقرآن الكريم.

يبدو لنا ان هيجو كان قد قرء القرآن عام 1846؛ كل شيء يدلل على ذلك، فالمقاطع المخطوطة كما "*آية من القرآن* "تؤرخ جميعاً لعام 1846.

---

[340] فيكتور هيجو. يوميات، 1830 - 1848. المصدر السابق. ص325.

[341] مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص253.

فضلاً عن اننا وجدنا في يومياته بتاريخ 11 سبتمبر 1846 هذه الملاحظة المأخوذة من القرآن الكريم[342]، والتي يبدو أنها أثرت كثيراً على هيجــو: "*يقــول القرآن ان مدة يوم القيامة سيكون خمسين الف عام* ."[343] .

لقد كانت لقراءة القرآن تأثيراً معيناً على الشاعر، فقد اغنى القران خياله بقصصه وصوره وامثاله وتعابيره، علاوة على انه يحقق بطريقة او بأخرى افكار الشاعر من خلال نوع من التقارب كنا قد اشرنا اليه بين الفكر الهيجوي والفكر الاسلامي المتمثل بالقرآن الكريم.

يقول مؤنس طه حسين: "كان بامكان هيجو ان يجد مادة الهام جميلة من القرآن الكريم كما هو الحال بكثرة مع التوراة ، ولكن للأسف كان انشــغاله فــي مكان آخر، ومن المؤسف ان كتاب المسلمين(القران الكريم) لم يعد يثير اهتمامــه كثيراً بعد ذلك" [344] ، ولكن لننتبه بان هيجو كان قد قرأ القرآن مترجماً ؛ ويقينـــاً لن يكون مفهوماً ومثيراً للاعجاب بفصاحته وسحره كما لوكان بنسخته العربيــة الأصلية.*

ونرجو ان لا يأخذنا هذا الميل والاهتمام الذي ابداه الشاعر للقرآن الكريم من حيث انه يفتقر الى النقد، وفي الحقيقة، هاجم هيجو في قصــيدة الفــت بــين عامي 1844 - 1846 [345] كتاب المسلمين واصفاً اياه بالقسوة وبكثرة الاخطاء:

"الموت بالموت! إلى النار القانون الدموي! إلى النار

---

[342] سورة المعارج. الآية **4**.

[343] فيكتور هيجو. يوميات. المصدر السابق. ص**367**.

[344] مؤنس طه حسين. المصدر السابق.

* يستطيع عالم في اللغة العربية والدين الاسلامي وحده فك رموز كلمات القرآن ومعاني الآيات، على عكس المترجم الذي يعطي المعاني حسب فهمه، وبالنتيجة فانها لا تعبر سوى عن مفردات المترجم نفسه.

[345] التاريخ مقرب حسب كتاب فيكتور هيجو. شعر. الجزء **III** مقدمته جون كولميه **Jean Gaulmier**، ملاحظات وتقديم بيرنار ليفيليو **Bernard Levilliot**، باريس ، دار دو سوي **1972**، ص**486**.

قرآن الحديد والنار القديم، والقانون المرعب القاسي
الذي يحوي ما يتعذر غفرانه وتغييره
الذي يضرب وينتقم ويخطئ!..."[346] .

ولكن لنلاحظ جيداً ان الأمر يتعلق بقانون الاعدام ، ذلك العقاب القاسي الذي ادانه هيجو طوال حياته ، وجادل كل قانون يتبناه مهما كان مقدساً ، لذا فلم يكن من الممكن ان يستثني من ذلك القرآن الكريم.

2. <u>محمد</u>

وبعد وقت ليس بالطويل تجاوز اهتمام الشاعر بالاسلام إلى شخصية نبيه محمد (ص) . فبعد ثلاثة اعوام ، وتحديداً في 11 فبراير 1849، ألف هيجو قصيدة من اربع ابيات حول نبي الاسلام وعنونها "*محمد* " :

محمد

"*القديس محمد امتطى تناوباً*
بغلته ديدول وحماره يعفور؛
لأن لدى الحكيم نفسه(محمد) وبالتتابع
يوما يكون فيه عنيدا، ويوماً يكون فيه جاهلاً.[347]

يبدو ان الشاعر استعلم كثيراً عن حياة النبي محمد (ص) إلى الدرجة التي نقل فيها اسم بغلته واسم حماره ، ويبدو ان تغيير هيئة الاول إلى ديدول في حين انها في الحقيقة دلدول عائد ربما للضرورة الشعرية.

ومن المؤكد ان هيجو وجد هذه المعلومات في كتاب "*الكتب المقدسة للشرق*"حيث وضع بواتييه نبذة عن حياة النبي محمد (ص) بعد ترجمته لكتاب ابو الفداء "*المختصر في اختبار البشر* " .[348]

---

[346] كل القيثارة. I الانسانية، XXI الكيوتين.
[347] اسطورة القرون. IX,II فبراير 1849.

وإذا كان الشاعر قد قلل من احترامه للنبي (ص) واصــفاً ايــاه بالتتــابع بالعنيد والجاهل كمقارنة مع طبائع البغلة والحمار، فقــد اســتدرك واصــفاً ايــاه بــ*القديس والحكيم*. على كل حال ، تبين لنا هذه القصيدة الصغيرة بــان تعــاطف الشاعر مع الاسلام هو في حدود معينة ، وان عقيدة النبي محمــد (ص) قابلــة للنقد.

****

باختصار، ومن خلال الشروح المقدمة، يمكننا الاستنتاج ان عدة احــداث تركت تأثيرها على هيجو وقادته في البداية الى الشك بكل شيء الا في وجود الله تعالى، ثم الى تكوين فكرة ودين خاص به ، اسس بشكل رئيس على قاعدة وجود إله واحد احد . وعقائد هذا الدين واركانه هما الصلاة والزكاة. وقــد ســبق ان اشرنا إلى التقارب الموجود بين بعض افكاره وافكار الاسلام.

ان البحث العميق الذي اجراه الشاعر حول القــدر الانســاني قــاده إلــى الالتفات والعودة الى جميع العقائد الدينية الاجنبية لكي يجد عندها الحل والمواساة النفسية، فقرأ عندئذ عن الاسلام واستوحى منه ؛ وهذه القــراءة ســتلهمه عــام 1858 فكرة قصيدته "*السنة التاسعة للهجرة* ".

بعد عام 1851 ، وعندما سيكون وحيداً في المنفى ، سيتعمق في فكــره الى الدرجة التي يجد نفسه مضطرب التفكير. وسنرى الآن كيف سيتبلور تفكيــر الشاعر وكيف ستكون وجهة نظره حيال الاسلام في هذه الفترة .

---

[348] انظر ابو الفداء (المختصر في اخبار البشر)، الجزء الأول. القاهرة ، المطبعة الحسينية(بلا تاريخ)، ص142 - 143، 146.

الفصل الرابع

مفهوم الابتعاد عن الوطن

واستلهام الاسلام

(1870 - 1851)

من البديهي ان الفترة الممتدة من عام 1851 إلى عام 1870 في حياة هيجو تتميز بوجوده في المنفى، هذا الانتقال الكبير في حياته جاء بعد تغييرات

سياسية بدأت عام 1848 وانتهت بانقلاب عام 1851 والذي من خلاله قلب لويس نابليون بونابرت نظام الحكم من الجمهورية إلى الإمبراطورية. وأثار هذا التغيير حنق هيجو، فانتُخِب عضواً في لجنة المقاومة، وعندما فشلت اللجنة ، رُفِعَتْ مذكرة بالقبض عليه، فهرب الى بلجيكا ثم إلى جزيرة جرسي Jersey ، فجزيرة كيرنزي Guernesy على بحر المانش لتبدأ مرحلة جديدة في حياته.

ان غربة الشاعر في المنفى وابتعاده عن وطنه تلك السنين الطوال اعطياه رؤية جديدة عن العالم. فاستقرار الشاعر بالقرب من المحيط فتح امام ناظريه افاق اللانهاية ؛ (تحول التفكير لديه إلى تأمل عميق ، ثم اضطرب فتحول التأمل العميق الى رؤية)[349]. يقول هيجو في عام 1856: "اصبحت شيئاً فشيئاً مسرنماً في البحر، وامام كل هذه المناظر الخلابة وكل هذا التفكير الواسع المتنامي الذي غرقت فيه ، انتهى بي الامر باني لم اعد سوى هيأة اية من الله" [350] .

من عام 1853 إلى عام 1855 دخل هيجو عالم الروحانية من خلال "الموائد المستديرة"، فقد اعتزمت احدى صديقات عائلة هيجو، دلفين دو جيراردان Delphine de Girardin زيارة مارين – تيراس Marine-Terrace ، وفتحت امام الشاعر ما نسميته (الموائد المستديرة). اخبرتهم هذه الصديقة بامكانية استحضار الارواح (الاتصال مع ارواح الموتى)، واخذ هيجو موضوع ايحاءات المائدة جدياً، فتصور نفسه يتحدث إلى الارواح: دانتي، راسين ، محمد ، يسوع ...الخ) ولكن هذه الجلسات توقفت فجأة في اكتوبر 1855 عندما اصيب احد الحاضرين وهو جول اليكس Jules Allix بالجنون والمس ، وبتعبير ادق بجنون مرعب.

---

349 نقلاً عن ج. ب باريير. المصدر السابق. ص**159**.

350 هيوبرت جوان **Hubert Juin**. قراءات عن القرن التاسع عشر. باريس ، دار اثيون جينرال ديدسيون، **1976**. ص**261**.

ورغم قصر فترة استحضار الأرواح، إلا أن تأثيرها تملكت هيجو طوال حياته. فلم يتوقف عن استشعار هذه الاتصالات المريبة بانقطاعات طويلة: ["هذه الملائكة المخفية" ، التي يسمع ضرباتها على الجدار وانزلاقها في غرفته (وشخص ما في الظلام يلمسه من كتفه ، واحدهم ما يتنفس بالقرب منه ، ونوع من النشيد يصبح قابلاً للفهم، وكلمة ترن فجأة لا يمكن تفسيرها ، وقوة مريعة تفصل بقوة يديه المضمومتين)][351] ، وكذلك ظهور السيدة البيضاء. وعندما تتملكه هذه الزيارات ويأخذه الرعب كل مأخذ من شدة القلق ، يستنجد بهذا الدعاء : " اؤمن بالله وبالروح الخالدة " [352] .

في صفحات اشعاره للسنوات من 1854 إلى 1856 ، والتي تتوافق مع الفترة الروحية للشاعر ، نلمس صدى الموائد المستديرة والقلق الميتافيزيقي لتأملاته. وفي الحقيقة فقد وجد هيجو في هذه التجربة تأكيداً على افكاره اكثر من الايحاءات نفسها ؛ فيقول: "الاشياء التي كنت قد رأيتها برمتها اكدتها المائدة"[353] . اصبح هيجو الآن اكثر ثقة بآرائه الفلسفية. فهو يتأمل طويلاً في الحياة والموت والروح والقدر، وفي جانب اكبر موضوع الله . لذا نجد انتاجه في هذه الفترة مليئاً بالمعاني الدينية وممزوجاً بالافكار الفلسفية. فكتب ديوانيه "*نهاية الشيطان* " و"*الله* ". وقاده الطموح إلى عمل ضخم ، حينما كتب عن الانسانية في كل اشكالها وصورها، والف ديوانا من ثلاثة اجزاء : " *اسطورة القرون*" ، ويحتل الاسلام في هذا الديوان مكانة مهمة بين الفصول الاخرى.

سنحاول في هذا الفصل ملاحظة الشعر الهيجوي ودراسته ، لكي نبحث فيه عن فكر الشاعر وهو يتفق مع الفكر الاسلامي ، ثم سنحلل صور الشرق

---

351 هنري كويمان. هيجو. باريس، دار دوسوي **1988**. ص**30**.

352 المصدر نفسه.

353 نقلاً عن بارير. المصدر السابق. ص**136**.

المسلم ، وفي النهاية سنغور في فكره لنفهم رأيه عن الاسلام في هذين العقدين من المنفى.

I / تأثير المنفى في فكر هيجو تجاه الإسلام

اشرنا في الفصل السابق الى الديانة الخاصة بهيجو ، والقائمة على الايمان باله واحد احد ، والإيمان بالصبر في الحياة الارضية ، والايمان باليوم الآخر. اما اركان هذا الدين فهما الصلاة والزكاة بشكل رئيس . وكان كل هذا ، كما اشرنا سابقاً ، لا يتعارض مع الفكر الاسلامي.

في فترة المنفى بقي هيجو وفيا لمعتقداته [354] مع حدوث تطور في ما يتعلق برؤيته الفلسفية حول مواضيع معينة: مثل فكرة المسيحية ، والله ، والموت ، ويوم الفصل. سنحاول بحث هذه الموضوعات الاربعة مع افكار اخرى عامة لنرى مدى علاقتها بالاسلام.

- **عناصر تفكيره الديني**

سنتناول بداية موضوع المسيحية عند الشاعر. واننا اذ نبحث عن وجهة نظر هيجو حول شخصية السيد المسيح عيسى (ع) فلوجود اربعة مسائل مجادل فيها بين المسيحية والاسلام حول نبي المسيحية. هذه المسائل هي: الألوهية ، وصفة الابن، والصلب ، ومبدأ خلاص البشر على يد المسيح . لذا نجد من الضرورة بمكان بحث هذا الموضوع عند هيجو لنسجل عندها مدى تقارب فكره مع الاسلام.

اشار لنا في قصيدته "*المشنقة*" الى خطأ الافكار التي قيلت عن شخصية المسيح (ع) عندما قال على لسانه:

---

[354] في عام **1860** عبر هيجو عن اعتقاده وعن ايمانه في ثلاث جمل ستختصر كل فكره: **"**اؤمن بالله. اؤمن بالروح، اؤمن بمسؤولية اعمالنا" نقلاً عن اندري موروا . المصدر السابق . ص**561.**

"سيتوهم الكثيرون ، يولد الخطأ مني" [355]

رغم هذا الاعتراف ، بدا وفياً لمسألة الصلب [356] ومسألة خلاص البشر على يد المسيح ، التي يرفض الاسلام فكرتها. [357]

"بعد ظهور الخالق ظهر المنقذ.
سهر المنقذ من اجل جميع العيون
بكى من اجل كل الدموع، اُدميّ لكل الجروح." [358]

ولكن من جهة اخرى، كان من الصعب عليه تقبل فكرة الوهية عيسى (ع). فقد كتب في قصيدة بيتين تبدوان قد سيقت من الانجيل:

" إذا كان إلهاً كما قيل لنا
اكان قد ترك شخصاً يموت وهو يحبه إلى هذه الدرجة" [359]

لكن هيجو لم ينقل حرفياً من الانجيل فقد اضاف اليه هذه الجملة الدخيلة "*اذا كان الهاً*" وهو غير موجود في انجيل يوحنا [360] .

وفي مكان آخر يتناول هيجو كلام السيدة مريم العذراء حول الوهية المسيح عيسى (ع) وخلاص البشر على يده . وحسبنا في ذلك علامة التعجب:

"ابني هو الله ! ابني سينقذ حياة الناس ! " [361]

---

[355] انظر "نهاية الشيطان" الكتاب الثاني، [II, VIII]، *المسيح يرى ما سيحدث* ، (1859- 1860).

[356] المصدر نفسه. [I, III]، الصلب.

[357] احد مبادئ الاسلام هي (ولا تزر وازرة وزر اخرى) أنظر القرآن، سورة الانعام الآية 164، انظر كذلك سورة الاسراء الآية 15، وسورة فاطر الآية 18، وسورة الزمر الآية 7، وسورة النجم الآية 38.

[358] الله، II, VI، (العتقاء) نصفه نسر ونصفه اسد، 1855.

[359] اسطورة القرون II, VIII، 1852.

[360] انظر انجيل يوحنا. الاصحاح 11، 34 - 37.

ونجد هيجو في مكان آخر ينقل كل الآراء التي قيلت حول شخصية السيد المسيح عيسى (ع) واعطى في النهاية وجهة نظره:

" هل كان هو الله؟ ــ كلا ــ نعم ــ ربما ــ لا نعتقد ذلك ابداً.
كل ما يقال عنه يبرهن انه انسان رقيق جداً.
الشيء الاكيد انه قام بفعل الخير على الارض.
خير كبير، كان طيباً وكان مسالماً وكان صارماً...
بلا شك انه ليس الهاً، والمؤكد انه قديسٌ " [362] .

وكما اعطى هيجو صفة القديس الى النبي محمد (ص) عام 1849 [363] فقد اعطاه الآن للمسيح عيسى (ع). [ومع وجود الف اختلاف واضح ، نجد ان الصفة التي اشار اليها رينان لم تفقد تاثيرها ،كون المسيح رجل"قديس"] [364] .

نستطيع الاستنتاج ان هيجو ينظر إلى السيد المسيح (ع) كانسان ، صحيح انه " *فقير ومتواضع* "[365] ولكنه عظيم وكبير، في النهاية هو انسان وليس إله. نصل الآن الى نقطة مشتركة يلتقي فيها الفكر الهيجوي مع الفكر الاسلامي حول شخصية السيد المسيح عيسى (ع)، حيث يقول الله تعالى في محكم كتابه (*لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم..*) [366].

وعاد هيجو في عام 1856 الى دائرة بحثه عن الله ليكتب عن المسيحية، تحت عنوان "*العنقاء*" ، واتُهِم هيجو بانه لم يعد مسيحياً عندما كتب هذه

---

[361] التأملات. الكتاب الخامس، XXVI، 1855.
[362] كل القيثارة I الانسانية III.
[363] اسطورة القرون IX, II.
[364] جاز بيير جوسوا. المصدر السابق. ص38.
[365] اسطورة القرون. XX، 1857.
[366] سورة المائدة الآية 17، والآية 72؛ (*ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب..*) سورة آل عمران الآية 59.

القصيدة [367] وفي الحقيقة برغم ايمان هيجو بصلب المسيح(ع) ، فقد ظهر متردداً بقبول فكرة الثالوث التي بدت له فكرة مشكوك فيها ومربكة:

" .. تمتزج فكرة الأب والابن في روح القدس،
يبدو ان السماء الصافية تساوي وتخلط بين
عيسى روح الانسان وبين الله روح العالم! " [368]

ميز هيجو الهه مبعداً عنه فكرة الابوة ، وواهباً اياه وبتشابه كبير مميزات وصفات الله تعالى في القرآن الكريم . ورغم انه لم يكتب عن الاسلام في ديوانه "*الله*" والذي كان من المفترض ان يكون بعد الفصل الخاص بالمسيحية ، نجد انه ادخل في ديوانه مفاهيماً وافكاراً قرآنية. ولم يتوقف هيجو عن تعظيم الله وتمجيده، مبعداً عنه كل صفة تؤدي إلى الشرك ، والذي يعتبر اثما لا يغتفر في الاسلام، يقول الله تعالى "ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء"[369]. فهو يشير دائماً إلى صغر الخليقة امام عظمة الله تعالى مبيناً ان لا شيء يعادل العلي العظيم:

"الافعى الكبيرة تبدو له كشعرة في البحر." [370]

وبسبب تفكير هيجو على هذا النحو في ديوانه "*الله*"، اتُهِم بخيانته للمسيحية [371] التي تضع الله في المكانة الأولى في اطار الثالوث، من البديهي ان الاسلام يرفض فكرة الثالوث: "... لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة. وما من

---

[367] فيكتور هيجو. آخر الدواوين الغنائية، نهاية الشيطان، الله، تعليق ج باسيرون **J.Passeron**. باريس، دار لاروس **1953**. ص**93**.

[368] الله. **II, VI**، العنقاء، **1856**.

[369] سورة النساء . الايات **48** ، **116**.

[370] الله. **II, VI**، العنقاء، **1856**.

[371] انظر جورج بونقيل. المصدر السابق. ص**238**.

الله إلا الله واحد"[372] وربما قد عالج جوسوا وحلل جيداً موقف هيجو وتفكيره حيال المسيحية عندما قال ان: "هيجو لم يتقبل دراسة المسيحية العقائدية، ولا اصلا فكرة الثالوث ــ وانما الدور الذي لعبه عيسى (ع)، الموحى والمنزل من الله. حتى ان ابراز محبة الله على الصليب تستدعي نوعاً من دراسة المسيحية" [373] . من جهة أخرى ثمن هيجو الرحمة المسيحية التي كان يخصها ليس فقط للفقراء وانما للاغنياء ايضاً، للنساء وللاطفال وللشيوخ والى كل كائن حي.[374]

اما في ما يخص علاقة هيجو بالكنيسة في قصائد المنفى، فنلاحظ كراهيته للكنيسة تارة بشكل مبهم وتارة بشكل صريح، فهو لا يصلي فيها كما تشير إلى ذلك قصيدته "*دين*" [375] . وفي الحقيقة ان حقده لا ينصب ضد الكنيسة بشكل خاص وانما ضد سلوك رجال الدين في الكنيسة، فيقول في هذه الابيات الحوارية:

"لم لا تذهب للصلاة في الكنائس؟ ــ

...

قلت له: الكنيسة هي السماء الصافية؛ وفيما يخص الراهب... ــ

في هذه اللحظة ابيضت السماء.

أخذت الرجفة كل شيء ، الصنوبر والسدر والدردار

...

قلت له وانا اريه الخيمة الذهبية على الارض المظلمة ــ

انحني، فالله نفسه يحتفل بالقداس وهذا هو السمو"[376]

---

[372] سورة المائدة، الآية **73.**

[373] جان بيير جوسوا، المصدر السابق، ص**37.**

[374] انظر، اسطورة القرون، **LII، 1854، LIII، 1858.**

[375] التأملات، الكتاب السادس، **XX، 1855.**

[376] نفس المصدر

تذمر هيجو من كون الرهبان واسطة بين الله والإنسان. فالله قريب جداً بحيث يستطيع كل انسان ان يدعوه مباشرة. ان هذا التفكير الذي يجسد الوحدانية يشير الى تقارب مع العقيدة الاسلامية .

تحامل هيجو على الرهبان حد اتهامهم بقتل الدين، ففي احدى قصائده نَظَّم حواراً بين الاشياء المجردة واشار الى رأيه حيال الكنيسة بشكل صريح:

" ماأسمك؟ ــ دين ــ من هو قاتلك ؟ ــ الراهب.
ــ وانتم ، ماهي اسماؤكم ؟ ــ استقامة ــ حياء ، حق ، فضيلة
ــ ومن الذي ذبحكم؟ ــ الكنيسة..." [377].

حسب رأي هيجو ، لا يقتل الرهبان الدين حسب ، وانما "يصغرون اسم الله عند تعريفهم اياه" [378]؛ فلعدم فهمم له [379] ، شوهوا صورته وذهبوا حد الكفر به:

"ليس الله روحاً وانما قلباً. ...
كفر به الرهبان على الارض، " [380]

لقد نجح هنري كوييمان عند تحليله لعداء هيجو ضد الكنيسة بقوله: "انه (هيجو) يفهم انه يسببها (الكنيسة) ، وبسبب ما اعتبره خيانة الكنيسة وتخليها عن مهمتها النبيلة ، امست حتى فكرة الله مريبة في اذهان الناس. فحسب رأيه تعمل الكنيسة بالتأكيد بلا ارادة ، ولكن بطريقة مؤثرة لاشاعة المادية ."[381] إن على الراهب ان يكون حسب هيجو بعيداً عن مباركة العقوبة ، وخصوصاً عقوبة الاعدام ؛ فمهمة الراهب الحقيقي يجب ان تتركز على نشر الرحمة والسلام وزرع

---

[377] العقوبات. الكتاب الأول، **XV**.

[378] جورج بانفيل. المصدر السابق، ص**240**.

[379] انظر تــكيده هذه الفكرة ضد الرهبان في ديوانه "السنوات المشؤومة"، **XXX, XXXI**، **1863**؛ **XXXII**، **1866**؛ **XXXV**، **1867**.

[380] نهاية الشيطان. خارج الارض ، **IV, XV**، **1860**.

[381] هنري تحويمان. هيجو. المصدر السابق. ص**76**.

حب الله وحب الحياة في القلوب. وقد قال ذلك في 20 ابريل 1853 على ضريح المعارض جان بوسكية Jean Bousquet عندما كان يفكر "بهؤلاء الرهبان الذين.. يباركون ويمجدون اليمين الكاذب والقتل" والذين "قد يكتفوا بزعزعة اشد القناعات الصلبة في النفوس الاكثر رسوخاً، ان كانت لا تلاحظ السماء فوق الكنيسة ولا تستشعر الله فوق الراهب.)[382] .

ان مقاومة الاكليروس عند هيجو لم تكن موجهة فقط ضد الرهبان وانما أيضاً وبشكل رئيس البابا الذي يصفه هيجو بالمسؤول عن كل شر وكل جريمة ؛ ففي قصيدة كتبت حول يوم الفصل تنبأ هيجو بنهاية مريعة للحبر الأعظم [383] ، ناظراً اليه كمسؤول عن كل الأعمال السيئة للبشر.

- مفهومه الخاص بالله تعالى

بالمقابل سنحاول التعرف لمفهوم الله سبحانه وتعالى حسب هيجو في هذه الفترة ، وعلى هذا الحال فان طلب الله والبحث دون توقف عن طبيعته وصورته والمحاولات التي بذلت لتعريفه ، والتي تملكت الشاعر طوال فترة المنفى جاءت كتطور محسوس لافكاره التي عرضها في سنوات الاربعين من عمره.

من الواضح ان المنفى جعل تفكيره اكثر عمقا ، لذا نراه يذهب الى التعبير باسلوب فلسفي مختلط برؤية نابعة من خياله الخصب ؛ فقدم لنا امثالاً ومقارنات وحجج دامغة تعين افكاره ، مما يشير إلى تطور معين في فكره خلال هذه الفترة.

ان اول ما سنعالجه هنا هو الاسلوب الذي اتبعه هيجو ليؤكد وجود الله. فقد مال إلى البراهين والامثال معطياً اراءاً مختلفة ، ومدحضاً حجج الكفار ، ومقدماً قصيدة مقفاة ، تعطي للوهلة الأولى انطباعاً كما لو انها مستقاة من القرآن الكريم، على ان الشاعر ومنذ طفولته بحث في انسجام الطبيعة المتكاملة انعكاساً لوجود الله، وبمرور الزمن بدا فكره الناضج يكبر أكثر فاكثر . فبعد ان

---

[382] المصدر نفسه.

[383] اسطورة القرون. LIV، 1853.

قال عام 1847: "*اعتبر يا الهي باننا نشك عندما نعاني*"[384] يصب هيجو غضبه الآن عام 1854 ضد الكافر الذي ينكر الله عندما يعاني:

"لست معجباً سوى بنفسك ايها العابر الفاسد على هذه الارض!
فعندما نتكبر ونتعالى ننسى الله، وعندما نعاني الالم نذكر الله
فالسخرية عند فقئها عين الانسان
هل بامكانها فقأ النجوم في السماء؟" [385]

في هذا المثال الذي يشير إلى ضعف الانسان وصغره امام عظمة الله يبين هيجو عجز هذا الانسان، لا بل وجهله وهو يتصور انه يعادل الله تعالى . وهذا الموقف من هيجو يشبه في بعض نواحيه موقف النبي إبراهيم (ع) في القرآن الكريم ، عندما جادله ملك كافر حول قدرة الله تعالى ، فاجاب ابراهيم: ﴿ فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. ﴾ [386] من جهة أخرى ،لم يتوقف هيجو عن استخدام افكار خيالية لتقويم حجته ، ولكنها صحيحة من وجهة النظر الاسلامية :

"*آه ! عندما نضرب (نؤذي) الله ، يأتي الجرح فينا.* "[387]

وهكذا مهما انكر الانسان وشك وسخر ، فانه لا يضر الله في شيء ، لا بل على العكس فانه يضر نفسه دون علمه. وهذه الفكرة موجودة في القرآن الكريم في هذه الاية : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [388] . كذلك يحذر هيجو الكفار من حقيقة ان:

"*الذين لا يتبعون الله ، يسيرون في الظلمات* " [389]

---

[384] التأملات. الكتاب الرابع XV، 1847.

[385] التأملات. الكتاب السادس XVII، 1854.

[386] القرآن الكريم. سورة البقرة، الآية، 258.

[387] التأملات. المصدر السابق.

[388] سورة البقرة. الآية 57، انظر كذلك سورة الاعراف. الآية 160.

[389] (الله). العنقاء، 1856.

والذي يوافق معنى الآية الكريمة في القرآن: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً..﴾ [390].

وبعد ان بين للكفار خطأهم العميق، وخطورة نتائج تفكيرهم ومعتقداتهم، يتوجه اليهم هيجو ويطلب منهم ان يستغفروا الله.

" *الاستغفار يعيد فتح باب مغلق* " [391] [α]

ولسنا هنا بعيدين عن الايات القرانية الكريمة : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً " وال*باب المغلق* في البيت الشعري يتوافق مع هذه الآية المتمثلة بانحباس امطار من السماء.

لم يحقد هيجو فقط على الكفار ، وانما حقد ايضاً على من يقوم بفعل خير ما فيرى نفسه عظيماً ، وبالتالي سيفقد قيمة عمله من خلال تعاليه وتكبره :

" عمل الخير الذي نقوم به بتكبر
***يتلاشى حالاً جراء غرورنا ، "* [392]**

ويمكننا ان نجد هذه الفكرة في القران الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالاذَى﴾ [393] .

ويظهر هيجو الفرق بين الانسان الصغير المتعالي وبين الله العظيم المتواضع:

"يمنح الله الفجر للسماء دون حساب نوره،
***وقطر الندى للازهار دون حساب القطرات؛"* [394]**

---

[390] القرآن الكريم. سورة طه، الآية 24.

[391] التأملات. المصدر السابق.

[α] سورة نوح . 9-10 .

[392] التأملات. الكتاب السادس ، V، 1854.

[393] سورة البقرة. الآية 264.

وبعد حنقة على جبروت الانسان وطغيانه غير المجدي، يدعوه الان إلى الخضوع والتفكير بأنه:

"لم يخلق الله شيئاً بلا فائدة.

فالارض نعمة مسخرة ، حيث لا شيء وجد عبثاً " [395]

ومن المهم ان ننقل هذا الاية القرانيةالكريمة الموجهة الى اولائك الذين يفكرون على هذا النحو مثل هيجو: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[396] .

ان العالم مسخر لخدمة الانسان ، لذا نجد الشاعر يتوجه إليه ويطلب منه ان يخفض صوته امام هذه المناظر الرائعة وان يتفكر فيها بتواضع واستكانة:

"أخفض من صوتك، وانتبه لما تقول،

تفكر بخشوع: "[397]

وهي ذات الطريقة التي ينصح بها لقمان ابنه في القران الكريم قائلا: "(وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الاصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"[398].واذا كان هيجو يطلب هذا من الانسان فلأنه يشعر بأن المخلوقات اجمعها تدرك حقيقة عدمها ، وعظمة خالقها ، فتنحني في الحال وتسبح الله وتعبده:

"الانسان يرتجف يرى الاشجار وهي تصلي

---

[394] التأملات. المصدر السابق.

[395] اغاني الشوارع والغابات. الكتاب الثاني **III, V**، **1860**.

[396] سورة آل عمران. الآية **91**.

[397] التأملات. الكتاب السادس **VI,XIII**، **1854**.

[398] سورة لقمان:**19**

والجبال وهي تخشع ؛ " [399]

لقد اقتربنا كثيراً من الحقيقة التي تشير إلى خشوع وسجود جميع المخلوقات امام خالقها: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الارْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاس...﴾[400] ولكن الانسان وحده هو الجاهل ، ووحده الذي لا يعجب سوى بنفسه . يقارن هيجو هذا الانسان بالمخلوقات الاخرى ، الانسان الذي كرَّمه الله تعالى بعقله نراه كافر ملحد وغير مؤمن، فهو يشك وينكر ، بينما الخليقة كلها التي وضعها الله في خدمته تبدو حكيمة وتخشى خالقها:

" .. *يشك "الحكيم"* باللّه ويهزأ...*

بينما تهتز العشبة خشوعاً

ويبكي الفجر ، ويئن الريح. " [401]

ان هذا التضاد بين سخرية الانسان وانين الريح وبكاء الشجر يحقق ما انزله الله تعالى في القرآن الكريم عندما يقول:﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ﴾[402].

من جهة اخرى ما انفك هيجو يؤكد وجود الله، ولم يتأخر عن الاستعانة بأية طريقة وبأي اسلوب وبأي فكرة لبيان هذا الموضوع، فقد كتب في عام 1854 قصيدة طويلة تحت عنوان "*كل الماضي وكل المستقبل*" [403]، في هذه

---

[399] التأملات. الكتاب السادس **VI, XVI**، **1854.**

[400] سورة الحج. الآية **18.**

* عبارة الحكيم ذكرها هيجو استهزاءاً ، لذا وضعناها بين قوسين

[401] التأملات. الكتاب السادس، **XVII**، **1854.**

[402] سورة النجم . الآية **60.**

[403] اسطورة القرون. **XLIV,I**، **1854.**

القصيدة ربط هيجو باحكام فكرة حركة الطبيعة بوجود الله، ويتساءل فيما اذا لم يكن الكفار قد تأملوا الطبيعة قليلاً لينكروا الله:

"الله غير موجود! هذه الكلمة لوحدها تسبب العذاب.

اذن فانت لم تنظر ابداً إلى الطبيعة ؟ "[404]

وقد اعطى امثلة كثيرة لتعين فكرته، فقام بحث الكفار ان يحولوا نظرهم ولو لمرة واحدة نحو الطبيعة ، ليتعرفوا على اثار الله الحي؛ وهذا هو الاسلوب الذي اتبعه القرآن للهدف نفسه: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَمَا تُغْنِي الاياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [405].

وعلى هذا الحال، لم يكتف هيجو في حث الكفار على الايمان بالله فحسب، وانما يريد ان يكون هذا الايمان مطلقاً وثابتاً ، وذلك من اجل التحذير على عدم الوقوع في الشك، لأنه حسب رأي هيجو مهما انتشر الظلم والشر ، يجب ان لا يجردنا ذلك من ايماننا ، علينا ان نفهم في الحال ان هذا اختبار من الله تعالى لنا:

"علينا ان لا نشك ! فلنؤمن ! ففي النهاية ينجلي الغموض،

لننتظر ولنصبر...

يا اصدقائي ، إنَّ الله يختبرنا، فلنؤمن ولنهدأ، "[406]

ومن المعروف ان طريقة الايمان هذه شائعة جداً عند المسلمين، فالقران الكريم يحثهم دائماً على الصبر وتحمل الابتلاءات الله بهدوء ، وهي في الحقيقة اختبارات للانسان مغلفة بالشر الموجود على الأرض.

---

[404] المصدر نفسه.

[405] سورة يونس. الآية **101.**

[406] العقوبات. البذخ، **IV**، **1852.**

ان ايمان هيجو هذا هو نفسه الذي يسد امامه كل طريق لليأس، فهو يندهش من الانسان المؤمن الذي يبقى شاكاً، ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالاخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [407] فيثور هيجو في وجهه موضحاً حقيقة ان الأمل لا يأتي الا مقروناً بايمان عميق وغير متزعزع بالله العليم العظيم :

"أبامكاننا اليأس من الله

فقط لانه لم يستجب في الحال؟...

كيف اليئس منه !؟ كيف اليأس من العدالة العظيمة !؟

كلا! كلا! انه هو الوحيد الذي يعرف اسم الزرع

الذي ينمو في حقله. "[408]

كذلك نجد القرآن الكريم المنزل من الله تعالى يطرد اليأس من القلوب: ﴿... وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [409] لأن الاسلام الذي يزرع عند الانسان حب الحياة الدنيا وفي الوقت ذاته الامل في الحياة الآخرة يرى في الاعتقاد بالله القادر على كل شيء علاجاً لتحمُّل كل شر، علاجاً لا يترك الإنسان ابداً فريسةً لليأس.

فضلاً عن مسألة وجود الله، بقيت الصفات التي اعطاها الشاعر لجلاله هي الصفات ذاتها التي عبر عنها قبل المنفى، ولكن في هذه المرة أتخذت قصائد هيجو شكل رؤية فلسفية عميقة نابعة من روحانياته للسنوات 1854 و1855. فهو يُبَجِّل ويُعَظِّم غالباً إلهاً واحداً احدا [410] قادراً على كل شيء :

---

[407] سورة الحج. الآية **11.**

[408] العقوبات. المصدر نفسه.

[409] سورة يوسف. الآية **87.**

[410] **"...** الشيء الأكيد انه لا يوجد غير إله واحد**"** كتب هيجو هذه الكلمات عام **1860** في رسالة إلى م هيرتيلو **M. Heurtelou** في **Port-au-prince.** نقلاً عن لويس اراكون. المصدر السابق. ص**20.**

"الله وحده العظيم " [411]

"انتم تنسون الله الحي الذي يستطيع ان يُسيّر السموات كما الخيمة !...

سينصر الله دعوته !" [412]

ومن الممتع ان نجد في مخيلة الشاعر الطريقة التي من خلالها يعقب الله الليل والنهار ، مشيراً في الوقت ذاته إلى قوة الله:

"يأمر الله الليل بحجب النهار. " [413]

ان هذا البيت الذي يوافق الآية القرآنية التي تقول: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [414] يعكس صفة القدرة على كل شيء ، والتي ستدفع هيجو الى فكرة مفادها ان كل المخلوقات تطيع العلي العظيم:

" ... ان الكائنات جميعا وظلالهاً

تنحني امامه صباحاً ومساءً. " [415]

والقرآن الكريم الذي يتضمن هذه الفكرة ، حتى في تفاصيلها " ولله يسجد من في السماوات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال"[416] قد لا يكون بعيداً عن الوثائق والمراجع التي كان يرجع اليها هيجو في المنفى.

وفي الابيات الاتية يظهر إله هيجو حاضراً في كل مكان فيقول:

"اشعر به قربي في العش وفي السرب،

في الاشجار العميقة حيث يهمس صوت هادئ،

وفي السماء الزرقاء العالية حيث تدفعنا الحياة في كل لحظة،

---

[411] العقوبات. الكتاب السادس VI، 1853.

[412] المصدر السابق. الكتاب الخامس، X,III، 1853.

[413] الله. II,VI، العنقاء، 1856.

[414] سورة الشمس. الآية 4؛ أنظر ايظاً سورة الاعراف الآية 54.

[415] الله. المصدر نفسه.

[416] أنظر سورة الرعد. الآية 15.

وفي هذا الكون الرحب والمقدس حيث ولدت انا. "[417]

ان علاقة هيجو بربه هي من القوة بحيث ان وجوده وحضوره يمثل مكانة مرموقة في جميع قصائده تقريباً ؛ فمسألة وجود الله في كل مكان يعبر عنه في شعره كما في حياته الواقعية ، وهيجو يعرف جيداً حقيقة ان الله هو الشاهد على اعمال الناس في كل مكان ، فيستغرب من اولائك الذين لا يؤمنون بهذه الحقيقة:

"يالتعاسة الذين يفعلون الشر في الظلمات

وهم يقولون: مَنْ يرانا؟ "[418]

ومن الملاحظ ن فكرة هذين البيتين تترجم عن قرب معنى الآية القرآنية التي تقول: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [419]"الم يعلم بان الله يرى"[420].

ومن الجدير بالذكر ان الباحث البوي Albouy تناول تحليلاً آخراً لحضور الله في كل مكان عند هيجو قائلاً: "السماء الهيجوية واسعة. لا يملأها الله، فالله في العمق. السماء ملأى بحضور غائب."[421]. هذا صحيح ، ولكن هيجو يشعر بان الله قريب جداً وفي كل مكان ، فقد ذهب حد التصور انه يكلمه: "فقد كتب بنفسه على صور رائعة له: فيكتور هيجو متحدثاً مع الله"[422] .

---

[417] التأملات. الكتاب الخامس، XXVI، 1855.

[418] المصدر السابق. الكتاب السادس، VI, XII، 1854.

[419] سورة فصلت. الآيات (22 - 23).

[420] سورة العلق. الاية 14.

[421] نقلاً عن كلود جيلي. هيجو وثروته الأدبية. المصدر السابق، ص155.

[422] البيرت ثيبوديه Albert Thiboudet. تاريخ الأدب الفرنسي، من عام 1789 حتى يومنا هذا. باريس ، مكتبة ستوك 1936. ص171.

وأخيراً فان إله هيجو يحمل صفة العليم بكل شيء:

"..الرب، إله الارواح والانبياء
يرى ما تفكرون به ويعلم ما تفعلون" [423]
"الا يعلم ساعة هجرة البجعة؟
ام لا يعلم مدخلك ومخرجك ايها النمر
وكهفك ايها الاسد؟ " [424]

انها اذن صفة الاله العليم التي تشد من عزيمة هيجو وتقوي ايمانه، وهذه الصفة هي في الحقيقة كانت حافزا له في كل عمل خير كان يقوم به اثناء فترة المنفى وبعده* ، وفي الحقيقة تنتشر كل هذه الصفات في صفحات القرآن الكريم، ومن غير المفيد، بل ليس بالامكان ان نذكرها جميعاً هنا.

ومن الملاحظ ان هناك تقارباً في الاسلوب الهيجوي والاسلوب القرآني الذي يعظم الله في نهاية الآيات، وبنفس الطريقة يفضل هيجو ان ينهي قصائده وهو يُعَظِّمُهُ ويُسَبِّحُهُ :

"ملك في الساعة الأولى وحَكَمٌ في الساعة الأخيرة!
هو الذي اوجد العالم من نور !" [425]
"الله وحده الكبير! ذلك هو نشيد الحشيش؛
الله وحده الحق! تلك اعزوفة الموج الكبير
الله وحده البَرْ! ذلك هو همس الرياح. " [426]

---

[423] التأملات. الكتاب السادس، **IV**، **1853.**

[424] العقوبات. **Lux**، البذخ، **IV**، **1852.**

* ضيف هيجو احد أصدقائه كمقيم عنده في هوتفيل هاوس. وكان يقدم كل يوم اثنين وليمة لاربعين طفلاً، وتمتلؤ اوراقه بمساعداته للفقراء. أنظر اندري موروا. المصدر السابق. ص**471.**

[425] الله. **II, VI**، العنقاء، **1856.**

اذن فقد حقق هيجو الفكرة القرآنية: " يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم "[427] .

وهيجو ايضاً يسبح الله ، وخاصة في الليل الذي يعكس السكينة والرهبة وجمال الابداع الإلهي:**

"التسبيح لله دائماً بعد ظلام الليل ، " **[428]**

ويؤدي هيجو مديحه كما لو انه يكرر كلام الكتاب المنزل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [429] ، اذن فهيجو يحقق معنى هذه الاية، وتغمر الفرحة قلبه بعد الثناء والمديح ، معطيا انطباعا بأننا امام رجل دين حقيقي مؤمنٌ ومطمئنٌ بالايمان :

"انه راض عني وانا راض عنه ؛

انا سعيد ــ" **[430]**

سيكون من الضروري ان نفهم في النهاية ان الاله الذي بحث عنه هيجو في قصائده قد جاء من ادراكه كشاعر، ومن ايمانه العميق بأن هنالك بالتاكيد لكل مخلوق خالق "*لم يمت*"[431] ، و "*الوحيد الذي لا يموت*"[432] ، كما ان ايمانه هذا جاء من قراءته للكتب المقدسة ، وخصوصا القران الكريم الذي تارة اكد افكاره الشخصية وتارة اغناه بافكار جديدة .

---

[426] التأملات. الكتاب السادس، V، **1854.**

[427] سورة الحشر. الآية **24.**

** في الحقيقة تعود اصل هذه الفكرة إلى فترة ما قبل المنفى. انظر ماعرضناه في ص**100.**

[428] العقوبات. الكتاب الرابع ، X، **1853.**

[429] سورة طه. الآية **130.**

[430] التاملات. الكتاب الخامس **XXVI 1855**

[431] اسطورة القرون. **1857 XX, IV**

[432] نهاية الشيطان. الكتاب الثاني **I** جوديه **Judée VI 1859 -1860**

• **الموت ويوم القيامة**

بعد ان تفحصنا الشعر الهيجوي في المنفى لمسنا عند الشاعر استسلامه شبه الكامل للقدر الانساني، استسلاماً يشبه في بعض نواحيه او يذكرنا بطريقة الاستسلام في الاسلام، ففي غمرة تأملاته لم يبحث عن شيء ليعرفه ، فقد رضي بكل شيء دون ان يسأل لماذا، لأن العلي الكبير حسب مفهومه يعرف جيداً ما يفعل وما نستحق فيقول:

"فلنمش دون معرفة الوجهة، ولنتكلم دون ان يجيبنا احد،
ولنبك دون ان نعرف لماذا.
ايها الانسان لا تطالب بايقاف سكون العالم
قل لنفسك: انا معاقب. اخفض رأسك وفكر.
فذلك كافٍ لما ترى. " [433]

وسبب هذا الاستسلام يفسره لنا هيجو بان كل شيء سيتضح بعد الموت، ويؤكد بعدم الشك في ذلك :

"التفسير المقدس والهادئ موجود بعد الموت.
ايها الاحياء! لا تكفروا ابداً. " [434]

هذا التفكير الذي يختصر الفكرة الرئيسة لديوانه "*الله*" يقترب من الفكرة الاسلامية بان كل انسان سيكتشف الحقيقة الإلهية العظمى بعد الموت [435] **. اذن علينا ان نتهيأ ونستعد للموت ؛ وينصحنا هيجو بقوله :**

---

[433] التأملات. الكتاب السادس، **XVII**، **1854**.

[434] المصدر نفسه.

[435] انظر سورة الملك. الآية: **29**.

"لا تقم بأي خطوة لا تبغي وجهة الصلاة ؛

الله وحده القادر على انقاذنا.."[436]

ومن الملاحظ ان كلمة "انقاذ، توافق كلمة "حفظ" التي تكررت عدة مـــرات في القرآن الكريم. كما في الاية القرانية الكريمة : "فالله خير حافظا وهـــو ارحـــم الراحمين"[437] ذات المغزى نفسه.

وقبل قدوم الموت علينا ان نكون اوفياء مؤمنين، وان نبعد عنا كل طريق يجرنا للكفر:

"اقتربت الساعة، أأملوا، اعيدوا ضياء الروح الخامدة! " [438]

ولنصغ الآن إلى هذه الآية لنقارنها مع افكاره: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[439].

وكما نرى، يبقى المعنى العام لهاتين الفكرتين هو نفسه. ان التقارب بين الافكار الهيجوية والقرآنية تجاوز كما يبدو المضمون إلى الشكل: فالتعبير "يطوي كتاب شخص ما" الذي يعني ويرمز في ذات الوقت إلى نهاية العمر، مذكور فـــي القرآن الكريم بهذه الاية: "يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كمـــا بـــدأنا اول خلق نعيده" [440] . وهو كذلك موجود في شعر هيجو:

"يموت الانسان عندما يطوي الله السجل.[441]

وفي مكان آخر نستخرج مسألة الوقت المحسوب فـــي الحيـــاة الارضـــية الذي، حسب راي هيجو ، لا يساوي شيئاً اذا لاحظنا ضعف الانســـان وحياتـــه

---

436 التأملات. الكتاب السادس، 7، 1854.

437 سورة يوسف، الآية 64.

438 التأملات. الكتاب السادس، XXVI، 1855.

439 سورة الحجر، الآية 85.

440 انظر سورة الانبياء، الآية 104.

441 التأملات. الكتاب السادس، III، 1853.

القصيرة في خضم هذا العالم الكبير الخالد. فهو يتخيل ان الــزمن الــذي قضـاه الانسان في هذه الحياة لم تدم غير ساعة:

"الينا، نحن من لم نعش سوى ساعة ، "[442]

وهكذا فنحن لا نبتعد من احدى الحقائق المنزلة في القرآن الكريم ، والتي تقول انه في يوم القيامة يدرك الانسان مدة بقائه في الارض كما لو كانت ســاعة من نهار : " ...كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار.." "[443] ، وفي نفس هذا اليوم يتخيل هيجو حدوث الكثير من الامور، فقد كتــب فــي عــام 1853، قصيدة طويلة من 760 بيتاً تحت عنوان "*رؤية دانتي*"[444]. تحتوي هــذه القصيدة ، المخصصة على قضية اتهام البابا كونه"سبب كل جريمة" مــع التنبــؤ بنهايته ، تحتوي الكثير من التفاصيل عن يوم القيامة والتي تبدو مستوحاة ليست فقط من رؤيا يوحنا ليوم القيامة، ولكن ايضاً من الفكر الاسلامي المتمثل بالقرآن الكريم ، واسراء النبي محمد ﷺ ، كونه يتحدث عن تفاصيل الحياة الآخــرة، دون ان نغفل في هذا الجانب خيال الشاعر الذي يستطيع ان يقــتحم الآداب المختلفــة ويسخرها لخدمته، فنجد بداية ظهور الابواب في السماء كاشارة إلى بداية نهايــة العالم:

"ثم ميزت بابين من السحب،
احدهما في العمق امامي ، والآخر في الاسفل ، تحت" [445]

---

[442] التأملات. الكتاب السادس، I،XXIII، 1856.

[443] سورة الاحقاف. الآية 35. انظر كذلك سورة يونس، الآية 45.

[444] اسطورة القرون. LIV، 1853.

[445] المصدر نفسه.

وتلك حقيقة انزلها الله في القرآن الكــريم :﴿وَفُتِحَــتْ السَّــمَاءُ فَكَانَــتْ أَبْوَابًا﴾[446]. ومع هذه الحقيقة توجد حقائق اخرى ، مثل عدم القدرة على الصـــلاة في هذا اليوم المريع :

"حاولت ان اصلي، ولكن دون جدوى. "[447]

ولكن القرآن يشير الينا ان هذه الحقيقة تختص فقط بـــالقوم الخاســـرين: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُون﴾ [448].

وعلى طول هذه القصيدة نجد هيجو يصف حالة الكفار ، يـــتهم بعضـــهم بعضاً، الاسياد والعباد؛ ان هذا الموقف سبق وان ذكر اكثر من مرة فـــي القـــرآن الكريم "وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انـــتم مغنون عنا من عذاب الله من شيئ قالوا لوهدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص"[449] وكذلك هذه الاية الكريمة :"واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصـــيبا مـــن النار .."[450].

وعلينا ان لا ننسى كذلك حالة الكفار في هذا اليوم، فلم يتوان هيجو عـــن وصف رعبهم ورجفتهم وبكائهم وعويلهم ، وهو نفس الوصـــف الـــذي اعطـــاه القرآن للمنكرين في قوله تعالى: "واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك

---

[446] سورة عمّ،. الآية **19**.

[447] اسطورة القرون. المصدر السابق.

[448] سورة القلم. الآية **42**.

[449] انظر سورة ابراهيم، الآية **21**.

[450] سورة غافر، الاية **47**.

ثبورا. لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا"[451] وقوله تعالى :"واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا"452.

وتوجد في هذه القصيدة وصفاً لرئيس الملائكة الحاكم والتي تتوافق مع صفة جبريل (ع) الذي وصفه النبي محمد (ص) في قصة الاسراء والمعراج مع اختلاف صغير، ذلك ان الصيغة المحمولة على رأس الملك هي: " لا إله إلا الله محمد رسول الله"[453]، بينما هذه الصيغة عند هيجو كانت "العدالة" .

وفي قصيدة اخرى بعنوان "*البوق* في يوم الفصل" [454] نلاحظ ان الوصف الذي قام به هيجو عن الناس بعد النفخة الأولى للبوق على الاموات تقترب من الوصف الذي اعطاه القرآن الكريم الذي يقول : "ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون"[455]. فننقل مثلاً هذا البحث الذي يشير إلى استواء الارض بعد نفخة البوق:

" *هناك، لا نرى حدوداً لأي عالم*. "[456]

هذا الحدث المستقبلي اكده القرآن بقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الارْضَ بَارِزَةً...﴾[457].

واذا جئنا الآن إلى طريقة حكم الناس في الحياة الآخرة نجد ان الفكر الهيجوي والفكر الاسلامي يتماثلان من حيث ان "ميزان الحكم" هو الذي يحكم ويقرر فيقول هيجو على لسانه:

---

[451] انظر سورة الفرقان، الآيات 13 إلى 14.

[452] سورة الانشقاق، الآية 11.

[453] انظر الامام ابن عباس. الاسراء والمعراج. بيروت ، دار العلوم الحديثة1982. ص3.

[454] اسطورة القرون، LX، 1859.

[455] سورة الزمر . الاية 68.

[456] المصدر السابق.

[457] سورة الكهف. الآية 47.

"ولكل كائن ميزانه الخاص. ...
ونزن الاعمال ، فينزل كُلّ حسب وزنه. " [458]

وهكذا نلمس في هذا العرض تقارب الافكار الهيجوية والاسلامية ، ليس فقط في جانب المفاهيم الدينية الرئيسة ، ولكن احياناً ايضاً في التفاصيل، مما يدلل دون شك على التأثير المباشر وغير المباشر للفكر الاسلامي عند الشاعر وخاصة اثناء المنفى.

افكار متنوعة مقارنة

في شعر المنفى نستطيع ملاحظة افكار متنوعة تتوافق جيداً مـــع الفكـــر الاسلامي، ولكن دون ان تنظم في عنوان مشترك، اصول هذه الافكار لا تعود فقط إلى القرآن الكريم وانا ايضاً إلى التوراة. وفي قصيدة "*بوز النائم*" ، يحكـــي لنـــا هيجو قصة بوز الذي اندهش عندما رأى في المنام اعجوبة تحدث له فقال:

"كيف يمكن ان يأتي هذا منـي " [459]

وبنفس الاسلوب تحدث ابراهيم (ع) ، وقد ذكرت قصته في القرآن الكريم والتوراة [460] عندما انبأه الله بولادة ابن له وهو في شيخوخته. قال تعـــالى :" .. قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون.."461.

ويجدر بنا ان ننقل استلهام هيجو للقانون اليهودي، "القاسي جداً" ، حسب رأي هيجو الذي ما انفك يدعو إلى الرحمة الإلهية:

"العين بالعين؟ والسن بالسن ! والرأس بالرأس! إلى الموت

---

[458] التأملات. الكتاب السادس، **XXVI**، **1855**.
[459] اسطورة القرون. **II,VI**، **1859**.
[460] سفر التكوين. **17**، **17**.
[461] سورة الحجر. الاية **54**.

يا عدالة! *المقصلة افضل من الوعظ*." [462] .

ومن المعروف ان استلهام هذا القانون اكده القرآن الكريم ايضــاً فقــال: ﴿وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاص...﴾ [463] .

وبعيداً عن المقارنات غير المجدية بين الفكر الاسلامي والفكر اليهــودي لنبحث الآن في شعر هيجو مما له علاقة بالفكر الاسلامي خاصة.

ومن الجدير بالاهتمام ان نقرأ في شعر هيجو استلهام الســـلام الاســـلامي والاعجاب به.

[*قال هذا السيد وهو يقبّله*: "*السلام عليك يا اخي* "...
ادخلوا البيت وقولوا : *السلام على الجميع*!][464]

ويمكننا ايضاً ان نجد عند هيجو افكاراً وافعالاً حتى في حياتــه الواقعيــة تتفق مع الاسلام، ففي زمن المنفى كانت لديه نشاطات ملحوظ، ففي احدى خطبه بدا مناصراً لفكرة الزواج الذي يتحرر بالطلاق[465]. ومن المعروف ان هذه الفكرة التي تتفق مع الاسلام تتعارض بوضوح مع المسيحية[466] .

فضلاً عن انه كان يقوم بتهيئة وليمة كل يوم اثنين لاربعين طفلاً فقيــراً. وقد يكون من العبث ذكره ، ولكن لو انتبهنا إلى اليوم الذي حدده هيجو لعمل هذا

---

[462] رياح الفكر الاربع. I,XVII. انظر التوراة في اصل هذا القانون، سفر الخروج 21، 23 -26.

[463] سورة المائدة. الآية 45.

[464] نهاية الشيطان. الكتاب الثاني، I، الجودية، III، 1859 -1860.

[465] فيكتور هيجو. رسائل واحاديث من المنفى، ترجم إلى العربية من قبل احمد رضا محمد رضا. القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986. ص11.

[466] انجيل متي. 19، 3 -10.

الخير الكبير لتذكرنا ان يومي الاثنين والخميس هما يومان مفضلان لعمل الخيـــر في الاسلام ، لأنه حسب السنة الاسلامية ترفع اعمال الناس إلى الله فـــي هـــذين اليومين[467]. هذه التفاصيل وهذا التقارب قد يكون بعيداً عن الواقع، وقـــد يكـــون هيجو غير مهتم لذلك، وغير مكترث حتى لاعطاء قيمة ليوم دون آخر، ولكن قـــد يكون مع ذلك مهماً ان نقارن الافكار هكذا بين حضارتين مختلفتين.

في النهاية فلنتذكر ان منفى الشاعر ليس وحده بالضرورة الباعث لتطور رؤيته الفلسفية، فعلينا ان لا ننسى مع ذلك تلك الكتب التي قرأها في المنفى، وهي "الأرض والسماء" لجان رينو Jean Raynaud، وكتاب "ديانة فيكتور هينـــيكن Victor Hennequin"، والمحادثات التي جرت بينه وبين بيير ليـــرو Pierre Leroux، ذلك المتمرد الآخر في اضراب ساماريز، فهذه المحادثات "كانـــت قـــد عظمت لديه موهبة الرؤية المزدوجة وهذه النشوة النبويـــة التـــي مـــات عليهـــا الشاعر"[468]

II / استلهام الاسلام

تحليل القصائد

1859 - 1852

عندما انكب هيجو على كتابة "*اسطورة القرون* " ، كان مـــن المحـــال ان يهمل الاسلام في ديوان هدفه "رسم الانسانية في كل صورها "[469] ، فخصص لها فصلين عن الاسلام طوال عام 1858، فالفصل الاول المعنون "*الاسلام* " مستوحى مباشرة من الفكر الاسلامي ، وقصائده هي "*السنة التاسـعة للهجـرة*" و"*شـجرة السدر*". اما الفصل الثاني المعنون "*عروش الشـرق*" فقـد خصـص "للهمجيـة

---

[467] انظر زكي الدين المنذري. تهذيب الترغيب والترهيب، الجزء الأول. الزرقاء الاردن ، الوكالة العربية للتوزيع 1990. ص317 -318.

[468] بيير مورو. الرومانسية . باريس، امبرمري موديرن (المطبعة الحديثة) 1962، ص399 - 400.

[469] انظر مقدمة اسطورة القرون. 1859.

المحمدية" [470]ويحتوي ثلاث قصائد هي "*زم زيزمي* (جـم)" و"1435" و"*سلطان مراد*" ، فضلاً عن قصيدتين جانبناها لغياب الاسلام فيها بشكل كامل هـي "*البيك المشتوم*" و"*اغنية عمال التذهيب لمقدمات السفن*" . وفي هذا المجال توجد ايضاً قصيدة تحت عنوان"*شرقية*" ، وهي قصيدة موجودة ضمن ديوان "*العقوبات*" ، والتي كتبت بلا شك في جرسي بين عامي 1825 -1853 ، والتي تدخل ضمن نفس الدائرة.

سنحاول بداية بحث صورة الاسلام في القصائد المخصصة عن الشرق المسلم ومن ثم بحث الاسلام كما استلهمه الشاعر.

أ - عن الشرق المسلم:

1 - قصيدة"*شرقية*"

بعد ان طرد من فرنسا وبقي في المنفى ،لم يعد بامكان هيجو ان يحلم بالفنتازيات الشرقية، لم يكن امامه سوى الانتقام من الطاغي المتجبر. وعلى هذا الحال اجاب عن العنف بالعنف، ومن هنا ظهر كتابه "*نابليون الصغير*" و"*العقوبات*"، وفي هذا الديوان كتب هيجو قصيدة تحت عنوان "*شرقية*" ، عندما قارن بين شخصيتين طاغيتين، احداهما عربي مسلم والاخرى اوربي، فالاول المقدام عبد القادر الجزائري *اصهب الصحراء* بصفة *النمر* في مواجهة الثاني بصفة *الذئب* وهو نابليون الثالث، الذي ظهر حقيراً وفاسداً اكثر امام المسلم:

"*هو السلطان المولود تحت النخيل*
رفيق الاسود الحمر
الحاج القاسي ، ذو العينين الهادئتين
الامير السارح، المفترس الرقيق؛...
عندما رأى هذه النظرة الماكرة الخائنة،

---

470 المصدر نفسه.

هذه الجبهة الواطئة والقاتمة خجلاً،
هو الجندي الجميل، الكاهن الجميل،
يقول: ما هذا الرجل؟ " [471]

علينا ان لا ننغر بهذا الوصف العظيم الذي هو ليس تحديداً صفات الطاغي الشرقي. فهيجو لا يمتدح اولائك الذين ادانهم طـويلاً، فقـد اضـاف إلـى هـذه الشخصية الاسلامية صفات القسوة والظلم:

" هو الشخص القاتم والقدري
خيال شاحب في رداء ابيض
الذي كان يقفز منتشيًا من المذبحة
ثم كان يجثو في الظل على ركبتيه؛
فاتحا باب خيمته،
ومصليا على قارعة الطريق
كان هادئاً وهو يري للنجوم
يداه الملطختان بدم بشري
كان يسقي السيوف دما
كان حالماً ، غامضاً
جالساً على الرؤوس المقطوعة،
وهو يتامل جمال السموات؛ "[472]

"الهيئة المتعاظمة للحاج القاسي كما مثله الشاعرلم تـؤدي بالمقارنـة إلا إلى استنتاج اذلال المستبد الطاغي" [473]. ويبـدو ان هيجـو كـان يصـف هـذه

---

[471] العقوبات. الكتاب الثالث VI، 1852 - 1853.

[472] العقوبات. المصدر السابق.

الشخصية العربية كما لو كان يراه وهو يصلي ، فمسألة ان *يري للنجوم يداه* هي بالتأكيد تعني دعاءه لان المسلم بعد صلاته يرفع يديه للسماء دعــاءً وتضــرعاً ، لكنه نعتها بـ*الملطختين بدم بشري* ، وهذا يدلل ان ثمرة "الشرقيات" بقيت عنــده بعد ثلاثين عاماً. وكان يسارع غالباً نحو موضوع الاستبداد الشرقي ، صانعاً منه صورة ممثلة عن نابليون الثالث، حتى انه في احدى قصائده عام 1867 اســماه بالسلطان[474] .

2 - *قصيدة "1453"*:

يبدو ان قصيدة 1453* في اسطورة القرون لا علاقة لها الا من بعيد مع قصائد "*عروش الشرق*" ، فهي تنتمي اكثر إلى "*الشرقيات*". فــي هــذه القصــيدة الصغيرة والمؤلفة من ستة عشر بيتاً وغير المؤرخة، يتأمل هيجو بشكل رمــزي تحرير القسطنطينية من قبل فرنسا، فالاتراك ، حسب رأيه، الذين حاصروها يرون فجأة خيالاً عظيماً يخبر محمد الثاني بانه يدعى فرنسا، وان الاسد الذي يتبعه هو الله، وانه عاد ليحرر القسطنطينية. نجد في هذه القصيدة موضوع حقيقة الغــزو الذي ابرزه هيجو عندما تحدث بشكل خاص عن المحتل المسلم. ونحن ندرك جيداً ان اجتياح هذه المدينة من قبل محمد الثاني " لا يمكن ان يسر قلــب الكــاثولوكي الفرنسي" كما يقول مؤنس طه حسين[475]. ومن الجدير بالملاحظة ان هذه القصيدة

---

473 عمر سخاشيرو. المصدر السابق. ص180.

474 انظر السنوات المشؤومة. XXXVII، 1867.

* تاريخ الاستيلاء على القسطنطينية من قبل محمد الثاني (الفاتح). كتبت هذه القصيدة على الاغلب في عام 1858. فموقعها بين"زم ــ زرمي" نوفمبر 1858 والسلطان مراد، يونيو، 1858.

475 مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص251.

كتبت في وقت "كانت علامات زوال الامبراطورية العثمانية تسيطر على النفـوس الاكثر خيالية" [476] . واذا كان الباحث بول بيريه يتصور ان هنـاك تعاطفـاً مـع الاتراك من جهة الفرنسيين الذين جاؤا لحمايتهم ضـد روسـيا ، فهيجـو علـى العكس، ابعد من ان يكون مواليا للقضية التركية، فالصفات القاسـية للمسـتبدين الاتراك استعارت اكثر صفاتها من سلاطنة "*الشـرقيات*". واذا كـان سـبب ذلـك بالنسبة للاخير هو الحرب التركية اليونانية، فصورة الاستبداد الشرقي لسـنوات المنفى تخص بداية شخصية نابليون الثالث والتي كثيراً ما شغلت الشاعر.

3 - *قصيدة "زم ـــ ززمي"* :

في القصيدة الأولى يبدو ان زم ززمي هو تحوير لاسـم شخصـية "جـم" التاريخية. والذي هو اخ بايزيد الثاني ، ولكن هذا الأمير يكن مستبداً ابداً ، لا بل على العكس فقد عاش في السجن ومات مسموماً عام 1495 [477]، فهو اذن اسـم فنتازي ورمز للمستبدين العثمانيين. جعل هيجو من هذه الشخصية ثملاً وشـريراً في ذات الوقت ، خاضعا كل الشرق تحت سيطرته ، ومع ذلك كـان ضـجرا ...، يحرك هيجو اشياء عروش زم، الكائنات العشر الخرافية* والتي اعطتـه جميعـاً نفس الجواب على الفكرة الذي ارهقته وهو : كل الملوك العظام والفاتحين ينتهون إلى الموت ، وتحت الهوة الكبيرة سَيُسَلمون إلى الديدان. ان هذه القصيدة هـي نظرة على اطلال الامبراطوريات. نخرج من هذه القصيدة بعض التلميحـات عـن الاسلام، وعدا صفات القسوة والزهو والنشوة والغنى المفرط الذي وصـف بـه

---

[476] المصدر السابق.

[477] انظر كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمه إلى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي. بيروت، دار العلم للملايين **1979**. ص**442 - 443**.

* "يبدو ان الشاعر كتب هذه القصيدة تحت تأثير هلوسة حقيقية. كان هيجو يسمع بطل قصيدته كما لو كان يسمع بنفسه صوت الاشباح . يؤكد ذلك هامش المخطوطة : "كتب في ارق ليلة **23** و**24**، نوفمبر **1858**". انظر بول بيرية. اسطورة القرون لفيكتور هيجو. المصدر السابق. ص**142**.

هيجو الملك المسلم، استغل بعض مواضيع الاسلام، وهكـــذا فقـــد اعلمنـــا ان زم ززمي هذا يشرب الخمر (وهو مبدأ محرم في الاسلام) ، لأنه يسخر من *الكتـــاب القاسي والنص المقدس* (القرآن الكريم)؛ وان الخليفة عمر كان قد قال: *بفضـــلي انتصر الله*، وهو افتراء على شخصية الخليفة الثاني في الاسلام الذي على العكس كان يؤمن انه ما كان منتصراً لولا فضل الله عليه.

من جهة اخرى يصف لنا هيجو مدى التجبر الـــذي وصـــل اليـــه بطلـــه الحزين: فقد جعل مجموعة *من الساجدين يعبدونه / من شيوخ وعلماء منهكـــين*.. وهو في الحقيقة يعبر عن اهانة واذلال في نظر المسلم الحقيقـــي. فـــي النهايـــة عندما عدد هيجو الشخصيات العظيمة للانسانية لم ينس ان يدرج فيهـــا الخليفـــة عمر (رض). نجد في هذه القصيدة كذلك ذكر للمدن الاسلامية: بغداد والموصـــل ومسقط ومكة والحجاز؛ اضافة إلى عناوين: شيخ وعالم وسلطان وامير وامـــام ووزير. كانت تلك كل المظاهر الاسلامية في قصيدة *"زم ـــ ززمي"*.

4 - *سلطان مراد* :

من خلال "*سلطان مراد*" قدم هيجو قصيدته بنوع من التفكيـــر الفلســـفي. لنقل بداية ان "مراد" ابن بايزيد هو مثل زم ـــ ززمي ليس سوى شخصـــية مـــن نسج الخيال، "لا ينبغي علينا ، كما يذهب إلى ذلك بيريه ، ان نبحث عـــن هويـــة السلطان مراد بين سلاطنة العصر الوسيط، فلا يوجد في ذلك العصر أي آمرات* ابن لبايزيد، واختار هيجو هذين الاسمين لأنهما الاكثر شيوعاً ، والاكثر صدىً في مجموع السلاطنة"[478].

وباسم "سلطان مراد" الذي ظهر اكثر بشاعة من زم ززمي جمع هيجو كل اشكال الاحتلال، وكل اشكال قسوة الملوك، فنسب اليه هيجو جرائم السلاطنة فـــي

---

* مراد هو الصيغة التركية لكلمة امرات كما يقول بيريه، المصدر السابق.

478 بول بيرية. القرون الوسطى الاوربية في اسطورة القرون ومصادر فيكتور هيجو. باريس ، دار هنري بولان **1911**. ص**371**.

كل العصور [479] . وقصة هذه القصيدة هي كالآتي: كان مراد سلطاناً قوياً وقاسياً؛ يخبرنا هيجو بانه *كان يدمر بعون من الله*. وها هي نفس نبـرة السـخرية ضـد الاسلام التي رأيناها في "*الشرقيات*". وعن طريق مراد يسخر هيجو مـن المسـلم الذي يوصف بالمؤمن اذا ما هاجم الديانة المسيحية:

["*كان مراد مؤمناً، كان مراد تقياً* !

***فقد حرق مئة دير للمسيحين في "اوبي"*،]**

وهذه معلومة مزيفة، فالاسلام دين سمح يتعايش بسلام مع الاديان الاخرى.

"وحتى نهاية وصف مراد ، تتابعت سلسـلة مـن التصـرفات القاسـية البربرية: قاتل ابيه ، وقاتل اخيه وقاتل الاطفال، مشاهد الحرق والتعـذيب" [480] ؛ وحسب القصيدة فهذه المشاهد باركها المسلمون الذين وجودوا في شخصية مراد صورة الله:

[*وكان الناس يرددون* : "*الله*! *مراد عظيم*."]

في احد الايام وبينما كان المستبد يتنزه في شوارع بغـداد، رأى خنزيـراً بائساً يئن وهو يحتضر ويلتهمه الذباب تحت الشمس الحارقة، فاخذته الرحمـة ، وتكرم بحركة منه في طرد الحشرات المزعجة ، دافعاً اياه نحو الظل. حينئذ نظـر اليه الخنزير *بنظرة لا توصف، ثم غارت عينه في حزن خفي عظيم*. ومات مـراد بدوره. في يوم القيامة ، كان الميزان هناك ، الارض باكملها ترهقه امام الحـاكم ،كل ضحايا الطاغي كانوا يصرخون منادين بالعدالة امام الله، ومالت الكفـة إلـى جهة النار؛ وبدا السطان هالكاً لا محال، ولكن.. فجأة ظهـر الخنزيـر الصـغير متوسلاً بالعفو عن مراد لتصرفه الجيد و ...

---

[479] المصدر نفسه. ص**374 - 382**.

[480] عمر شخاشبرو. المصدر السابق. ص**194**.

"*إلى جهة الخنزير مال الميزان.* "

وهكذا "فالإله ــ اله محمد ــ ، كما يقول بيرية ، عفا عنه. هذا التعظيم لإله محمد ليس فيه ما يدهشنا في تاريخ 1858"[481] ، حيث اشاد هيجو بمؤسس الاسلام بكثير من الاحترام في قصيدته "*السنة التاسعة للهجرة*"، السبب في ذلك كما يعطيه لنا بيرية ان هذا التسامح من جهة هيجو حيال الاسلام يعود إلى ان المدافعين عن تركيا امتد دفاعهم حتى وصل إلى الدفاع عن طباعهم وعن دينهم، فمدح البعض تسامح الاتراك في جانب الدين، والبعض الآخر مدح طيبة الحياة الريفية وبساطتها والرحمة التي يشعرون بها بسهولة، وفي رفقهم بالحيوانات. "[482]

ان الفكرة الجوهرية للقصيدة هي انه يكفي القليل من نور الرحمة الانسانية لتأمن الخلاص حتى لاكثر المجرمين قساوة، وقد يكون هيجو استوحى هذه القصيدة من حكاية مغولية تحت عنوان "*الموازين*" [483] التي نشرت في مجلة (المحافظ الادبي) بتوقيع أ. وهو بلاشك شقيقه الاكبر ابيل هيجو، لكن الامر لا يتعلق في "*الموازين*" لا بخنزير مستنجد ولا بعمل خير، فقد ظهر احد الجن في المنام لسلطان(اكبر) واراه الموازين حيث تراكمت في احدى الكفتين جرائمه، وحذره الجني بانه يكفي الآن جريمة واحدة فقط لبميل الميزان فتهلك روحه ؛ كانت هذه هي القصة، فربما كان هيجو قد استعار من الحكاية المغولية الموازين حسب. والقصة التي ابتكرها ربما تجد لها اساساً في السُنَّة الاسلامية. فالفكرة الرئيسة للغفران الموهوب لسلطان مراد تعود إلى قطعة شعرية كتبت عام 1846

---

[481] بول بيريه . القرون الوسطى الاوربية . المصدر السابق. ص **368** .

[482] بول بيرية. القرون الوسطى الاوربية. المصدر السابق. ص**368**.

[483] انظر بول بيرية. اسطورة القرون لفيكتور هيجو. المصدر السابق. ص**146**.

تحت عنوان "*آية من القرآن*" [484] التي الفها بعد قرائته للقرآن الكريم في كتاب "*الكتب المقدسة للشرق*" وترجمها بواتبيه، حيث نقرأ فيها:

"الذين يعملون الخير بوزن ذبابة

سيرونه وسيكون الشيطان لهم اقل اذاً."

وفي كتاب بواتيبة المفضل لدى هيجو توجد موضوعات اخرى تقترب من قصيدة مراد، كما يشير إلى ذلك بول بيرية [485]؛ فالحركة ذات الطبيعة الرحيمة قد اداها سلطان مراد بشكل طبيعي حيال الحيوان الذي وصفه القرآن كأكره حيوان[486].وبالتأكيد اخبر بواتية هيجو ان "المسلمين المؤمنين تمتد رحمتهم حتى إلى الحيوانات." [487] ويقدم لنا بول بيرية في بحثه المشهور عن مصادر *اسطورة القرون* موضوع يوم القيامة عند المسلمين في هذه القصيدة ، وذلك بمقارنته بصفحات *الكتب المقدسة للشرق* لبواتيية . ونظراً لعدم وجود هذا الكتاب بين ايدينيا سنقوم بنقل بعض الاستنتاجات التي توصل اليها بيريه فيقول:

[ترجع فكرة جبل سيناء إلى بواتيية، اذ يعتقد ان عقاب الله سيوشك ان يقع من خلال جبل سيناء (في يوم القيامة) ".

كان ذلك في قمة سيناء ...

كان هناك؛

- اما فكرة الغيمة التي تنشق، فنجد عند بواتيية فقرة تحت عنوان "السماء التي تنشق . " :

الغيمة المهيبة، في لحظات

---

484 اسطورة القرون. **XVII,III.**

485 بول بيرية. القرون الوسطى الاوربية. المصدر السابق. ص**384.**

486 المقصود هنا الخنزير والاية القرانية الكريمة تقول : " ..او لحم خنزير فانه رجس..."انظر سورة الانعام، الآية **145.**

487 بول بيرية. القرون الوسطى الاوربية. المصدر السابق.

كانت تنشق وتدعو للدهشة.

- اما فكرة وصول حيوان ما:

فيقول بواتيية :"والتأثير الآخر لنخة البوق الاول هو "سباق الحيوانات – ان تفكير كل المسلمين هو ان يوم القيامة سيكون شاملا للجميع . ستبعث كل المخلوقات، ملائكة وجن وانس وحيوانات."

فجأة، من اعماق الدجى. فوق السحابة
وصل حيوان مشوه..

- وفي النهاية فيما يخص فكرة الميزان:

يقول بواتييه "من اجل تبيان العدالة الحقة التي ستلاحظ في هذا اليوم يصف المسلمون الميزان ،حيث ستوزن جميع الاشياء، فهم يقولون ان الملاك جبريل سيمسك به، ويرونه بهيئة عظيمة *واسعة جداً* بحيث انه يمكن لجناحيه ان تحتوي السماء والارض، وان احد هاتين الجناحين معلق بالجنة والاخر بالنار. "

رأينا في الضباب حيث لم يعد لاي شيء هيأة.
رأينا بضبابية ظهور ميزان واسع ، ...
كان يضطرب برعب ويشرق
في يوم غامض ادهى من ايامنا
و يحمل في احدى كفتيه العالم ، والخنزير في الاخرى .][488]

من جهة اخرى، ان فكرة الميزان والتي مالت احدى كفتيه الخفيفة في يوم الفصل ضد ثقل الاعمال السيئة كلها ربما استوحت مصدرها من السنة الاسلامية

488 بول بيرية، القرون الوسطى الوربية. المصدر السابق. ص384 - 385.

حيث يكفي تلاوة الشعار الاسلامي "لا إله الا الله، باخلاص مــرة واحــدة ليميــل الميزان ويحقق الخلاص.[489]

في النهاية استوحى هيجو الوصف الذي اعطاه مــاتيو Mathieu فــي كتابه "*تاريخ تركيا وشعوبها المتنوعة*" لقبر سليمان ليصف بدوره قبر مراد [490] :

"قبر السدنة مبني من حجر كريم طبيعي
مطلي بصياغة، ومهيب ومدخله
كجوف حيوان مبقور مبني من ذهب ولؤلؤ خالص،
هذا الصرح العظيم بين الصروح
الذي يعلوه جدار من القرميد الجاف
وقمته الملأى بالابراج كجعبة سهام تبهر الانظار
هذا القبر الذي مازالت تشهده بغداد ليومنا هذا
استقبل السلطان الميت وانغلق عليه. "

وهكذا نرى ان مشهد الحكم الأخير ليس بعيداً عن المعتقدات الاســـلامية ؛ وعلى هذا الحال "فقد تجاوزت هذه الرحمة الفائضة ، كما يقول شخاشيرو، إلــه محمد.. يبدو ان هيجو لا يخص لهذه الرحمة اية حدود."[491] كان يأمل قبــل كــل شيء ان يُدخل في "*اسطورة القرون*" مفهومه بان هروب الروح خارج مســـتنقع الشر يمكن حدوثه من خلال الطيبة، وان روحه تتشكل عند صعودها من الظلمــة إلى النور[492].

---

[489] انظر زكي الدين المنذري. المصدر السابق. ص**477 - 478.**

[490] انظر عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص**198.**

[491] عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص**198.**

[492] انظر بول بيرية. اسطورة القرون لفيكتور هيجو. المصدر السابق. ص**147 .**

<u>مصادر زم ززمي وسلطان مراد :</u>

عندما عالج هيجو قصائد *زم ززمي وسلطان مراد* كانت المراجــع التــي استعان بها اضافة الى *الكتب المقدسة للشرق* لبواتية *وتاريخ تركيــا وشــعوبها المختلفة* لهنري ماتيو عام 1957 هي *تاريخ تركيا* للامارتين عام 1855؛ وكــذلك [الصفحات التي كتبهــا ف دوبيرنـــار بيكــار V.de Bernard Picard عــن المحمدية في كتابه: *المراسيم والطقوس الدينية لكل شــعوب العــالم*، وهــو ذو استخدام مزدوج مع ملاحظات بواتية ،مع مجلة فصلية مستقلة هي *مجلة الشــرق* (عام 1845 عندما كان هابيل هيجو معاون رئيس الجمعية الشرقية) حيث كــان الموضوع يتعلق بالعقوبات الموجهة لأولئك الذين يقتلون الايل والخنـــازير.][493]. كذلك علينا ان لا نهمل ذكر قاموس موريري الذي استخدمه هيجــو كثيــراً فــي المنفى.

ويضيف حسن النوتي مصدراً آخراً لهذه المراجع عند استعارة هيجو لتفاصيل كثيرة عن الاضرحة الملكية التي تحدثت عنها الحيوانات في *زم ززمي* ، وهذا الكتاب هو لــ ارنست فيدو Ernest, Feydeau: "تاريخ الطقوس الجنائزية والاضرحة للشعوب القديمة عام 1856 [494]" .

ولا يفوتنا على وجه الخصوص مؤرخ الامبراطورية العثمانية، ديمتريوس كانتمير Demetrius Cantemir، امير ملودابيف ، والذي ذكــره هيجــو فــي مقدمة *اسطورة القرون* قائلاً: "البربرية المحمدية التي وصفها كانتمير، من خلال حماسته عند وصفه التاريخ التركي ، وهي معروضة بهذا الشكل فــي الصــفحات الاولى *لزم ززمي وسلطان مراد*" .

واخيراً، ففكرة قصيدة *سلطان مراد*، وتلك الرحمة العليا لإله محمد، كمــا يقول بيريه، يبدو انها استلهمت من خلال قراءة كتاب صغير ، كان حديث النشــر

---

493 انظر بول بيرية. العصور الوسطى الاوربية. المصدر السابق. ص384.

494 حسن النوتي. الشرق الادبي في الادب الفرنسي من نيرفال إلى باريه. القاهرة، 1958، ص57.

في عصر *اسطورة القرون* وكان تحت عنوان: *اسلام السلاطين في مقابل اعتـــدال* "التزار" ل(دو فيان) والذي كتبه في وقت"كانت تعتبر تركيا ضحية مؤلمة من قبل الروس ، وهي لا تستحق ذلك" [495] ، هذا الكتاب "طوَّر موضوع المقارنـــة بـــين الديانة المسيحية والديانة الاسلامية ، دون الاشارة إلى عدم مسامحة الكزار"[496]، وقد ذهب هيجو ابعد من دو فيان في هذه المقارنة عندما "اعطى لمحة رحيمة لاله المسلمين لتعادل إله المسيح"[497].

وسنرى على كل حال، كيف سيمثل هذا الكتاب ايضاً احد مصـــادر *السـنة التاسعة للهجرة* و *شجرة السدر*.

ب - عن الاسلام :

لنقل بداية بانه يجب ان لا نتوقع ان نجد عند هيجو ملحمة قرآنية واسعة وكاملة كالملحمة التوراتية، والسبب في ذلك ان التوراة كانت بالنسبة لـــه، منـــذ طفولته "كتاب الكتب، والقرآن لم يمثـــل لـــه الا مســـتندا مفيـــدا ومهمـــا عنـــد استشارته"[498]. لكن بدون الاسلام ما كان هيجو ليستطيع ان يصف الانسانية كلها ، ماضيها ومسقبلها في *اسطورة القرون*، فقد احتفظ الشاعر في هذا المجلد بفصل تحت عنوان: "*الاسلام*" ،كتب فيها عام 1858 قصيدتين الاولى : "*السنة التاســعة للهجرة* " ، وهي الاكثر اهمية ، حيث نجد اوصاف نبي الاسلام وخطابه قبل وفاته *والثانية* "*شجرة السدر*" ،وفيها وعلى هامش العقيدة يعالج هيجو بشـــكل رمـــزي الاحترام الذي علينا ان نوليه للطبيعة.

---

[495] بول بيرية. القرون الوسطى الاوربية.. المصدر السابق. ص369.

[496] نفس المصدر.

[497] المصدر السابق، ص370.

[498] عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص152.

لا ننسى ان الاهتمام الجدي للشاعر بشخصية النبي محمد (ص) تعود إلى عام 1846 ، عندما كتب اضافة إلى *آية من القرآن*، صفحات كانت تبدو مـــأخوذة من القرآن او من خطاب النبي محمد (ص).

ظهرت ملامح هذا الاهتمام بشكل واضح وجلي في زمن تحضـــير الارواح والتي سميت "الطاولات المتحركة" ، عندما كان الشاعر يستدعي الارواح ويعتقـــد بانها تحادثه ، وهكذا كان هيجو يســـتدعي روح محمـــد مـــع الارواح العظيمـــة للانسانية: [499]

ويقول شواب بهذا الصدد : " ان روح محمد كانت تستجيب طوعاً لنـــداء الشاعر" ، ويضيف انه " بالنسبة لبراهما وبوذا وفيشنو كان هناك غياب مطلـــق، فهم يفتقرون للكثير من الانسانية ومن الشخصية ، ومن الملامح الواضـــحة كـــي يستجيبوا للظهور"[500].

ويقدم لنا الباحث (بول سوشـــون) Paul Souchin الجلســـة الروحيـــة الكاملة التي ظن هيجو انه تحدث فيها مع روح النبي محمد (ص) :

[الاثنين 29 ديسمبر 1853، جلسة خاصة عن الانبيـــاء . امـــام شـــارل والسيدة هيجو وفيكتور هيجو وفاكيري الذي كان يسأل، ها هو محمد يتحدث:

"مازال الظلام يخيم على العالم. الحقيقة الشهيدة تدمى عند كـــل مســـامير الخطيئة، الليل عميق، يقول المستبدون: نحن الحق . يقـــول المصـــلون : نحـــن القانون. تجيب المشنقة : نعم. وتجيب منصة الاعدام : نعم. ويجيـــب القبـــر: لا. الصيحة المحزنة للشر تدوي تحت سماء النجوم ، فيتغنى بهـــا الخفـــاش. تـــأتي الغربان فتنقر آخر نظرة حب في عيني يسوع المسيح الميتـــة. ينتصـــب الخيـــال المزدوج للمشنقة والاعدام فوق الافق الاعتم ، ويلمح واقفاً في الظلمـــات الـــدين

---

499 اندري موروا. المصدر السابق. ص409. انظر ايضا :

فيكتور هيجو . الاعمال الشعرية I قبل المنفى ، مقدمة كويتون بيكون Goëtan Picon، المصدر السابق. ص XXIV

500 ريموند شواب. المصدر اسابق. ص394.

المحتفل باسم الصليب. يقترب النور ويأتي الصباح، الغمامة الغاضبة ستفتح فاهها، وسترمي على عالم الظلمات النجمة الوهاجة، وشظايا النور الرائعة، سيتساقط راهب المشنقة والبابا المسؤول عن منصة الاعدام ، ستهوى حصون الظلام وستزلزل الارض تحت اولائك الواقفين وستنفتح السماء لاولائك الراكعين"

ويستمر محمد في تنبؤاته ، وهي مما لا جدال فيه افكار هيجو ، وقد جاءت معبرة كما سنجدها في ديوانه "*نهاية الشيطان*" ، فيسأله الان ذلك السؤال الذي مالنفك يعذبه اكثر من أي شيء : "بعد الموت ، في العوالم الأكثر سعادة، هل سيكون لنا شكل وهيئة ؟ وكيف سنتعارف ؟" فيجيبه محمد:

["تتعارف الارواح بينها بانعكاس اجسادها. السماء مرآة تحتفظ بصور الحياة. لا شيء يُفقَدْ. لا يأخذ القبر من الجسم سوى الهياكل ، بينما تصعد الارواح إلى السموات . كما ان هناك ابتسامات تطير مع الارواح ، ونظرات تكون في السماء قبل ان يغمض الموت العينين."][501].

من الواضح ان كلام النبي (ص) يترجم عن قرب تفكير الشاعر. فبعد شهر وبتاريخ 3 فبراير من يوم الجمعة 1853 ، عندما كان هيجو يحادث روحياً (لوثر)* حول كل الرجال الذين تركوا بصمات تفكيرهم حول مصير النوع البشري كان لوثر يمثلهم كما لو كانت في اذانهم كائنات غريبة وهي التي توحي لهم كلاماً عن العالم المجهول. فيدعي بانه كانت لدى محمد حمامة تلقنه، ثم يسأل هيجو لوثر فيما اذا كانت طاولة تحضير الارواح هي نفسها حمامة محمد ، اذا كان لها شكل "ركيزة قديمة" [502].كان ذلك يفسر لنا اهتمامه بالنبي محمد ﷺ منذ ذلك الوقت.

---

[501] بول سوشون. نبوات فيكتور هيجو. باريس ، دار جول تالانديه **1945**. ص**40-41**.

* هو صاحب الدعوة للاصلاح الديني في اوربا خلال القرن السادس عشر.

[502] بول سوشون. المصدر السابق، ص**43-44**. وربما يقصد طاولة خاصة ذات طراز قديم.

وهكذا نرى هيجو في احدى قصائده عام 1855 يضع محمدا (ص) إلـــى جنب الاموات العظام [503]. وفي نفس العام يكتب قصيدة مريبـــة تحـــت عنـــوان: "*الروح الحزينة في احد الايام*"[504]، والتي يمكن ان تكون قد اخذت مـــن مصـــادر اسلامية اضافة إلى مصادر أخرى ، فبعد قارءتنا لهذه القصيدة عدة مرات، بـــات لدينا الانطباع بانها قد اخذت نقطة انطلاقها من رحلة الاسراء والمعـــراج للنبـــي محمد (ص)، وان هذا *النبي الشامخ* ليس سوى نبي الاســـلام الـــذي ـــ وحســـب الروايات الاسلامية ـــ صعد على حيوان مجنح (البراق) واجتاز السموات الســـبع لينتهي إلى المكان الذي يظهر امامه الله تعالى، فيبدو لنا ان هيجو اســـتعار مـــن هذه القصة تفصيلات واوصاف من العقيدة الاسلامية:

"في احد الايام، قالت الروح الحزينة ، روح النبي الشامخ ...
لنسره: ايتها الدابة عليك ان تذهبي بي
اريد ان ارى ياهو(الله). ـــ
فاطاعه النسر. واجتازوا أبواب السموات؛
واخيراً، وصل يوحنا (يحيى)
فرأى المكان الذي ليس له عنوان ، حيث لا يجرؤ أي ملك
على العبور من وسطه
وكان هذا المكان المرعب محاطاً بالظل
من عظمة الله." [505]

ورغم ورود كلمات مثل يوحنا وياهو، والتي تستبعد أي تقارب مع الاسلام، ولكن في مجملها، لن يكون المصدر الاسلامي بعيداً، ولا يفقد تأثيره الطاغي.

1ـــ *السنة التاسعة للهجرة*: مصادرها

---

[503] نهاية الشيطان. ملحق II.

[504] التأملات. الكتاب السادس، VII، 1855.

[505] التأملات. الكتاب السادس، VII، 1855.

في قصيدة"*السنة التاسعة للهجرة*" علينا البحث عن الفكرة الاجمالية التي اعطاها هيجو للعقيدة المحمدية ولمؤسسها، كونها أول قصيدة في فصل *الاسـلام* والأولى بتاريخها ايضا ، اضافة إلى كونها الاطول (156 بيتاً)، امـا قصـيدته "*شجرة السدر*" فهي قصيدة تحتوي على تفاصيل خاصة ليس لها علاقة مباشـرة مع الاسلام.

لنعد الآن إلى قصيدة *السنة التاسعة للهجرة* (وهـي سـنة وفـاة النبـي محمد ﷺ عام 632م). اذن فعنوان القصيدة يدعونا إلى التفكير: كان من الاصـح ان يقال"السنة الحادية عشر للهجرة *.

كانت ترن في اذن هيجو لأكثر من سبب ان يؤلف قصيدة حول وفاة النبي محمد(ص) ، قصيدة كما يقول مؤنس طه حسين["يسترجع" فيهـا محمـد حياتـه ومهمته ويعبر عن رسالته الأخيرة] [506]. ان الطريقة التي اتبعها هيجو في كتابتها لتدعو إلى الاعجاب، وعلينا الاعتراف بان النبرة العامة للقصيدة، وبعيداً عن نبرة *الشرقيات* ، فيها مراعاة وتقدير ورزانة وسمو واحترام كبير لنبي الاسلام تُشرِّف شاعر *اسطورة القرون*. ان جزءاً من هذه القصيدة كان قد ترك لخيال الشـاعر ، وهو امر مقبول، فالشاعر لديه الحرية الكاملة لاطلاق العنان لخياله.

يضع هيجو محمد (ص) في المشهد ، جامعاً عند موته المؤمنين حوله ، وتاركاً لهم موجزاً عن قوانين الايمان ووظيفته.

جاء وصف هيئة النبي بشكل طبيعي في المقدمة. فهو يظهر كهيأة رئيس ديني في الزمن البعيد ،كشخصية عظيمة تفرض احترامها:

"كما لو كان يشعر بدنو ساعته،

---

* يعود اصل هذا الخطأ إلى المؤلف ابو الفداء ، الذي، في كتابه"المختصر في اخبار البشر" المترجم من قبل بواتيية، والتي رجع اليه هيجو عند كتابته هذه القصيدة، اختلط عليه الامر في تاريخ وفاة النبي : فكتب تارة في السنة التاسعة واحد عشر شهراً وتارة في السنة العاشرة وعدة اشهر. انظر ابو الفداء. المختصر في اخبار البشر المصدر السابق ، ص**123**، **126**، **151**.

[506] مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص**245**.

هادئاً، ما عاد يوجه لاحد ملامة؛
كان يمشي ويرد التحية على من يسلم عليه ؛"

لقد عاد هيجو في مراجعه إلى بواتييه ليأخذ من حياة النبي محمد (ص) قصة ملحمية وهي على الاغلب ليست سوى ترجمة شعرية لنص ابو الفداء ، المنقول الى الفرنسية عن طريق بواتيه. فابو الفداء كان قد كتب "لم يسمح الله بان يأتي شعر الرسول محمد (ص) عند بياضها مهانة السنين: كان عنده عشرون شعرة بيضاء في ذقنه." [507]وقد تتبع هيجو هذه الفكرة بدقة:

"كان يُرى وهو يشيخ كل يوم مهما بلغ
بالكاد عشرون شعرة بيضاء في ذقنه الذي مازال اسوداً؛ "

ونلاحظ في هذه القصيدة معلومات حقيقية، ولكن احياناً خيالية ، كالاسطورة التي تقول ان محمد كان راعياً للجمال في شبابه ، او ما قيل انه كان هاوياً للنساء :

كان يتوقف احياناً ليرى الجمال تشرب الماء
وهو يتذكر الزمن الذي كان فيه جمّالاً.
كان يحلم طويلاً امام القوة الالهية المقدسة
احياناً كان يجعل امرأة ما تضع ثيابها
وينظر اليها ثم يتأملها
فيقول: "الجمال على الارض هي الحياة في السماء."

حقيقة لم يكن محمد (ص) جمّالاً في شبابه وانما كان راعياً للاغنام ، ومن المعروف جداً من ناحية اخرى انه حتى النزع الاخيرلم يجعل ابداً *امرأة ما تضع ثيابها* ليتأملها! ولا يبدو ابداً على كل حال بانه طوال حياته فعل شيئاً مماثلاً.

---

[507] نقلاً عن بول بيرية. اسطورة القرون لفيكتور هيجو. المصدر السابق. ص**98.**

ويبدو ان هيجو يتكلم هنا عن نفسه، كما يؤكد على ذلك الباحث انــدري مــوروا [508]، وهكذا نرى ان النبي (ص) يدفع ثمن فكــرة الشــهوة المرتبطــة بــذكريات الشاعر ، ولربما ان الشاعر [فكر ان هذا الجزء قد يعطي للشعر "الطابع المحلــي" وانه يتوافق مع الادراك الاسلامي للجنة.][509].

ومن الملاحظ ان الوصف الاخلاقي للنبي محمــد (ص) ســيتوافق مــع الوصف الشكلي له حيث نجد ان ملامح الرزانة والجدية تبرز بوضوح:

"كان ذو جبهة عالية، وخد مهيمن،
وحاجب اصهب، وعين عميقة ومثابرة،
الرقبة كهيأة قارورة فضية
وذو محيا كالنبي نوح..."

ويدين هيجو بهذه المعلومات ايضاً إلــى بواتيــه: "*كــان ذو رأس قويــة وهيكله يوحي بالشدة ؛ وجهه كان واضح المعالم.. ذو عينان سوداوان، ورقبــة تشبه رقبة جرة فضية*"[510].

ان ما يجذب النظر في التفاصيل الشكلية للنبي محمد (ص) انه لم يكن ذو حاجب اصهب وان هذه المعلومة تعود لخيال الشاعر.

تأتي بعد ذلك الصفات الاخلاقية لتؤكد هذا الانطباع : وقور ومتواضــع ، بسيط ومهموم ، وكان يُلَّقب بين اقرانه بالامين أي النزيه:

"اذا جاءه الرجال لاستشارته، كان هذا الحاكم
يدع هذا يؤكد، وذاك ينكر ويضحك،

---

[508] في الحقيقة، **"**كانت ماري ميرسية لكي تطيع هيجو، تستحم عارية في الاورس اما حبيبها الشاب**"** اندري موروا**.** المصدر السابق**.** ص**512.**

[509] مؤنس طه حسين**.** المصدر السابق**.** ص**246.**

[510] نقلاً عن بول بيرية **.** اسطورة القرون**..** المصدر السابق**.**

كان يصغي بهدوء ويتكلم اخراً .

بينما تتمتم فاهه دائماً بالصلاة والدعاء؛ "

نستطيع هنا ان نقرب هذا الوصف مع اصله في ترجمة بواتية حيث نجد: *"كان يحب البقاء هادئاً.. ويصغي بصبر طويل لمن جاء يجلس بقربه. لم يكن يخرج ما لم ينهض اولاً الشخص الذي يجلس بحضرته.. كان اخرهم كلاماً"* اضافة الى تفاصيل اخرى نجدها مثبتة في هذا الكتاب الذي قرأه هيجو كثيراً في المنفى[511]: *"كان احياناً يضطر إلى خداع جوعه وذلك بان يشد حجراً على بطنه.. وكان يهتم بنفسه في حلب نعاجه: وكان يجلس ارضاً يرتق ملابسه وحذاءه"*[512].

"كان قليل الطعام، شاداً على بطنه حجارة،

يقوم في حلب نعاجه بنفسه؛

كان يجلس ارضاً ويخيط ثيابه."

اذا كانت هذه المعلومات مقتبسة بدقة، فهو من ناحية اخرى لم يخيط ملابسه، وانما كان يرقعها.

لنرى ما يقوله الشاعر ايضاً عن النبي محمد (ص) .

"كان يصوم لاوقات طويلة غير ايام الصوم،

رغم انه فقد قوته ولم يعد شاباً؛"

وهذه ملاحظة دقيقة وصحيحة، في الواقع كان النبي محمد (ص) يصوم الليل والنهار كاملاً، قائلاً لمن منعهم من فعل ذلك "لستم مثلي ، الله يعطيني الطعام والشراب"[513].

---

511 ريموند شواب. المصدر السابق. ص387.

512 نقلاً عن بول بيرية. اسطورة القرون. المصدر السابق. ص99.

513 نقلاً عن مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص246.

وحالما ينتهي الشاعر من الوصف حتى يبدأ بتصوير المشهد عندما انتابت النبي (ص) حمى:

"في سن الثالثة والستين، اصابته حمى.
اعاد قراءة القرآن بيده التي كتبها،
ثم اضاف القرآن الذي احتفظ به مخطوطاً
ثم سلم الراية إلى ابن زيد."

يحتوي البيت الثاني على خطأ كبير ؛لم يكن النبي محمـــد (ص) يعـــرف القراءة والكتابة! بالمقابل نجد حقيقة انه قبل وفاته بوقت قصير سلم الراية إلـــى ابن زيد، اسامة، ، مانحا له قيادة غزوة للانتقام لابيه. لقـــد وجـــد هيجـــو هـــذه المعلومات في كتاب ماتيو "تاريخ تركيا وشعوبها المتنوعة" الذي ظهر فـــي عـــام 1857 وفيها نقرأ : [*وعندما جاءته الحمى الشديدة، نادى ابن زيد وسلمه الرايـــة المقدسة*: *الله اكبر قال له*: *قاتل دائماً من اجله*."] [514]

[وهو يقول له: "اني المس فجري الاخير.
لا إله الا الله. قاتل من اجله."]

وفي مكان آخر نجد كذلك الحقيقة التي تقول بان النبي محمد (ص) قبـــل وفاته ذهب إلى المسجد بمساعدة علي (ع):

"جاء إلى المسجد في وقته المعتاد،
متكئاً على علي والناس تتبعه؛"

وهنا كان من الاصح ان يضيف الشاعر "متكئاً على عباس ايضاً" لأن عم النبي كان يمسكه من جانب وصهره وابن عمه بنفس الوقت من الجانب الاخـــر،

---

[514] نقلاً عن عبد المطلب صالح. موضوعات عربية... المصدر السابق، ص78. النص باللغة الفرنسية.

ولكن هيجو لا يقوم الا بالترجمة الشعرية لكتاب ماتيو: "... ثم ذهب إلى المسجد متكئاً على علي وقد تبعه الناس."[515].

وعند حديثه مع الناس يذكرهم الرسول بالظرف الانساني وعدمية الانسان امام الله ،ثم يعلن عن موته القريب.

[*"ايها الناس، سينقضي النهار، يأتي الانسان ويذهب ؛*
التراب والليل هما نحن، الله وحده الكبير.
ايها الناس، انا الاعمى وانا الجاهل.
***دون الله كنت سأصبح فاسداً اكثر* ..."]**

لقد رأينا في اطار التوافق بين الافكار الهيجوية والاسلامية كيف ان موضوع عظمة الله امام ضعف الانسان وصغره تحتل اهمية كبيرة في شعره ، حتى ان الباحث جورج بون فيل Gearges Bonnebille يرى في شخصية محمد كما في شخصيات *الاسطورة* تجسيداً لهيجو نفسه. [516]

ثم يعلمنا هيجو بان نجمة ظهرت في يوم ولادة النبي محمد (ص) على ما قاله احد الشيوخ:

[*أحد الشيوخ قال له*: *"يا قائد المؤمنين الحقيقيين*!
حالما يسمعك العالم، يصدق كلامك؛
***في اليوم الذي ولدت ظهرت نجمة،* "]**

وهنالم يستعر هيجو اي شيء من خطبة النبي محمد (ص) ، فلم يكن هناك أي شيخ يقول هذا، وانما كان هناك رجال الدين اليهود الذين ادعوا ذلك، اذن فهناك انقطاع بين خطاب النبي محمد (ص)، وما سمعه الشاعر حول ولادته.

---

[515] المصدر السابق.

[516] انظر جورج بون فيل. المصدر السابق. ص**67**.

وكتب ايضاً :

["... تناقشت الملائكة حول موتـي
حانت الساعة."].

اما الكلام الذي نقله الشاعر بعد ذلك على لسان النبي محمـــد (ص) فقـــد كان صحيحاً ، على الاقل في فحواه ، وهو انه عند توجهه الى الناس المجتمعـــين في المسجد طلب عليه الصلاة والسلام ان يُحاسب اذا كان قد ظلم احداً.

["... اصغوا. اذا كنت قد كلمت احدكم بسوء
فلينـهض، ايها النـاس وامام الجميع
فليشتمنـي ويسبنـي قبل ان ارحل؛
اذا كنت قد ضربت احداً فليقم ويضربنـي ."
وبكل هدوء، مد عصاه الى المارين."]

ويدين هيجو بكلام النبي هذا إلى ماتيو والذي اســـتخدمه باما نـــة: "*بعـــد الصلاة قال: ايها المسلمون اذا كنت قد عاملت احداً بسوء هاهو ظهري فليضربه؛ اذا اصبت سمعته فليأتِ ويمزق سمعتي بدوره . ارجو ان لا يستوقف احد الخوف من شعوري، لأن الظلم ليس في روحي.*" [517].

ونجد الشاعر يعبر عن نفسه في مكان آخر بنفس طريقة خطـــاب النبـــي محمد (ص) . [518] فيرهقه ندم على اقل خطأ ارتكبه:

---

[517] نقلا عن عبد المطلب صالح . موضوعات عربية . المصدر السابق .

[518] ومن الجدير بالذكر ان الشاعر عند لحظات موته كان يلفظ تقريباً نفس الجملة التي كتبها على لسان بطله **"محمد"**: "قال: انا مستعد ، اذا كان يجب ان يأتي الموت فليأت اهلاً به**!"** ان هذا يعطينا انطباعاً بان الشاعر يتقمص واقعيا على هذا المنوال شخصية النبي **(ص).** انظر: ضريح فيكتور هيجو**.** مجموعة باحثين**.** باريس، دار كانتين **1985.** ص**20.**

"اذا كنت قد ضربت احداً لأنتقم لنفسي،
اذا تركت احداً يبكي، احداً كان فخوراً ورقيقاً؛ ...
يا إلهي ، ان كنت قد ادميت قلوباً في الماضي
اطلب العفو من اولئك الذين جرحتهم،
راغباً تحمل المي من ان احمل ظلمي معي"[519]

ان هذا يدلل بان الشاعر عندما كان يتحدث عن النبي محمد (ص) كـــان يريد في اكثر من مرة ان يتقمص شخصيته ؛ وهذا يقودنا إلى احتمالين: امـــا ان خطاب النبي محمد (ص) اعجبه كثيراً لأنه يناسب شخصيته ، وانه يشـــعر بـــان تعابير وجمل النبي تترجم بالضبط افكاره ، او ان هيجو تأثر كثيراً بخطاب النبـــي محمد (ص) إلى درجة انه اراد ان يوصف هو ايضاً بالامانة والنزاهـــة . وارى من بمكان هنا ان انقل المقارنة التي قام بها احد الباحثين ويدعى جول ليفنـــدري Jules Lefffondrey بين هيجو والنبي محمد (ص)، هذه المقارنة التي لا تخلو مـــن افتـــراءات تاريخيـــة كبيـــرة "..*محمـــد هـــو رائـــد فكتـــور هيجـــو.. اعلن محمد للعرب انه رسول الله.*

وفكتور هيجو اقنع الفرنسيين انه منار الانسانية.

... أي منهما قام بالشيء الاكثر اندهاشاً ، فيكتور هيجو ام محمد؟ علينـــا ان نكون عادلين ونمنح الوسام لفيكتور هيجو."[520]

واحد الباحثين عندما كان يمتدح هيجو قال عنه بسبب موقفه المميز في *السنة التاسعة للهجرة* ، بان "لديه متعصبون ومناصرون مثل محمد.."[521]

---

[519] رياح الفكر الاربع . III الفصل الغنائي XXXIII , V 1854 .

[520] نقلاً عن ترستان لوكي Trisfan Legay. فيكتور هيجو مقيّماً من قبل عصره. باريس، دار لابلوم 1918. ص562.

[521] المصدر السابق. ص352.

الابيات الاتية والتي تشكل "حديثاً مونولوجياً" [522] جاءت من الخيال الخصب للشاعر:

[كان كمن يبدو يشاهد رؤيا حزينة
ويحلم، وفجأة قال متأملاً: "اسمعوني
جميعاً، انا كلمة في فم الله؛*
انا رماد كأنسان، ونار كنبي.."].

ومع ذلك هناك جوانب جديرة بالاهتمام ، والتي تترجم التفكير الحقيقي للنبي محمد (ص) .

["*انا اكملت النور غير المكتمل الذي جاء به عيسى*** "]

لابد ان اصل هذا البيت مأخوذ من القرآن [523]، ومعنى هذه الرسالة النبوية لابد انها بطبيعة الحال تعجب الشاعر المناصر للتطور والتقدم. ثم يبين النبي اختلافه عن النبي عيسى (ع) :

["*انا القوة يا ابنائي ، عندما كان عيسى متسماً بالرقة*."]

الصفة التي اعطيت هنا لعيسى (ع) هي قبل كل شيء رأي الشاعر قبل ان يكون رأي النبي محمد (ص) ، فهيجو يعطي نفس هذه الصفة لعيسى (ع) في قصيدة اخرى:

---

[522] مؤسسة طه حسين. المصدر السابق، ص**247.**

* ذكر هيجو اسم الله باللفظة العربية **Allah.**

** هنا كلمة"عيسى" وردت في اللفظة التي جاء بها القرآن **Issa** وليس **Jésus** المعروف لدى الغرب.

[523] القرآن الكريم. سورة، الصف ، الآية **6.**

"كان قيصر كبيراً، اما عيسى فكان مائلا إلى الرقة، **"** [524]

من خلال قراءته كتاب "*تاريخ تركيا*" لماتيو، وكذلك وعلى وجه الخصوص من خلال كتاب دوفيان ، والذي صادفه في كرنزي: "*الاسلام امام اعتدال الكزاز*" ، اجمل هيجو مقارنة بين المسيح (ع) والنبي محمد (ص).

وحسب رأي فيان ، فان النبي محمد هو الوحيد الذي " اكمل للانسانية ما كان لعيسى رسالة اكمالها."[525] وقد رأينا كيف ان الشاعر تـــرجم حرفيـــاً عبـــارة "*اكملت..*" ولنرَ الآن كيف اختصر الصور الاخرى:

["للشمس دائماً فجر ممهد.

لقد سبقني عيسى لكنه لم يكن اساس القضية."]

في هذا البيت الأخير، ها هو هيجو يتكلم على لسان النبي(ص)كما يؤكـــد ذلك بارير[526]. من ناحية اخرى وحسب ما جاء في كتاب بواتيه فان للنبي محمـــد (ص) افكاراً غريبة عن عيسى (ع) : "قال: *عيسى هو خلق الله وليس ابنه فقـــد ولد من عذراء حملت به وهي تشم وردة*" [527]

"ولد من عذراء مستنشقاً وردة."

وهذا البيت هو من خيال خالص ، كذلك كل ما جاء من ابيات بعد ذلك عندما "حكم النبي على نفسه بالقسوة التي تقترب من المجاملة"[528] :

[لست سوى طينا من الرذائل السوداء؛

عانيت تعاملا غريبا عن كل الخطايا

وفي جسمي عار اكثر مما في الطريق من وحل،

---

[524] اسطورة القرون، XIX، **1869.**

[525] نقلاً عن بول بيري. القرون الوسطى الاوربية. المصدر السابق. ص**370.**

[526] انظر ج ب بارير. المصدر السابق. ص**168.**

[527] نقلاً عن بول بيرية. اسطورة القرون لفيكتور هيجو. المصدر السابق. ص**100.**

[528] مؤنس طه حسين. المصدر السابق.

وجسدي من الشر بات معاباً،

ايها الناس جميعاً ! ستأكلني الديدان قريباً،]

والى حد البيت الرابع والسبعين نجد نفس النبرة :يتحدث النبي محمد (ص) عن ضعف الانسان، ووجوده القصير امام خلود الله، فهو يتأمل الماضي معتبراً حياته الخاصة المكونة من نضال مرير ضد القوى الخفية ومن رجال عصره . لكن التلميح إلى المعركة بين النبي والملاك في القصيدة لا تستند على أي اساس صحيح.

ونجد ايضاً في هذا الخطاب تلميحاً إلى اللحظة التي ادمي فيها النبي (ص) من قبل اهل الطائف بعد الجهر بالدعوة إلى الدين الاسلامي في مكة:

["*وحيدا ، عاريا ، جريحا ، بلا كساء ،هاأنذا، افضل ذلك .*

فليضربني الجميع ! وليفعلوا كل ما بوسعهم!"]

اما بخصوص ما اعلنه الرسول (ص) حول نضاله واعدائه فقد تجد له صدى في الاحاديث المتواترة ، وخاصة صورة الشمس على اليسار والقمر على اليمين :

["*مع ذلك، اعدائي وهم يتكالبون علي*

لو كانوا يملكون الشمس في يسارهم

والقمر في يمينهم من اجل ردعي عن طريقي هذا

لن يجعلوني ابداً اتراجع عن مسعاي.."]

وهنا نجد خطأ واضحاً ، فقد ورد في الحديث ان رسول الله (ص) هو الذي قال: "لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه." ولم يكن كلام اعدائه. كذلك نجد

اختلافا في اتجاهي الشمس والقمر بين حديث الرسول (ص) والبيت المــذكور . ونجد ايضا اخطاءاً أخرى ،فلم يرد عن النبي (ص) كلاماً لا عن "هرمز" ولا عــن "ليفي" ، وليست لديه أدنى فكرة عنهم ، ولا حتى عن جبل "كرونيجا" الذي ليس له أي اصل.

[اما انتم الذين اتبعتموني ساعة الشدة،
كما اتبع اليونان هيرمز ، واتبع العبرانيون ليفي، ...
ايها الناس، لا تشُكوا في ذلك؛ فالذي
اوحى للاسود ان تتجه الى وديان جبل كرونيجا ...،"]

نلاحظ ايظاً ان فكرة الجدار الذي يفصل "*جنة عدن عن هوة جهنم*" حيــث سيبقى اولئك الذي ليسوا بالاخيار ولا بالاشرار قد تكون اشارة الـــى "الاعــراف" التي ورد ذكرها في القرآن: [529]

["الذين ليسوا بالاخيار ولا بالاشرار سيبقون
على الجدار الذي يفصل جنة عدن عن هوة جهنم ،"]

من جهة اخرى نلاحظ تأكيد النبي (ص) على السجود لله كأفضل طريقة لنشد الخلاص ، وهو مبدأ صحيح دون شك:

["... امنوا، قوموا الليل؛ احنوا جباهكم. ...
لكي لا تستحقوا العقاب؛ حاولوا
عند الصلاة ان تلامس اجسادكم الارض؛
لن تحرق النار في خفاياها الحتمية
الا من لم يكن ابدا قد لامس الرماد، ..."]

---

[529] سورة الاعراف. الآيات **46**، **48**.

وبعد ان قام بدوره كناصح ، يبدأ محمد (ص) بوصف الجنة والنار ، والتي هي في مجملها صحيحة ، وتبدوا مستقاة من عدة ايات من القرآن الكريم :

[*في العلى، توجد ثمار طاهرة على اشجار عالية عظيمة،*

وكذلك الفرسان المسرجة بالذهب والعربات السارية بمحاور كبيرة

كي تذهب إلى السموات السبع؛

وكل حور مشرقة، طاهرة، سعيدة

تسكن قصراً من اللؤلؤ المنقور؛

***بينما تنتظر جهنم الملعونين؛ يا للتعاسة*!**

ستكون احذيتهم من نار فتغلي رؤوسهم كالمرجل،

***بينما تكون وجوه المؤمنين مشرقة وفخورة*."]**

وكما نرى سيستخدم هيجو المفردة القرآنية *جهنم* في وصف النار ، وهذا يؤدي خيالاً شعرياً جميلاً. واذا كان خيال الشاعر قد ابتدع بئراً يدعى "ابو لفيعة" حيث يغسل النبي ذقنه، فهو يعود في مكان اخر إلى حقيقة تاريخية عندما طالب رجل النبي بثلاثة دراهم وانه دفعها له ، رغم انه لم يقل ما جاء به الشاعر على لسانه:

[*طالب رجل بثلاثة دراهم فدفعه له،*

***قائلاً*: "*من الافضل ان ندفع هنا على ان ندفع في القبر*".]**

وقد عاد هنا ايضاً إلى كتاب ماتيو لاستقاء المعلومات منه [طالبه رجل بثلاثة دراهم فدفعها باهتمام وهو يقول : "العار سهل التحمل في هذا العالم عما في العالم الآخر."] [530]

اما موضوعي الشعب الباكي اثناء الخطاب النبوي وعدم قدرة النبي (ص) اداء الصلاة فهما حقيقتان في التاريخ، وكذلك الحال مع حقيقة تسليم امامة الصلاة إلى ابو بكر (رض) . ولكن في الحقيقة لم يكن هذا الأخير قرب النبي (ص) عند موته كما يدَّعي هيجو.

وفي النهاية عند عودة النبي (ص) إلى بيته سيستقبل ملك الموت بكل عزة وثقة:

[ويظهر ملك الموت عند المساء على الباب

طالباً ان يسمح له بالدخول

قال :"فليدخل."...

فقال له الملك : ــ "يرغب "الله في حضورك

فقال : ــ حسنا ".فسرت رعشة في اصداغه،

وشهقة فتحت شفاهه، فمات محمداً.]

لنتتبع الآن هذه الاسطر لكتاب ماتيو لنرى مدى اقتباس هيجو منه: [وأخيرا بما انه لم يعد قادراً على النهوض ، طلب من ابو بكر ان يؤدي الصلاة والامامة عنه، وفي اليوم التالي جاء الملك جبرائيل لزيارته وقال له:

"ها هو ملك الموت يطلب الاذن بالدخول، فقال محمد فليدخل وتوجه إلى رسول الموت قائلا:

خذ روحي،

---

530 نقلاً عن عبد المطلب صالح. موضوعات عربية. المصدر السابق. ص79.

فعقَّب جبرائيل : الله يرغب في حضورك، بالنسبة الي لن تعد قدماي تطء الارض، ساطير إلى الابد عن هذا العالم:

وهكذا انتهى محمد، في عمر الثالثة والستون عام 633..] [531]وعلى هذا الشكل استشعر هيجو هذا الكلام المؤثر وترجمة بكل امانة.

ودون ان نهمل اهمية هذه القصيدة، نقول ان هيجو دخل في اختبار معلومات عن الاسلام والتقاليد الاسلامية، فكانت صحيحة احياناً ، واحياناً اخرى خيالية، وعلينا ان نعترف بدقة المعلومات في هذه القصيدة، واستيعاب الاسلام فيها والنبرة الصحيحة التي تحيط بالقصيدة كلها.

وهناك مع ذلك بعض النقاط الجديرة بالملاحظة في هذه القصيدة ، فهي في مجملها تترك انطباعاً جديراً بالاحترام حول شخصية النبي محمد (ص) وعقيدته. فحتى القارئ المسلم يدرك باللحظة كم ان "*السنة التاسعة للهجرة*" قريبة من الفكرة التي يكونها المؤمن الحقيقي عن الاسلام والتعاليم السامية.

ومن المعروف ان القصيدة تستند على عدة حقائق تاريخية، بداية حقيقة ان النبي محمد (ص) القى خطاباً قبل وقت قصير من موته دون ان يكون موضوع الخطاب مطابق تماماً لما جاءت به "*السنة التاسعة للهجرة*". وفيما يتعلق بالملامح التي تبرز اللون المحلي فلم يخترعها هيجو بل استعارها من المصادر، و"لكي يركز قدر استطاعته على مشابهة الحقائق في قصيدته فقد حرص على ان لا يأتي بشيء غير مؤكد من قبل المستشرقين. حتى انه لم تغريه روعة الوصف المبتكر والخيالي للجنة والنار المحمدية. فقد اهتم بالميزات الاكثر عمومية" [532]

كذلك امتنع الشاعر ان يكون صدى لكل ادب معاد للاسلام ولنبيه محمد (ص).

---

[531] نفس المصدر. انظر ايضا ص127، للاطلاع على الاصدارات التي ظهرت من فرنسا في القرن التاسع عشر حول موت النبي محمد (ص).

[532] عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص158 - 159.

وعلى وجه التقريب لم يأتِ أي شاعر فرنسي ليقدم النبي محمد (ص) ودينه بنزاهة كهذه ، وبشعور صادق يترجم فعلاً طبيعته؛ [533]وقد قاله الشاعر نفسه في مقدمة ديوانه: "الخيال احيانا.. المغالطة ابداً" ، وقد لاحظ ذاك تيوفيل كوتييه وقالها بوضوح: " منذ وقت قصير كان الشاعر قد اندمج بالتوراة ؛ اما الآن فلكي يصف محمد نراه يتشبع بالقرآن حتى ليمكن ان نظنه ابن الاسلام ،كابو بكر او كعلي."[534] ولكن ايمكننا ان نقول ان هيجو تشرَّب بالقرآن؟ عمر شخاشيرو لا يظن ذلك قائلاً انه "اذا كانت صورة النبي رائعة فهي ليست كذلك عند عرض عقيدته"[535]. صحيح ان هيجو اقتبس المبادئ الاساسية للدين الاسلامي مبعداً كل ما يمكن ان "يفزع البرجوازي الفرنسي"[536]كتعدد الزوجات وتحريم الخمر وصوم رمضان وهي المواضيع التي اظهرها كثيراً في *الشرقيات* عام 1829، اما الآن فانه يميل إلى مثالية المبادئ كالرحمة التي تمثل جانب من العقيدة الاسلامية.

للننظر الآن للموضوع من ناحية اخرى، ففكرة ان هيجو متغذ بالقرآن هي فكرة خاطئة جداً ، والا فكيف نفسر ذلك التناقض في تفكير الشاعر حول القرآن في هذه الفترة : ففي عام 1854 مثلاً توجه هيجو باللوم إلى الكتب المقدسة لأنها لم تعطِ فكرة صحيحة عن الله:

"انتم تشتمونه في قارئيكم؛" [537]

---

[533] المصدر السابق. ص159، ومن جهة أخرى لا يستبعد الباحث ان يكون هيجو متأثراً بجرار دونرفال عند كتابته "السنة التاسعة للهجرة" حول اعادة اعتبار الدين الاسلامي. انظر ما عرضناه في هذا الموضوع في ص40.

[534] تيوفيل كونية. تاريخ الرومانسية. باريس، دار فلاماريون (بدون تاريخ). ص338.

[535] عمر شخاشيرو. المصدر السابق.

[536] نفس المصدر.

[537] اسطورة القرون. XLIV,I، 1854.

ومن جانب آخر لا نفهم لماذا يضع هيجو القرآن في صيغة الجمع وهو الكتاب الوحيد المعروف عالمياً، على عكس الاناجيل الاربع. لنرَ الآن انه بعد عامين يتنازل هيجو عن رأيه مبجلاً الله تعالى في القرآن الكريم:

"انه المجهول

ضياء في القرآن كما في كتاب القدّاس" [538]

وفي عام 1859 ، أي بعد عام من كتابة *"السنة التاسعة للهجرة"*، يبدو ان هيجو لا يؤمن نهائياً بالكتاب المقدس للمسلمين ، لا بل انه يراه ككتاب يفسد الفكر الانساني:

"كل هذه القرائين في الحقيقة

لم تترك سوى اهانة

في فكر الانسانية." [539]

وفي نفس هذه القصيدة، يشك هيجو في العقيدة الاسلامية:

"امام هذه العقائد التي نرتاع منها

سماء صعبة المنال، نار موعودة

تنتابني الشكوك اكثر واكثر

واملئ كأسي منه يارفاقي." [540]

وامام هذه التناقضات من الصعب الخروج بوجهة نظر واضحة حول القرآن الكريم. ففي *"السنة التاسعة للهجرة"* قدم هيجو النبي محمد ﷺ بالكثير من

---

[538] الله. **II,VII**، **1856.**

[539] رياح الفكر الاربع. **III**، الكتاب الغنائي، **L,III**، **1859.**

[540] نفس المصدر.

الاحترام، وكان هذا لسبب معروف: ان مؤسس الاسلام هو احد اولائك الذين تطورت الانسانية كثيراً بهم ، الامر الذي يعجب الشاعر كثيراً ، وهو الذي خط باخلاص هدفه في مقدمة *الاسطورة* بان "يعبر عن الانسانية.. بشكل متتدرج بكل اشكالها" معتمداً على بعض الكتب التي قدمت الاسلام بشكل موضوعي، مثل *الكتب المقدسة للشرق*. الا ان هذا السبب ربما ليس كافياً كلياً لنفهم ميل الشاعر للاسلام ولنبيه ولطفه ،كما يقول شخاشيرو الذي يعطينا ايضاً بعض الاحتمالات فيقول: "ربما انساق هيجو في هذا الطريق لاعطاء عمله ميزة الصعود نحو التطور. من جهة اخرى فقد وضع جزءًا جيداً من نصوص التوراة في ابيات، ونحن نعرف ايما احترام كان يعامل هيجو به النص المقدس، نقول ربما اراد ان يفعل الشيء ذاته مع الدين الاسلامي! في الواقع الا تسجل *اسطورته* قيمتها التاريخية اذا كانت العقيدة التي تعرضها مطابقة للعقيدة التي جاءت من القرآن ، واذا كانت شخصية محمد تشابه ما وصفه به اكثر مؤلفي سيرته براعة؟"[541].

على كل حال مهما كانت الاسباب التي دعت هيجو لكتابة "*السنة التاسعة للهجرة*" ، تبقى هذه القصيدة الاكثر جمالاً والاكثر صدقاً لكل ما كتبه عن الاسلام. فمؤلف *الاسطورة* قد قالها عند تعليقه على ديوانه: "انا مؤمن بهذا الكتاب، لم اقم بعمل افضل منه ولن اقوم بمثله"[542].

---

541 عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص156.

542 نقلاً عن ج. ب. باريير. المصدر السابق. ص173.

2 - *شجرة السدر*: *مصادرها*

القصيدة الثانية المعنونة "*شجرة السدر*" غامضة ومحيرة في تفسيرها او استنباط صلة منها مع الاسلام وتقييمها، فمن خلال القصة الغريبة لهذه القصيدة " اراد هيجو، كما يقول ارنولد، ان يرمز إلى تلاق بين الاسلام والمسيحية." [543].

القصة هي كالآتي: الشيخ عمر، احد اصحاب النبي، ومن خلال رؤية رأى في بتموس القديس يوحنا النشط دائماً ممدداً على الارض وقد تعرض رأسه للشمس؛ عند ذاك شعر عمر بالرحمة تجاه يوحنا فأمر احدى اشجار السدر التي لاحظها بالقرب منه ان تذهب لتظلله بظلالها، ولكن الشجرة التي لم تطع الامر الا عند ذكر اسم الله عبرت البحر والجو لكي تنبت اخيرا قرب يوحنا النائم، والذي نهض بدوره يسأل الشجرة عن هذه الظاهرة الخارقة للعادة، وعندما اجابته الشجرة بانها اقتلعت ونبتت هنا بناءً على امر عمر، احد اصحاب النبي محمد ، صرخ القديس يوحنا:

["*أيها القادمون الجدد، اتركوا الطبيعة بسلام*"]

هذه هي القصة، فما المغزى؟

بعد بحوث طويلة، توصل بول بيرية بان الطريقة التي استعملها هيجو في هذه القصيدة مألوفة لديه، أي ان هذه القصيدة هي "تعبير عن فكرة عامة استعارتها فلسفته وتأطرت باطار الاساطير الاسلامية والمسيحية، وكالعادة فان هذه الفكرة العامة وهذا الاطار ما كان ليتشكل دون ان يكون هنالك تداخل في المصادر.. ومن جهة اخرى، ولكي يخلق هذا الاطار، فقد دمج خرافات شفهية ونصوص ادبية وتقاليد تاريخية ذو اصول متنوعة جداً ، ووضعها جنبا الى جنب مع اساطير تعود إلى عصور مختلفة.

---

[543] نقلاً عن عمر شخاشيرو. المصدر السابق، ص**161.**

ولا تصل القصيدة كلها إلى مواجهة بمجملها بين الاسلام والمسيحية، ولكنها تشخص فقط تضادها حول نقطة معينة في تفصيل محدد." [544]

وينتهي بيرية للاستنتاج بان [" الصورة التي رسمها فيكتور هيجو في قصيدة "شجرة السدر" كانت في هيئة اكمال مقارنة بدأت في "*السنة التاسعة للهجرة*" بين الديانة المسيحية والديانة الاسلامية، وقد اخذت هذه المقارنة في "*السنة التاسعة للهجرة*" شكل مواجهة بين العقائد الاخلاقية، والمفاهيم المتباينة عن الحياة المستقبلية؛ بينما اخذت في "*شجرة السدر*" شكل مواجهة ساحرة وخارقة للطبيعة لاثنين من صانعي المعجزات المختلفين جذرياً في مبادئهما وتطبيقاتهما، وقد احتفظت هذه المقارنة للدين المسيحي بتشابه الحقائق نوعاما بالزهو والمديح كونها احترمت روح الطبيعة وحياتها."] [545].

وقد سبق ان اشرنا إلى ان المقارنة بين الديانتين في "*السنة التاسعة للهجرة*" (حين جاءت فكرتها لهيجو من خلال قراءة كتاب *اسلام السلاطين* لدوفيان)[546] تظهر بوضوح في هذه الابيات حيث بقي الشاعر اميناً على افكاره ، دون ان يتعرض للاسلام بالنقد :

[*أنا اتممت النور غير المكتمل لعيسى*] ...
***لقد سبقني عيسى لكنه لم يكن اساس القضية*."]**

بينما لم نعد نجد في "*شجرة السدر*" هذا الترابط بدون تحفظات. والسبب في ذلك يعود إلى نقطتين: اما ان هيجو كما يشير بيرية [استشعر جمال وعظمة عقائد معينة عند محمد ، فاشار في "شجرة السدر" من اين جاء الخطأ عند خلفاء

---

[544] وثائق حفظت وجمعت من قبل عبد المطلب صالح في ملف بعنوان "مواد مهمة عن الاستشراق والعرب وعن هيجو وغيره" تحت اسم "تابع لمصادر هيجو" ص1 -2.

[545] نقلاً عن عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص161 -162.

[546] انظر بول بيرية. القرون الوسطى الاوربية. ص369 - 370، حيث نقل المؤلف مقتطفات من كتاب دوفيان.

النبي"] [547] **؛ او انه من خلال "*شجرة السدر*"، ولكونها آخر قصيدة في فصل *الاسلام*، اراد هيجو ان يقول لنا كلمته الاخيرة عن الاسلام.**

على كل حال لقد دمجت هذه القصيدة اسطورتين، احداها مسيحية استعارها من موريري [548] **حيث وجد الشاعر اسماء الاماكن وفكرة يوحنا الحي:**

"لأن القديس يوحنا لم يمت، ذلك الوحيد المريع؛
فقد حفظه الله؛ فبقي على الارض
كما كان انوش العادل، وكما هو مكتوب؛
***وكما كان ايلي، من اجل ان يغلب الدجال.*"**

والاسطورة الاخرى اسلامية، ومن المفترض ان يكون هيجو قد قرأها في *الكتب المقدسة للشرق*، فبواتية بعد ان ترجم القرآن، وضع في نهاية الكتاب البردة وهي قصيدة لشريف الدين البوصيري، ترجمها عن العربية البارون سلفستر دوساسي؛ وتبرز من هذه القصيدة في مديح النبي (ص) الصفحة الآتية: "*بامر محمد، تأت الاشجار وتسجد امامه*: *ثم تتقدم باتجاه النبي دون اقدام محمولة، فقط على ساقها، تشبه في طاعتها تلك الغيمة المهيبة التي كانت تتبع رسول الله في مكان ما حيث حملته خطواته لتحميه من حرارة الشمس وسط اكبر حرقة للشمس.*"

ولم يكتف هيجو باستلهام البردة، وانما استفاد من كل معرفة بالاستشراق امدته حول مسألة صنع المعجزات في المعتقدات الاسلامية:

["*عندئذ حول الشيخ عينيه نحو الغير مرئي،*
***قام بثلاث خطوات فاتحاً ذراعه اليمنى ورافعاً اياها*:**

---

547 وثائق جمعت من قبل عبد المطلب صالح. المصدر السابق. ص5.

548 انظر عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص163.

صارخاً: اذهبي، اذهبي يا شجرة السدر باسم الله الحي!

قالت الشجرة - لو انك لفظت هذا الاسم مبكراً؟"

فطارت وهي ترتجف محطمة الصخرة الصلبة من

المرمركطائر قاتم عظيم .]

في الحقيقة، ان فكرة "الخارق للعادة" الذي يحدث من خلال ذكر اسم الله او من خلال ايمان عميق ليست مقتصرة في العقيدة الاسلامية، فهي سبق ان وجدت في المعتقدات المسيحية ايضاً.[549]

كذلك نضيف إلى ان شخصية عمر هي شخصية تاريخية، فرغم ان الشاعر لم يصفه الا بمفردة *شيخ*، يبدو من الجلي ان هذه الشخصية تتعلق بعمر ابن الخطاب* (رض)، الخليفة الثاني في الاسلام. وهيجو يصفه بهذا الشكل:

"عمر، شيخ الاسلام والقانون الجديد (الاسلامي)

الذي اضافه محمد إلى ما اوحاه عيسى،"

"ان عمر هذا هو في الحقيقة صانع معجزات مشهور، وحتى الكتب التاريخية العامة التي ظهرت حوالي عام 1850 نجد اثر قوته وعظمة سحره"[550] في نهاية القصيدة يظهر الجانب الاكثر فلسفة، انها الفكرة الرئيسة التي تلخص الاحترام

---

[549] انظر انجيل متي، **17 -20** [لو كان لديكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم] ومن غير المستحيل ان يكون هيجو قد استعار هذه الحقيقة الانجيلية عند كتابته لقصيدته. كذلك فان فكرة الشجرة الطائرة ليست بعيدة عن البساط السحري لعلاء الدين.

* عمر (**omer**) كتبت في مكان آخر "**Omar**" مشيراً دائماً إلى نفس الخليفة.

[550] نص حول "عمر" والسحر، في كتاب بعنوان "العالم الخلاب: مصر الحديثة) **1848**، من تأليف ج. ج. ماراي **J.J.Marai**، وأ. ريم **A.Ryme**، ص**19**، وثائق جمعت من قبل عبد المطلب صالح. المصدر السابق. ص**8**.

الواجب اتباعه تجاه روح الطبيعة. ومن جهة أخرى لا يناقش هيجو الاعجاز المسيحي بان القديس يوحنا حيٌ ابداً، لكنه يغضب ويدحض طويلا الاعجاز الاسلامي.

[لقد اصبح القديس يوحنا في هذا المعنى الناطق الرسمي لافكار الشاعر. ونحن نعلم أي هيبة يكنها هيجو للطبيعة منذ وقت طويل. فاعتقاده المعروف بوجود الروح في الكائنات "غير الحية" تتجسد هنا مع نظرياته الحلولية][551] ونحن نجد هذه الافكار مجموعة في ديوانه *الهجاء* *Le Satyre* بشكل واضح، حين يقول:

"والآن ايتها الإلهة ! اصغي لهذه الكلمة ! الروح!

تحت الشجرة المتمتمة، قرب الدابة المتضرعة،

هناك من يتكلم. انها الروح.." [552]

لا يبدو من الغريب امام هذه الافكار الفلسفية في ان يغضب الشاعر على التآمر لحرية الطبيعة، لحرية الشجرة على وجه الخصوص من قبل مؤلف البردة. وينهي هيجو قصيدته بهذا الدرس:

["ايها القادمون الجدد، اتركوا الطبيعة بسلام."]

وهذا الحكم الأخير الذي قاله القديس يوحنا هو في الحقيقة كلام وقول هيجو الذي "اعطى للمسيحية افكاره الخاصة عن الطبيعة، رغبة منه، كما يبدو ذلك في ان يقوم حول هذه النقطة بمواجهة بين الدينين اللذين يشغلانه." [553] وفي هذه المسألة يستفسر بول بيرية فيما اذا كان بامكان هيجو مع بعض تجميل الواقع ان [يسند نظرياته حول تسلط الديانة المسيحية عندما قابل الاحترام الذي كان يكنه

---

[551] عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص**164.**

[552] اسطورة القرون، **XXII,II**، **1859.**

[553] عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص**165 - 166.**

الحواريون المسيحيون لقوانين الطبيعة من جهة، مع عدم المراعاة التي عوملت بها هذه القوانين من قبل "السحرة والانبياء الكذبة" في الاسلام من جهة اخرى."] [554] ويعطي الباحث في طرحه عدة امثلة حول معجزات المسيح (ع) التي لا تربك الطبيعة بمقارنته مع مثال القمر الذي انشق للنبي محمد (ص) ، والذي كان مكتوباً في البردة، هذا المثال الذي على العكس يربك الطبيعة.[555] ونحن لا ندري اذا كانت هذه المواجهة هي مبتغى مؤلف "*شجرة السدر*". فاذا كان صحيحاً نحن نعتقد ان فكرة الشاعر لا تستند على ارضية صلبة؛ فمن غير المقبول ولا من المنطق ان نقابل ونقارن نظامين دينيين من خلال معجزات مشكوك بها واساطير فنطازية نوعاما، وباختصار من خلال واقع غير موجود، ولكن بالتأكيد اتهم هيجو الاسلام بعدم احترامه للطبيعة. وفي هذه المسألة ايضاً فانه متوهم؛ فقد ترك نفسه تحت تأثير ادب شرقي يحفل بالامور الخارقة والاعجاز لكي يتهم ديانة محمد(ص) بنفس الصفات، وهي في الواقع بريئة منها. لذا يبدو لنا ان الشاعر لم يتفحص كفاية القرآن الكريم الذي يحترم الطبيعة كما التوراة.

ونجد احد الباحثين ، وهو مؤنس طه حسين يحلل القصيدة بطريقة اخرى ، فهو يرى فيها فكرة "*عزيزة عند هيجو*" سبق ان عبر عنها في قصيدته "*نهر الدانوب غاضبة*"[556]. هذه الفكرة هي: "ان الديانات تخلق انقلابات تأتي لارباك النظام الهادئ للطبيعة." [557] ويؤكد الباحث بان *القادمين الجدد* يعني بهم بلا شك المسلمون والاسلام، كونه حسب السياق الزمني آخر دين منزل من الله تعالى. ويقول ايضاً: "ما ان تنفس العالم الصعداء منذ قدوم المسيحية حتى جاء محمد

---

[554] المصدر السابق.

[555] المصدر السابق. انظر كذلك الوثائق التي جمعها عبد المطلب صالح. المصدر السابق. ص**6**.

[556] الشرقيات. **XXXV**.

[557] مؤنس طه حسين. المصدر السابق. ص**249**.

ليحركها من جديد.."[558] ومع ذلك فهو يستبعد ان "يقصد هيجو بذلك الاسلام"، لأن "*شجرة السدر*" كتبت بعد بضعة اشهر من كتابته لـ" *السنة التاسعة للهجرة*"، وهذا يعني انه كتبها في وقت كان يحتفظ في ذاكرته بصورة موقرة عن الاسلام من خلال الكتابات المنصفة عن عقيدة النبي محمد (ص) .

نحن نعتقد بان القصيدة تعنى على وجه الخصوص الحديث عن الخليفة عمر(رض). فاهتمام الشاعر بالخليفة عمر (رض) كان منذ فترة *الشرقيات*، فهيجو كان ينظر لهذه الشخصية كصورة من صور السلاطنة المتيمون بالسلطة من خلال القتل ، وبالقوة من خلال القسوة:

"يونان المحترقة، فريسة لاولاد عمر،"[559]

والى نهاية المنفى كان هيجو يوجه للخليفة الثاني في الاسلام كل ما يتعلق بالنفاق: صفة الدموية والشهوانية وادعاء الحكمة. فلنصغ إلى هذه الابيات التي كتبت عام 1856 لكي نتبع عن قرب فكرة هيجو عن الخليفة عمر (رض) من اجل ان نفهم موقفه في"*شجرة السدر*":

"ايمكن ان تكون انت احد هؤلاء الكذبة الذين

تحركم الخديعة، ذات الفكر المريب الكئيب،

الذين يحاولون ايجاد المخطوطة الإلهية،

او على الاقل ليسرقوا منها بعض النصوص

فيجعلوا منها، فيما بعد، وهم متحججين بنصها،

نوعاً من القانون الانساني الفاسد القاسي الباغي وغير العادل؛"[560]

---

[558] المصدر نفسه.

[559] الشرقيات. VII.

ان *القانون الانساني الفاسد* ليس سوى العقيدة الاسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم وفقا لهيجو، فلا يتوانى عن اتهام الاسلام بنفس الطريقة التي كان بفعلها سابقاً في *الشرقيات*. وبدلا من الباشوات، نجده يتحدث عن الخليفة عمر:

*"والذين ، عمر ا كانوا ام فنجال**

يبنون سماءً عظيمة كالسراي وجنة من السيوف

و يحلمون بالمرأة العارية، او بالرؤوس المقطوعة،" [561]

ومن الجدير بالذكر انه في نفس العام الذي كتب فيه "*شجرة السدر*"، في "زم زرمي" بشكل خاص ،وصف هيجو عمر بمدعي العظمة:

[*مثل عمر القائل*: "*بفضلي انتصر الله*."] [562]

امام هذه الاوصاف التي اسبغها عليه فلن يكون من المدهش ان يضرب عمر الشجرة بعصاه وان يأمرها ثلاث مرات قبل ان يلفظ اسم الجلالة. كان بامكان الشاعر في قصيدته ان يضع شخصية النبي محمد (ص) بدل من شخصية عمر (رض) لما يمتلكه من قوى روحية كما دونت في البردة ، ولكنه فضل ان يوكل هذه المهمة إلى رجل، صحيح انه ممثل عن الاسلام ، ولكنه اعتبر دائماً كشخص قوي وقاس في الوقت ذاته، وذلك من خلال كتابات بعض المستشرقين[563]، الذين اشاروا للخليفة عمر (رض) بقوته الخارقة.

---

[560] الله. I، II، الاصوات، القطعة السابعة، 1956.

* لم استطع معرفة شخصية بهذا الاسم.

[561] المصدر السابق.

[562] اسطورة القرون، I, XVI.

[563] انظر ص 190

من جهة اخرى نجد في قصة "*شجرة السدر*"، ان الشجرة لا ترضخ الا باسم الله، وهذا يعني ان الخليفة عمر ليس سوى واسطة بين ارادة الله والشجرة، واذن سيكون من الاحرى القول انه بامر من الله تحركت الشجرة.

ولا ينبغي لنا مع ذلك التركيز فقط على اللوم الذي وجهه هيجو للخليفة عمر (رض) وللإسلام بشكل عام، فمن الجدير بالاهتمام التذكير ايضاً بالشفقة والطيبة والرحمة التي وصف به شيخ الاسلام(عمر) من اجل رسل المسيحية، وهو يعني نوع من التقارب بين الديانتين، وقد اشرنا كيف قام هيجو بهذا التقارب في "*السنة التاسعة للهجرة*"، اما في هذه القصيدة فقد كتب:

"عمر، شيخ الاسلام والقانون الجديد

الذي اضافه محمد إلى ما اوحاه عيسى"

ومن قبل، في عام 1850 اشار لنا هيجو عن رغبته في مقاربة الاديان ليس فقط الاسلامية والمسيحية وانما اليهودية ايضاً، فقد كتب في احدى مخطوطاته:

"عندما ضرب محمد ثلاث مئة وستين صنماً

بالطرف غير المعقوف للعصا التي كان القديس يوحنا

يحملها كما فعل موسى، والتي نسميها محجن." [564]

ان لبيت الأول صحيح تاريخياً، فلابد ان الأمر يتعلق باللحظة التي دخل فيها النبي محمد(ص) مكة، وحطم الاصنام في الكعبة، من اجل عبادة الله الواحد الاحد،(وهو الإله الذي يبحث عن الشاعر). اما البيتان الآخران فهما خياليان ورمزيان في الوقت ذاته. فعصا النبي محمد (ص) بما انها مشتركة بينه وبين القديس يوحنا وموسى ﷺ تشير كما يبدو لنا إلى ان المصدر الالهي الواحد في

[564] فكتور هيجو. اسطورة القرون، نهاية الشيطان ، الله ، (نسخة فرنسية. باريس، مكتبة البليـــاد، دار كاليمـــار **1950**. ص**1255**.

كل الاديان والذي يدعو الى عبادة إله واحد ونبذ كل ما يتعلق بالشرك. ومن جهة اخرى فالعصا غير المعقوفة قد تدلل على قوة الاسلام وعلوه كونه آخر دين طرد الشرك إلى الابد ، وعلى ضوء هذا، اعترف هيجو بالاسلام كتابع مكمل للمسيحية.

ان هذا التقارب بين الاديان الثلاثة سيكتب عنه مرة اخرى عام 1855، فبحثه عن الله في الاديان الثلاثة يبدو انه قد ارهقه بالفعل:

"*أسمع من يصرخ في الاسفل: ياهو، المسيح، الله*" [565]

اما بالنسبة لقصيدة "*شجرة السدر*" فيبدو ان الشاعر، ولكونها آخر قصيدة كتبت في فصل *الاسلام*، اراد ان يضع فيها حكمه النهائي حول العقيدة الاسلامية. لذا نميل إلى الاعتقاد ان هيجو اراد ان يقول بان الاسلام دين سمح، ميزاته القوة والرحمة والزهو، وانه يتعايش مع الاديان الاخرى، ولكنه ليس ديناً حالماً ولا رومانسياً، انه دين قوة وليس رقة، كما قاله مؤلف "*السنة التاسعة للهجرة*":

["*أنا القوة ايها الابناء؛ عيسى كان الرقة*"]

وباختصار، فكما رأينا كانت فترة المنفى خصبة جداً لانتاج الشاعر؛ كانت غنية بالافكار الدينية. لقد بدأ هيجو ببلورة افكاره، والتي ستتطور في اعماله الميتافيزيقية في *نهاية الشيطان والله* . وفي هذا الاخير، وعلى طول ديوانه الشعري، بحث هيجو عن الله ليسميه ويتعرف عليه، فمر على كل عقيدة بافكارها ومعتقداتها من خلال اسلوب فلسفي رامزاً اياها بكائن متحرك. ويمكننا ملاحظة بعض النقاط في ذلك: اولاً نفهم من هذه القطعة الشعرية والتي تختصر تقريباً كل التفكير الديني لمؤلفه ان هيجو لا يقتنع لا بالاله الغيور للتوراة ولا بالإله الرحيم

---

[565] الله. II,I، 1855.

للانجيل؛ فاله هيجو عادل، كما عبر عنه في فصل *الملاك*[566] وهو ما يتوافق مع "إله الإسلام" كما يقول ذلك القرآن الكريم: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ[567]﴾ ثم في فصل *النور* استعار هيجو الكثير من الملامح والصفات حول يوم القيامة على وجه الخصوص من العقيدة الاسلامية. في النهاية وفي اطار ابحاثه عن الله، لفظة "الله" العربية لم تكن غائبة فقال:

هل ما نراه هو "الله" ام براهما ام بان ام يسوع

ام ياهو؟ اشعاع ! اشعاع! اشعاع! اشعاع!ــ"[568]

ومع كل هذا كان الاسلام غائباً في ديوان *الله*، لم يعالجه هيجو بشكل مستقل كما فعل مع الاديان الاخرى. كيف يمكننا تفسير هذا النقص؟ لقد حاولنا الاجابة، ولكن في النهاية كل شيء يبقى محتملاً، قد يكون السبب ان الشاعر ظن بانه كتب كل شيء عن الاسلام في *اسطورة القرون*، ولذا فهو ليس بحاجة لاعادة كلامه. ونحن نفترض ايضاً ان الشاعر لم يتوصل إلى فهم الاسلام إلى الدرجة التي يتأمل فيه افكاره ومعتقداته ويدحضها في النهاية. الم يعتبره ديناً موحى من الله؟ بلى! تشهد عليه" *السنة التاسعة للهجرة*"و"*شجرة السدر*"، وخصوصاً الثلاثية الشعرية التي سبق وان حللناها ، حيث ربط الشاعر وجمع بين الاسلام والمسيحية واليهودية. بامكاننا القول ضمن هذا النطاق ان الشاعر يعترف بالمعتقدات الثلاث كديانات موحاة من الله تعالى، يبدو لنا ان الشاعر كان بامكانه استلهام الاسلام ولكنه ما كان ليستطيع اختباره ليقول فيه وجهة نظره، لأن هيجوكما يبدو كان يجهل الكثير من الامور حول الفكر الاسلامي.

---

[566] انظر الله. **II,VII**، الملاك، **1855.**

[567] سورة المائدة ، الآية **98.**

[568] الله. **II, VIII**، النور، **1855.**

لنأخذ ايضاً بنظر الاعتبار احتمالا ضئيلاً كون الشاعر قد تصور بانه تكلم عن الإله الواحد للاسلام عندما تحدث عن ديانة موسى (ع).

ومن الفضول ملاحظة ان الشاعر في ديوانه هذا وصف كل ما عرض من عقائد واديان، في غياب الاسلام طبعاً، كـ*انوار مبهمة عائمة فوق اكاذيب*.[569] وهذا يعني بالضرورة ان الاسلام ليس من ذلك في شيء ، سواء ادرك الشاعر ذلك ام لم يدركه، لا بل على العكس،كان الاهتمام الذي اولاه الشاعر للشرق المسلم والاسلام في *اسطورة القرون* جديرا بالاهتمام.

كذلك نرى ان الشاعر لا يميز منذ وقت طويل بين تركيا والاسلام، فغالباً نجد ان اسم "الله" لا يظهر الا عندما يكون الحديث عن إله الاتراك. ففي قصيدته المعنونة "*رحلة القافلة من اسطنبول الى مكة*" المكتوبة بين عامي 1857 و1859، والتي صور فيها كيف يحج السلطان حاملاً معه الهدايا إلى الكعبة، يصور لنا هيجو بان هذه القافلة التركية تتقدم تحت رعاية *الله الذي يحميها* [570] .

في "*السنة التاسعة للهجرة*" لم يستعمل هيجو مفردة "الله" الا مرة واحدة، رغم ان مفردة "إله" على طول القصيدة نعني دائماً إله محمد. هل فكر هيجو بالتمييز بين الاسلام وتركيا، الامر الذي اهمله في *الشرقيات*؟ لا نظن ذلك، فهولم يتوقف عن رؤية المسلمين من خلال الاتراك. وفي مكان آخر نجد ان "السلاطين" الذين يحتقرهم يلمح لهم بالمحمديون.[571]

وفي احدى القصائد اعتبر القرآن، الموحى بالعربية، ككتاب تركي:

"ماذا تكون بالحصيلة مع قانونك مع

---

[569] الله. III، النهار، 1856.

[570] اسطورة القرون. ملحق، VIII 1857 -1859.

[571] انظر الرحمة العليا. V، 1855 -1858.

قرآنك التركي، و..." [572]

كل ذلك يوحي لنا ان هيجو كان لا يميز منذ ثلاثين عاماً بين مفهومي الاسلام كدين وتركيا كدولة؛ ولم يكن يبدو انه يهتم للتمييز الواحد عن الآخر. اما في ما يتعلق بالقرآن فكانت افكار الشاعر متناقضة فيه. ولكنه كان على وجه العموم ينظر اليه كنص مرعب.

"اي مدخل مشكوك واسود كالقرآن!

نص كان يبلغ فيه السيف حدا كطاغ مستبد؛" [573]

يرجح ان يكون تأثير القرآن تأثيراً لفظياً؛ فقد استعار منه كلمة "ابليس" والتي استعملها كثيراً في اشعاره في ذكر الملاك المتمرد.

وقد ترك هيجو نفسه في كل وقت تحت تأثير الافكار السياسية في ذلك العصر، فقد سبق ان لاحظنا تأثير الحرب اليونانية التركية حول صورة الاسلام في *الشرقيات*، اما الآن، ففي *اسطورة القرون* تغيرت صورته نحو اعادة الاعتبار، في وقت كان تمجيد الاتراك والدفاع عنهم هي الفكرة السائدة: كان الفرنسيون قد بسطوا حمايتهم لهم ضد الروس .

بعيداً عن كل ما يمكن ان نجد من افكار متناقضة حول الاسلام، تبقى "*السنة التاسعة للهجرة*" افضل قصيدة مراعية للاسلام الفت في المنفى، لا بل في كل انتاجه الضخم.

---

[572] الحمار. **X، 1857 -1858.**

[573] اسطورة القرون. **LVII, I، 1859.**

الفصل الخامس

حكم شامل عن الإسلام

(1885 - 1870)

1/ التفكير الديني للشيخ

*** وجهة نظره حول الاسلام ***

بعد عودته من المنفى عام 1870 عاش هيجو خيبات امل متلاحقة ، وهو الذي كان يأمل بمكانة محترمة في الحكومة الجديدة. فلم يصل إلى تحقيق حلمه في نشر الحرية والديمقراطية والسلام في المجتمع، والغاء اشكال العقوبة وعلى رأسها الاعدام. اضف إلى ذلك وفاة بعض من اهله في سنواته الاخيرة (ابنيه شارل 1871، وفرنسوا 1873، وصديقة عمره جولييت درويه 1883) وعودة ابنته اديل لتبقى محجوزة . كل هذه الخيبات لم تكن سوى اشارات للشاعر بان كل شيء إلى زوال، وبأن الانسان كائن زائل، على الاقل فأن هذا الامر قلل في عينيه الأمل بالحياة الدنيا، فهو يفكر الان اكثر من السابق في الحياة الآخرة. وفي الحقيقة لم يتوقف اهتمامه وبحثه للمسائل الروحية، وهيأة الله على وجه الخصوص في كل الاديان. كما ان محاولته لفهم الاديان قد ارهقته.الم يكن هو من صرخ في عام 1874 بهذه الابيات:

" لو اتمكن من اخذ لحظة راحة؟ مستحيل

قرآن، زند افستا، كتب غامضة، توراة،

ايمكنني ان لا اشعر بهذه الوخزات العميقة

...

آه ! يا له من عمل كريه ! هنا محمد؛..."[574]

اذن لم يغب الاسلام عن "دراسات" الشاعر. سيقول فيه كلمته عند تناوله موضوع النبي محمد (ص)، والقرآن الكريم، والسلاطنة، وأئمة الاسلام، ومفردة

---

* اصيبت اديل ، ابنة فيكتور هيجو ، باختلال عقلي بعد هروبها مع احد الضباط الذي وعدها بالزواج ثم تركها . وقد عثر عليها عند امرأة مسنة كانت تهتم بها، وتم اعادتها الى البيت، ثم وضعت في مصح لتبقى محجوزة حتى وفاتها عام **1915 .**

[574] رياح الفكر الاربع. **I,XXVI، 1874.**

لفظ الجلالة "الله" والذي كان يستخدمه في كل مرة يتعلق الأمر فيه "باله المسلمين" وبمعنى آخر "إله الاتراك".

وعموماً يبدو ان فيكتور هيجو في سنينه الاخيرة لم يكن اقل عدائية للاسلام عما في زمن *الشرقيات*، فهيجو في العشرينيات من عمره ، بسبب الجهل ربما،لم يكن موضوعياً في حديثه عن الاسلام، اما في نهاية عمره فقد شعر بنفسه متعباً من البحث والدراسة والتحليل لحقيقة الاديان، لكي يرفضها جميعاً في النهاية. حتى القرآن لا نجده يعطيه صورة مشرقة لايمان واضح:

"بخصوص كل هذه القرائين التي اخترعها كل عصر،
ايدا، فيدا، تلمود، كنك او زند افستا،
ما هي سوى خليط مبهم سيء؛
ايتها الروح المتعامية، عند دراستك لها
لن يعد بامكانك تعلم شيئا من الواقع
الا عند اجتهادك في تأليف نشيد ساعة غضب!" [575]

تتكرر هنا ايضاً كلمة "القرآن" بصيغة الجمع والذي استخدمه هيجو بشكل متفرق في شعره منذ وقت طويل ،[576] وهي مسألة ليست ذا معنى عند المسلمين.

---

[575] اديان ودين. II، 1870 - 1880.

[576] انظر ص181.

من جهة اخرى نرى عبارة *التي اخترعها كل عصر* وهي انكار لاستلهام القرآن من الله تعالى ؛ وقد وضح ذلك في اديان ودين [577] . ان هذا الامر يتناقض مع ما قاله عام 1875 عندما كتب:

"قرآن، تلمود كل من صنع الله نفسه.." [578]

ورغم كون التلمود ليس سوى تفسيراً للتوراة، وضعه الاحبار والرهبان اليهود، الا ان هيجو وضعه مع القرآن، الموحى من الله. وفي هذه القصيدة وجد هيجو متردداً امام الاسلام:

"آه ! كائنا من تكون انت الذي، في الجامع

جامعاً الضلالة بالحقيقة المقنعة

مانحاً تارة الظل وتارة النور، " [579]

ما هي الحقيقة التي يخفيها الاسلام حسب رأي هيجو، حقيقة الله؟ نعم! لم يتوقف هيجو عن اتهام الاديان بعدم فهمها لله، او لعدم اعطائه عظمته. فلنصغ اليه وهو ينهي قصيدته والتي تبدو موجهة لرجال الدين المسلمين:

" بع هذا الإله، تعرف الى ذاك، نحن نؤمن بذلك !

ولا نريده ان يهان! ياللبؤس!

ماذا دهاكم! هو الابوة، ماذا جرى لكم! هو الضرورة،

ايمكن ان يكون دون منطق، دون قانون، دون قلب، دون عيون!" [580]

---

[577] اديان ودين. V، 1870 -1880.

[578] اسطورة القرون. L، 1875.

[579] المصدر السابق.

من خلال هذه الابيات نستطيع ان نفهم فكرة ما، لم يبدو الاسلام بالنسبة له كدين يعطي لله مكانته المقدسة الملائمة، والسبب في ذلك كما نظن يعود إلى عدائه للرهبان المسيحيين الذين هاجمهم مراراً في شعره، وهذا العداء انسحب بدوره على رجال الدين المسلمين:

"ايها العراف، الهك يكذب، ايها العالم الهك يضع

الارض تحت السيف الملطخ لمحمد" [581]

وفي قصيدة أخرى يتخيل حال رجل الدين المسلم لحظة النفخ في البوق:

"المصلي الفاسد الشره

يرمي قرآنه؛" [582]

وقد لا يكون مستحيلاً ان هيجو الذي طالما اشر انزعاجه من غنى البابا وبهرجته، توجه بذات النقد نحو رجل الدين المسلم:

"امام مكة، يتقدم حصانه

فوق رجال ممددين على الارض، يصنعون له

قمامة من ارواحهم، بلاطاً من جباههم؛" [583]

خصوصاً ان هيجو وكما بحثنالم يقابل ابداً اماما معيناً او ببساطة رجل دين مسلم، ولهذا نظن بان حقده لرجال الدين المسلمين لم يأت الا في اطار تعميم

---

580 المصدر السابق. **L، 1875.**

581 رياح الفكر الاربع. **I,XXVIII، 1874.**

582 السنوات المشؤومة. **LIX، 1870.**

583 اديان ودين. **II، 1870 -1880.**

عدائه لأئمة الاديان المختلفة، والذين كان ينظر اليهم من خلال مجتمع رهبان الكنيسة.[584]

نلاحظ كذلك ان هيجو لم يدرس القرآن بمعزل عن الكتب المقدسة. اذ اننا نجدها متتابعة في شعره. وهو ينظر اليها بنفس الرؤية؛ فحسب رأيه كل هذه الكتب لا تفهم الله تعالى، لأنها تحتوي على العقاب الذي هو ابعد من ان يكون من كلام الله، واذن فهو لم يميز كتاباً مقدساً عن آخر، انه يشتمها جيمعاً لهذا السبب:

"ليس التلمود اقل ضعفاً من القرآن." [585]

لم يكن يعتبر أي واحد منها:

"قلبي الذي ليس فيه لا توراة ولا انجيل

ازدرى المتصوف دوماً وتحدى المستبد؛ " [586]

لم ير هيجو في هذه الكتب المقدسة سوى قوانين قاسية جداً، وبشكل خاص عقوبة الاعدام التي ما انفك يطالب بإلغائها. لذا ليس من الغريب ان نرى هيجو الذي طالب بالرحمة حتى لاعدائه[587] ان يزدري كل شكل من اشكال العقاب، وكل كتاب وان كان مقدساً يؤمن بذلك. عند قراءتنا للابيات الآتية، نفهم درجة الغضب التي وصل اليها الشاعر:

"آه! سامزق هذه الدساتير وهذه التوراة

هذه القوانين، هذه القرآئين!" [588]

---

[584] اشار هيجو واكد عدة مرات عداءه لرهبان الكنيسة. انظر السنة المرعبة، **XII**، **1871**؛ الفن ان تكون جداً، **XI; XV,IV; XVIII,IV**، رياح الفكر الاربع، **I,XXIII**، **1874**؛ كل القيثارة، **V,XXXIX**، **1987.**

[585] البابا. لعنة ومباركة، **1877.**

[586] الفن ان تكون جداً. **VI,I**، **1874.**

[587] انظر الرحمة العليا. **1855 - 1858.**

[588] الفن ان تكون جداً ، **I,VII**، **1874.**

ويحدث احياناً ان يكون موقف الشاعر غامضاً حتى اننا لا نستطيع فهم ما كان يريد ان يقول، والا بماذا يمكننا تفسير احدى قصائده التي كتبت عام **1876** في الجزء الثالث من *اسطورة القرون* وتتلخص قصتها هكذا: السيد بعد قتله الخليفة الاسود اوكرل، ترك القصر والتقى بشخص اسمه"ميدنات" والشاعر يعلمنا بانه:

"...*الشيخ الذي كتب*

التفسير الغامض والمقدس للقرآن

وفي الليل يتطلع الى النجمة الدبيران." [589]

والآن، لنتساءل ما يعني بالضبط للشيخ فيكتور هيجو، هذا الرجل المفسر اللاهوتي والعالم الشارح لمعاني لقرآن، وهو في الوقت ذاته يستشير النجوم. نخشى ان لا نستطيع الاجابة. لنسلم ان "*مدنات*" هذا *يكتب* تفسير القرآن وان يكون هذا التفسير *غامضاً ومقدساً* ، ولكن أكان بحاجة للبحث في نجوم السماء وهوالذي كان بامكانه ان يجده في الكتاب المقدس؟ وهو امر غير مفهوم للمسلم الحقيقي. كل هذا يشير إلى ان هيجو في سنواته الاخيرة لم يبد كثير التغيير لهيجو الذي كتب *الشرقيات* قبل سبع واربعون عاماً.

*** افكار مقارنة**

طيلة فترة حياته كنا نرى في شعر هيجو افكاراً اسلامية متنوعة ، هذه الافكار التي نجهل اصولها تنقسم إلى قسمين: الاولى تقترب من افكار القرآن؛ والثانية تقترب من الاصول الاسلامية.

---

[589] اسطورة القرون. **I, XII 1874 .**

لنتأمل مثلاً ادراكه لإله يحسب كل شيء في الخليقة:

" ها قد حنت ساعة الذهاب للتنزه في ظل

الغابات الكبيرة الملأى بطيور لا يعلم عددها إلى الله" [590]

والتي تتحقق في هذه الآية: ﴿ ...إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا[591]﴾. وكذلك نجد ان نصائحه التي يقدمها لنا، بعيداً عن التفصيلات، هي نوعاما كما لو كانت شكلاً من الاوامر الإلهية للقرآن. فهو يطلب مثلاً عدم مسامحة الخونة، وهو امر منزل في القرآن ايضا في الاية الكريمة : " ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما"[592] فيقول هيجو ايضاً:

" كونوا قضاة، كونوا احباراً، كونوا رهباناً،

قولوا الصدق. لا تبرروا للخونة!" [593]

وفي مكان آخر استخدم هيجو التعبير الاسلامي" ان شاء الله" التي حث القرآن على لفظها عند الاقدام على عمل في المستقبل[594]:

"سأبدأ غداً، ان شاء الله؛ " *[595]

---

[590] الفن ان تكون جداً. I,XII، 1874.

[591] سورة الجن . الآية 86.

[592] سورة النساء. الآية 107.

[593] كل القيثارة. الحبل الفولاذي، XVI، 1875.

[594] انظر سورة الكهف. الآية 23.

[595] السنة المرعبة. IV، يونيو، 1871.

من جهة اخرى نجد استخدام الشاعر للسلام الاسلامي "السلام عليكم" والتي استخدمها منذ ما قبل المنفى[596]. فالمسلمون يؤدون هذا التعبير في سلامهم او في بداية ونهاية خطبهم. وقد استخدمه هيجو لنفس الظرف، في نهاية قصيدة الفت على صورة خطاب:

"ايها الناس احبوا بعضكم. والسلام عليكم" [597]

من الجدير بالاهتمام ملاحظة انه في حياة هيجو الواقعية وخارج اطار شعره "في كل مرة كان يذهب فيها لملاقاة سيدة تدعى "بلانش" (او اية امرأة اخرى) كان يفرغ محفظة نقوده للايدي الممدودة له." [598] **هل فكر بان "الحسنات يذهبن السيئات"** [599] **كما يقول القرآن؟ نخشى ان لا نستطيع الاجابة. فكلام الشاعر وافعاله تترجم عن قرب بعض الافكار الاسلامية، وهو امر لا يمكن نكرانه. ولكن اصول هذه الافكار تبقى مجهولة، الا انها حتماً موجودة فقط في ذهن الشاعر الميت.***

II/ تحليل شامل حول موقف هيجو حيال الاسلام

---

* من جهة اخرى نجد استخدام معنى التعبير نفسه مكتوباً في **16** ديسمبر **1872**، عندما بدأ بكتابة *ثلاث وتسعون*: **"**سأبدأ الآن بالكتابة طوال الايام، دون توقف ان شاء الله.**"** نقلاص عن اندري موروا، المصدر السابق، ص**522.**

[596] انظر ما عرضناه في ص **149.**

[597] البابا. عند دخوله القدس، **1877.**

[598] هنري كويمان. المصدر السابق، ص**55.**

[599] القرآن الكريم. سورة هود ، الآية **114.**

* ان من الامور المثيرة للانتباه ان يصادف وفاة هيجو وولادته يوم الجمعة، عطلة المسلمين. **(**فبحسب غيبيات الاسلام، من يموت يوم الجمعة ينقذ من عذاب القبر، انظر ابن فرج الانصاري القرطبي**:** التذكرة في احوال الموتى وامور الاخرة، مكتبة النهضة العربية، بغداد، **1985**، ص**179).**

حسب النصوص التي جمعناها منذ بداية حياته حتى نهاياتها، ليس من الصعب ان نرى ان موقف مؤلفها امام الاسلام لم يكن دوماً مفهوماً عدا عن بعض الاستثناءات.

ان اقدم النصوص التي لمحَّت للإسلام تعود إلى العام 1818. وهذا يعني انه منذ صغره، وفي السادسة عشر من عمره، عرف هيجو الاسلام من خلال نبيه *المريح* [600] محمد. ففي شبابه خصوصاً في فترة *الشرقيات*لم يتأخر هيجو في الاشارة إلى ازدرائه بالإسلام؛ وقد سبق ان اشرنا تأثير حماس الجمهور الفرنسي لليونان ضد الاتراك المسلمين في *الشرقيات* اثناء حرب نافران، بسبب الجهل اولاً، ثم لقراءته السطحية للقرآن ثانياً. لم يتعلم هيجو من الاسلام سوى ما اعان موقفه العدائي ضد الاسلام وضد نبيه المصطفى (ص)، خصوصاً مواضيع الحجاب، والحريم، والرق والفروض "القاسية" حسب رأيه، ومواضيع اخرى ضد الحرية، وتحمل في طياتها التعصب الديني.

يبدو ان هيجو لم يكن لديه ادنى شك بان هناك حقيقة واحدة هي المسيحية! كل ما عداه كذب. [601]

ومن جهة اخرى لا ننسى ان هيجو لم يهتم بالكتابة عن الاسلام، فقد اخذه حب الشرق ببساطة لكتابة ديوانه *الشرقيات*.

بعد نهاية الحرب اليونانية التركية لم يعد هيجو يفكر بالاسلام كدين، فعلى الاقل لم نجد في شعره أية اشارة إلى العقيدة الاسلامية قبل مقاطع المخطوطات التي كتبها عام 1846. ففي هذا العام تجلى اهتمام الشاعر بالقرآن بجدية لم تكن

---

[600] راجع ص 14 من هذا الكتاب.

[601] انظر الشرقيات. V، نافران.

بادنى علاقة عما كتبه في *الشرقيات*، وقد قالها عام 1832: "تتجه انظارنا نحو شرقيات اخرى[602].

ان الشك الذي اجتاح الشاعر في هذه الفترة، ثم وفاة ابنته العزيزة عام 1843 دفعاه إلى البحث في الاديان الاخرى عن اجابة للاسئلة الروحانية التي كانت تدور في رأسه، ومنذ ذلك الحين فتح القرآن وقرأه. لا نجرؤ على القول انه قرأه بعمق، ولكن بهدوء. فبدأ عند الشاعر اهتماماً معيناً بالاسلام، فقصائده المنشورة ومسوداته تبرهن على ذلك، ومخطوطات الشاعر تشير إلى محاولاته الجدية لترجمة بعض الايات القرآنية التي لم يختارها دونما اعجاب.

لقد فتح المنفى افاقاً جديدة للشاعر. فبعد دراسات طويلة، حاول ان يكتب عن جميع الفلسفات والاديان المنزلة في انتاج ضخم، وخصوصاً في ديوانيه الشعريين *الله واسطورة القرون*؛ وقد خصص في هذا الاخير فصلاً من ثلاث قصائد، من بينها "*السنة التاسعة للهجرة*"، والتي اعتبرت كافضل قصيدة كتبها الشاعر عن الاسلام طوال حياته. ففي هذه القطعة الشعرية اعتبر هيجو عقيدة النبي محمد (ص) مرحلة في مسيرة تطور الانسانية، واعتبر النبي محمد (ص) نفسه كمكمل رسالة المسيح (ع). هذا الموقف المؤيد للدين الاسلامي ولنبيه يعود الى بعض الكتب التي عرضت مفردات الدين الاسلامي بشكل موضوعي.

وقد انتابتنا الدهشة ان لا نجد في ديوانه *التأملات* شيئاً عن المحمدية ، في الوقت الذي نجد فيه هنا وهناك كل نوع من انواع الديانات والمعتقدات. وفي ديوانه *الله* عرض هيجو بطريقة نظامية عقيدة الاديان الرئيسة المتتابعة ، واحتفظ لكل واحدة بقصيدة خاصة. ولكن الاسلام الذي كان يفترض ان يكون بعد المسيحية في هذا الديوان لم يذكر بالمرة. مع ذلك لم يذهب الاسلام بعيدا عن الانتقادات مع الاديان الاخرى، وذلك لأن العقائد هي التي كانت تنفره. لم يكتف

---

[602] اغاني الغسق. **VIII، 1832.**

هيجو بنقدها وانما كان يشعر بالحاجة للهزء بهذه الاديان ، او التخلص منها من خلال هجائها بشدة:

"قل ، اجب، اتحتاج إلى اديان مصطنعة

من كتب، من احبار ، من ايام الأحد والاعياد،

لديها عيد فطرها، وعيد فصحها، وتحضيرات الاحتفال بها **؟"** [603]

ولكن لماذا وبماذا كان يهاجم الاديان؟

بداية يمكننا ملاحظة ان هيجو عبّر اكثر من مرة عن احترامه لعبقرية هؤلاء الرجال المشاهير اصحاب الاديان، ومن بينهم محمد (ص)، ولاعمالهم، مثمناً نضالهم وكفاحهم ضد الشر، وجهودهم المضنية دون كلل أو ملل من اجل خير الانسانية. كما انه حيا الارواح السامية لاولئك الرجال العظام في نشر كل معاني الانسانية في المجتمع، دون أي تمييز لاحد. وقد قالها في *حاشية حياتي*: ***"اليهودية، والصابئية والبوذية، والشرك والتيمية[α] والمحمدية والمسيحية هي من نور القمر، موسى وبوذا وزوروواستر واورفيه وكرنفكيس ومانية ومحمد والمسيح هم نوع من الرجال الكواكب التي تدور حول نجمته وتعكس اشعته."*** [604]

وهكذا كل واحد من هؤلاء "الرجال الكواكب" يضيء قليلاً ظلمات الحياة. فيعجب بهم هيجو ولا يشك ابداً بايمانهم الصحيح. اذن " نلوم من؟ يتساءل هيجو الكتاب المنزل؟ كلا، ثم استمر. الموحي؟ وحاول.. الايمان غير المتكامل؟ ابداً. نحن نتحدث عن مؤسسي اديان وليس عن المستغلين. محمد الذي نجح،

---

[603] الله. **I,II**، القطعة السابعة، **1856.**

[α] تعني عادة الاشياء المسحورة .

[604] نقلاً عن شخاشيرو. المصدر السابق. ص**168**، كتبت بين **1863 - 1846.**

وساندينبرغ الذي اخفق، كانوا روحانيين ومؤمنين بعمق. ولم يكونوا مخادعين البتة." [605]

لنرَ ايضاً ان هيجو قبل وقت قصير من منفاه اعلن نفسه مناصراً لكل الاديان: "*ساقول باني من كل الاديان كما اني من كل الاحزاب*." [606]

بعد فترة المنفى ذهب إلى اعادة تأكيد وجهة نظره، فهو يجد ان جميع الكتب المقدسة مفيدة وجيدة للقراءة والاستشارة. وهو يظن بان قراءتها لا تعني ابداً تبني كل جوانب عقيدتها، "من بين خضم الكتب ، كما يقول عام 1863، لا يمكن رفض الكتب المقدسة، بامكاننا ان لا نترك انفسنا لها، بامكاننا قراءة القرآن دون ان نكون مسلمين، بامكاننا ان نقرأ الفيدات دون ان نكون ناسكين (دراويش)، ولكننا لا نستطيع ابداً عدم الاعجاب بها." [607]

ولكن دعونا لا نذهب بعيداً فَنُخْدَعْ، فاذا كان هيجو قد اعلن نفسه مناصراً لكل الاديان فهذا لأنه لا ينتمي لأي واحد منها، فعند القاء نظرة على شعر المنفى يمكننا ان نلاحظ عند الشاعر ميلاً للتمييز بين اركان العقيدة والدين، "لقد اراد حتماً ان يعني بذلك المبدأ الأول لكل الاديان، أي الايمان بإله واحد، وهو ما امن به هيجو دائماً." [608]. لقد فكر هيجو بان هذا التمييز ضروري، فبحث "النص" وليس الترجمة؛ واحب "الوجه" وليس القناع ، كما يقول شخاشيرو، وقد قالها هيجو نفسه: "جوبتير هي ترجمة، براهما ترجمة.. الله ترجمة.. انما الدين قناع. ولكن عمَّ يبرهن القناع؟ يبرهن على الوجه." [609] لقد بحث دون شك عن وجه الله في هذه الاديان، التراجم لا تقدم سوى معاني مغلوطة عن الله، واولها معنى الالوهية،

---

605 المصدر نفسه.

606 نقلاً عن شخاشيرو. المصدر السابق، **1848 - 1850.**

607 المصدر السابق. **1863.**

608 المصدر السابق. ص**169.**

609 المصدر نفسه. **1863 - 1864.**

فبرأيه ما من دين تعرف على الوجه الحقيقي لله او استطاع تعريفه، لأن الكتب المقدسة المترجمة لا تعطي سوى اقنعة، وكان يأمل منذ عام 1839، ان يجد يوماً الوجه الحقيقي لله، فقال:

"والكهنة، والاولياء، طبقة الكهنوت، والمجوس، ومن تبع زرادشت

قد صرخوا: جوبتير! "الله"!فيشنو! ميترا!

يوماً ما، في السهول، في الاعالي ،

كل هذه الاقنعة الشاردة ستتلاشى بنفسها؛

وعندئذ سيظهر الوجه العظيم الهادئ (لله) !" [610]

اذن، ايعني هذا ان هيجو كان متحاملاً على التراجم التي لا تعطي المعاني الحقيقية للنصوص الاصلية؟ كلا! فهو يتهم الاديان لقناعته بانها لم تعظم وجه الله، لأن مفكري العقائد لم ينجحوا في اعطاء تفسير كاف له كما كان هو نفسه يرغب به.

مع ذلك، قدمت لنا *اسطورة القرون* صورة حسنة، لم تكن بلا احترام للدين الاسلامي.

بعد المنفى لم يحتفظ هيجو للإسلام بموقف مؤيد. يستوجب عليه الاستمرار بصياغة نقده الذي بدأه في المنفى ضد الدين الاسلامي، كما ضد جميع الاديان التي ليست بالنسبة له سوى انظمة ناقصة.

في الحقيقة ان عدم كمالية الاديان هو موضوع لا ينفد حسب رأي هيجو ، سيعود اليه مرة اخرى وبقوة متجددة. فالهجاء محتدم اكثر مما قبل المنفى،

---

[610] التأملات. الكتاب الثالث، XXX,II، 1839.

خاصة في ديوانه *اديان ودين* عام 1880، وبعض القصائد في ديوان *رياح الفكر الاربع* 1881، وكما يقول شخاشيرو، "كلما كبر في العمر كلما بدا سريع الغضب اكثر." [611]

في اطار نقده للاديان، لم يفصل هيجو بين المحمدية والعقائد الاخرى. فلم يجعل للنبي محمد (ص) ولا لعقيدته تميزاً عن باقي الاديان الاخرى ومؤسسي العقائد الفكرية، فالانتقادات التي صاغها والمتناثرة في كل مكان من شعره بعد المنفى موجهة لكل العقائد والاديان دون تمييز. "انه يترفع عنها جميعاً وينفجر غضبه مستخدماً كل النبرات، نقاش هادئ ، نقد لاذع وهجاء محتد، وهذا الشكل الأخير هو الاكثر حضوراً، فهو يرشق الصفات الاكثر قساوة لاكثر العقائد الراسخة بقوة. فحسب رأيه انها باجمعها آثمة في المعنى نفسه، وتحتمل الرذائل ذاتها." [612] وفي نقده استخدم هيجو طريقتين: فتارة يهاجم جميع العقائد دفعة واحدة ، وتارة يهاجم الاخريات من خلال واحدة منها.

ولكن ماذا كان يرفض في بنود الدين هذه؟

بداية نقول ان مناصر الانسانية لم يقترب من المبادئ الاخلاقية لهذه العقائد؛ ولكن في ما يخص بنود الدين، رفض كل بند كان يراه خاطئاً وغير مفيد. فازدرى كل المعتقدات الباطلة التي ارتبطت بالاديان:

"*يالتعاسة القرآن الذي تطعنه الخرافة؛* " [613]

من ناحية اخرى، وفي الاطار الاجتماعي اتهم هيجو الاديان بممارسة جبروتها على المجتمع والانسان، فممثلي هذا الجبروت هم بالنسبة له دون شك

---

[611] شخاشيرو . المصدر السابق ص 171.

[612] المصدر السابق . ص 167 .

[613] الحمار. غضب الحيوان، III، كتبت عام 1858، ولكن نشرت عام 1880، بعد تنقيحها.

الرهبان، ويتوضح عداء الشاعر لهم من خلال الدور الذي انيط بهم في الانقلاب الذي ادى إلى نفي الشاعر.

وهكذا نستطيع ان نفهم قليلاً الموقف الحاقد للشاعر على كل الاديان المؤسسة. ورغم ذلك يضع هيجو تدرجاً للعقائد حسب قيمتها ومكانتها في فكره: حفظت المكانة الاولى إلى تلك التي ينبغي ان تعطي اكبر قدر من الحرية لمؤمنيها ومخلصيها. في سلم القيم هذا يحتل الاسلام مكانة عالية نوعاما ، فلا تتجاوزها سوى المسيحية:

"ايها الحالم، انا افضل الهندي الامريكي المتوحش

حيث ينتظر الرجل المرأة، وعلى الاقل هما شخصان في المجتمع،

وافضله على (مانيتو) الذي يعمل على ربط يدا الزنجي واقدام القرد

في عمق الغابات الكريهة،

وافضل دائرة دُلمن* على الهندي الامريكي ، وافضل السيرانج** على دائرة دلمن،

وافضل المعبد العبري الاظلم على سرانجة نهر النيل ؛

وافضل الجامع ذو القبة الزرقاء

والمنارة البيضاء في الفضاء البارد على المعبد ؛

وبما انه علينا الصعود دون توقف، فانا افضل

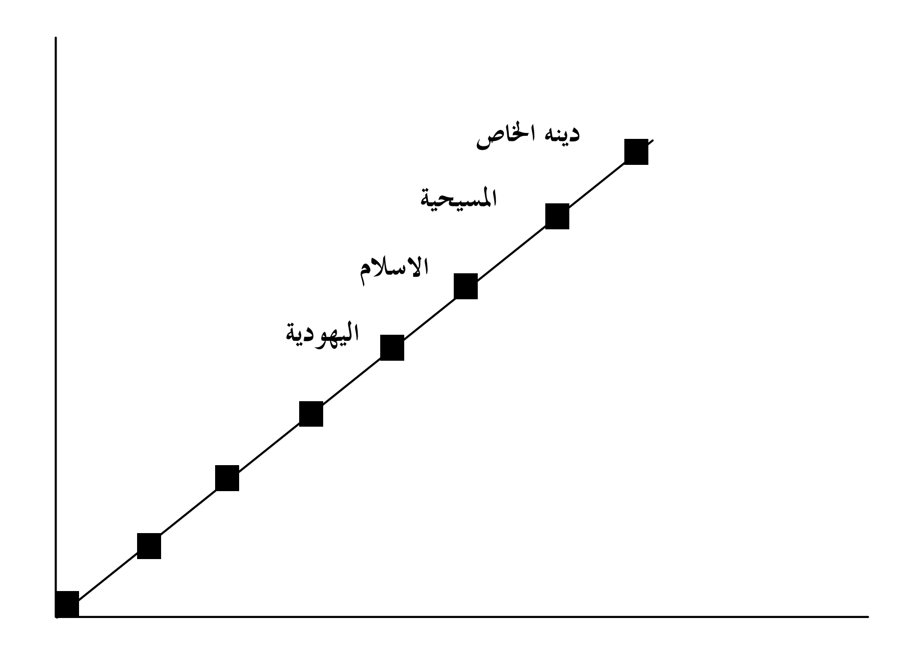
الكنيسة على الجامع، و افضل السماء الزرقاء (الصافية) على الكنيسة

614"

* احجار مرصوصة حول حجارة كبيرة.

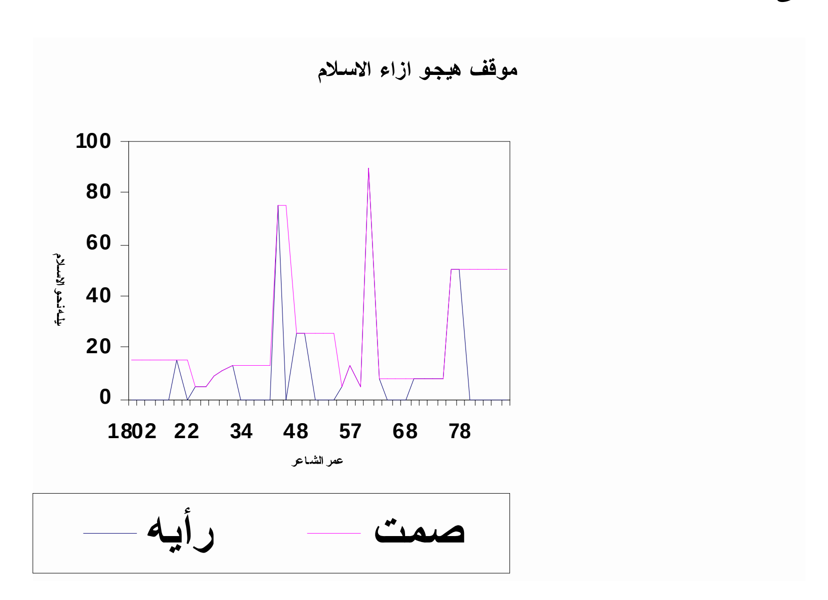
** اسم اعطاه اليونان لمدافن ملوك مصر تحت الارض.

وبعدم اخذنا سوى بالاديان الرئيسة، نستطيع ان نفهم موقف الشاعر منها بشكل افضل من خلال هذا المخطط.



[614] اديان ودين. 17، اصوات، 1870- 1880.

اذن يضع هيجو دينه الخاص على قمة كل الاديان المنزلة،.. فهو يفضل عليها تفكيره الحر الذي توصل اليه بعد سنوات طويلة من البحث والدراسة، ولكن ما هو تفكيره الحر الخ ص به؟ هذا ما سنناقشه في الصفحات الآتية. ولتوضيح اكثر لموقف الشاعر ازاء الاسلام في هذه اللمحة يمكننا استخلاص مخطط يبين تطور وجهة نظره عن الاسلام منذ بداية حياته حتى نهايتها. وكما نرى يسجل العام 1858 اعلى نسبة من الموقف المؤيد للاسلام . ويعود الفضل لهذا الموقف الى " السنة التاسعة للهجرة".



III/ التفكير الديني الهيجوي

من وجهة نظر اسلامية

تعقدت النظرة إلى ديانة فيكتور هيجو وتفكيره بعد الكثير من البحوث والدراسات والجهود المبذولة من قبل الباحثين الذين درسوا جميع اعماله. فقد قيل عنه تارة الهني (عابد الله وحده) وتارة حلولي (مفكر ان الله والطبيعة شيء واحد)، وتارة اخرى مقاوم الاكليروس. وقد درست ديانة الشاعر من وجهة نظر

يهودية[615]،كما درست من وجهة نظر مسيحية[616]. وقد يكون مفيداً ومهماً ان نتبع هذه الدراسات بتحليلنا للتفكير الهيجوي من وجهة نظر اسلامية. سنحاول بتواضع فك رموز عناصر هذا التفكير:

كان طفلاً بلا تعميد ، بلا ثقافة دينية بلا انتساب لأي دين، وقد استطاع تحت هذا التأثير التقرب من جميع الاديان المختلفة دون تعصب او تشيع لدين محدد. فقد عرف التوراة واعجب بها؛ وفي سنوات العشرين صرح بانه كاثوليكي بسبب زواجه من ناحية، وبسبب مصالح مهنته من ناحية اخرى " [617]، ولم يعرف الاسلام بشكل جدي الا في عام 1846، عندما كان يبحث عن اجوبة حول معنى القدر والمصير في الفلسفات الاجنبية. ومنذ ذلك الحين لم نعد نفهم انتماءه لأي جهة. ففي مكان ما من شعره ، نراه يمتدح ويزهو لدين ما، واذا به ينتقده ويهجوه بشدة في مكان آخر[618]. ولا يأتي هذا على الاديان المنزلة حسب، وانما على كل المؤسسات والعقائد الدينية. وقد لا تصل إلى تمييز فكرة ثابتة عند الشاعر حول نظام ديني معين. نقول انه رفض كل دين، أو انه اخذ من كل واحد فكرة ليشكل دينه الخاص.

بعد عامين من الدراسة حول التفكير الهيجوي كشاعر، توصلنا إلى اعتقاد معين ، نجهل مدى خطأه من صوابه، نميل إلى الاعتقاد ان التفكير الهيجوي لا يعارض روح الاسلام ؛ واذا كان بامكاننا القول فهو يمثله، ولكن ان كان هيجو لا

---

[615] انظر الاب كلوديوس كريية **Claudius Grilet**. التوراة عند فيكتور هيجو. ليون، دار فيت**1910**، نقلاً عن كلود جيلي. هيجو وثروته الادبية. المصدر السابق. ص**177**.

[616] دونالد بوشنان. الاحاسيس الدينية لفيكتور هيجو. المصدر السابق.

[617] هنري كويمان. هيجو. المصدر السابق. ص**65**.

[618] حول هذه النطقة يقول بيير كامارا: [نجد كل شيء عند فيكتور هيجو، وحتى النقيض! وهذا لا يبرهن على البساطة وانما تعقد تفكيره واعماله. فهو مثلاً، وقد اكدنا غالباً ذلك، شاعر العلمانية وحتى من المدرسة العلمانية والعهد القديم. للحديث عن تفكيره الديني نقول مع جان روسلو **Roasselot Jean**، انه ليس بالسهولة التي يبدو عليه: "الم يحلم.. بوساطة المسيح وبهذا الاجتماع في اللغة السلتية مع المسيحية والاسلامية واليهودية.."] المصدر السابق. ص**11**.

يبدي أي تعاطف مع الاسلام حتى نهاية حياته فهذا مرده إلى (الدوكماتية) التي وصم بعض المستشرقين الاسلام بها في كتاباتهم، مخفين بذلك الوجه الحقيقي للاسلام. ولا ننسى من ناحية اخرى بان مصدر الاديان بما انه واحد، فروح الاسلام هو في الحقيقة روح الاديان المنزلة جميعاً من الله. هذه الروح هي اساس الحقيقة التي يرغب الوصول اليها الباحثين بعد تفكير ناضج ودراسات عميقة.

وعند تفحصنا لمسيحية فيكتور هيجو نرى انه عند قبوله لبعض مبادئها، فانه يرفض أخرى، كما فعل مع باقي الاديان. انه يتحامل على الرهبان الذين يتهمهم بخيانة تعاليم المسيح(ع). ففي سنواته الاخيرة لم يبرح ينتقد "تصرفاتهم السيئة". وهو يؤمن ان المسيح (ع) يقاسمه رأيه؛ ويتصوره مطالباً باعدام الرهبان.[619]

صوب هيجو اهتمامه ضد الاستبداد الذي مارسته الاديان على المجتمع والانسان، وهو يؤكد بقوة على هذه النقطة. فالرهبان بالنسبة له هم ممثلو هذا الاستبداد، لذا فعليهم تقع الملامة الشديدة. وقد يتوجب البحث عن اصل هذا العداء في الانقلاب الذي اثار نفي الشاعر[620]، وفي ديوان *البابا*، اعطى لنا هيجو صفات البابا النموذجي عنده، فهو يفضله فقيراً، صادقاً، متواضعاً اخوياً، ومسالماً.

لهذه الاسباب ولاسباب اخرى من بينها اعادة تقييمه المنطقي للاديان حسب وجهة نظره، انجر المفكر هيجو بطريقة او باخرى، الى تغيير رأيه في بعض المبادئ الاساسية للمسيحية. بداية: "لم يؤمن بالثالوث، يحترم عيسى (ع) ويحبه، ولكن هذا لا يعني انه يرى فيه اكثر من كونه اول الناس فوق مستوى

---

[619] انظر الفن ان تكون جداً، **XVIII,IV**، **1874.**

[620] حول هذه النقطة ينقل لنا جورج بونفيل رأي هنري كويمان القائل: **"**لم تكن الكنيسة تحت الامبراطورية مدرجة مع السلطة إلى هذه الدرجة ، ولو لم تربط قضيتها بقضية الاثرياء وذوو الامتياز، اي لو كانت منفتحة اكثر على التيارات الحديثة الكبيرة، لكان موقف هيجو غير ذلك**"** المصدر السابق. ص**241.** لتفاصيل اكثر حول القطيعة بين هيجو والكنيسة، انظر هنري كويمان. هيجو. المصدر السابق. ص**67 -70.**

البشر"[621] ، ويعود ذلك كما يقول جوسوا، الى ان "الفكرة اللاهوتية لرجل على صورة الله غير مألوفة لديه.. ومسألة تجسيد الله في وجود انساني امر كريه بالنسبة له." [622] ومع ذلك فهو يرى بان هذا الخطأ لا يعود إلى المسيحيين، ولكن إلى المسيح (ع) نفسه "الذي اراد ان يُسمى إلها".

"*ولكن خطأ المسيح هو ان يكون نوعاما الهاً.*" [623]

على انه حسب التفكير الاسلامي نجد ان المسيحيين هم الذين الَّهوا نبي المسيحية وليس النبي ذاته، فيقول القران الكريم : " واذ قال الله ياعيسى ابن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم مافي نفسك انك انت علام الغيوب. ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيئ شهيد"[624].

ان نظرة الشاعر هذه إلى شخصية السيد المسيح (ع) ليست بعيدة في الحقيقة عن المسيحية، فهناك مذاهب مسيحية تميل إلى الاعتقاد بها[625].

كذلك نرى هيجو يرفض مفردات "الاب" و"الابن" في العلاقة بين الله ورسوله، فالله كما يراه هيجو غير مرئي ومطلق، "ليس كمثله شيء"[626] إله اكثر

---

[621] نقلاً عن كلود جيلي. هيجو وثروته الادبية. المصدر السابق. ص**156**.

[622] جون بيير جوسوا. المصدر السابق. ص**61**.

[623] السنة المرعبة. يوليو، **I**، **1871**.

[624] القرآن الكريم. سورة المائدة ، الآيات **116 - 117**.

[625] بالنسبة للبروتستانت بشكل خاص بدأت نظرة تأليه المسيح بالتراجع، حتى اصبح مثالاً للاحكام الاخلاقية الحسنة، مثالا جيداً للاتباع في محبة الآخر وتفضيله ، مثالاً للرحمة والعطف، مثالاً حسناً للاتباع سواء كان وجوده التاريخي حقيقة ام وهماً، وقد لاحظنا قيمة المبادئ المسيحية الانسانية التي لا يمكن انكارها طوال القرون." مراد هوفمان. المصدر السابق. ص**57**. وهناك طائفة مسيحية صغيرة الحجم لا تؤمن بالتثليث وانما تؤمن بوحدانية الله تعلى وهم اليعاقبة في فلسطين.

رحمة من صفة الابوي. ففي قصيدة "*إلى الاسقف الذي دعاني ملحداً*" يقول هيجو كلمته الاخيرة عن الله حيث يذهب إلى عدم ربط أي شيء بعقيدة الوحدانية:

"وليس له ولد، مع امتلاكه ابوة اكثر ...

والذي لعدم وجود اسم عظيم اسميه الهاً" [627]

حول هذه النقطة ربما لم يذهب جوسوا بعيداً عن الحقيقية عندما حلل ان "هيجو وهو الذي لديه عاطفة الابوة القوية، لم يجعل من إلهه نوعاً من الاب السماوي الخالد؛ تأتي الكلمة غالباً، ولكن نادراً ما تحتمل معنى دينياً". [628]

في الحقيقة عندما اعلن هيجو في هذه القصيدة ان ليس لله ولد، شعر ميشله Michelet بالقلق، وعندئذ اراد هيجو طمأنته فقال: ["فيما يخص كلمة الله هذه المطبقة على البشر، فلابد انك تشعر باعماقك في أي معنى استخدمها"، وقد كتب بوضوح: "المسيح (ع) بالنسبة لنا ليس الله ابداً؛ انه اكثر؛ انه الانسان." ولكن هذا البيت كما يقول كويمان، والذي يحوي نفياً قاطعاً لالوهية عيسى(ع) والذي سبق ان وضعه في مقطع شعري لقصيدة "*كل الماضي وكل المستقبل*"، كان قد عاد وحذفه، شاطباً على المقطع باكمله في مسوداته.][629].

ولاخلاصه لهذه الافكار التي جاءت بعد عداءه للرهبان، فقد دفن افراد عائلته (شارل 1871، فرنسوا 1873) مدنياً، دون صليب او راهب. ومنذ السادس والعشرين من يوليو 1860، حرر هيجو هذه الوصية المعلنة: "*لا يحضر أي راهب مراسيم دفني*" [630]، كما لو كان يعرف ان الله وحده سيحضرها. وقد اكد ذلك في

---

[626] اوراق الخريف. **XXXVII,VI**، يونيو، **1830.**

[627] السنة المرعبة. نوفمبر، **IX**، **1871.**

[628] ج. بيير جوسوا. المصدر السابق. ص**98.**

[629] هنري كويمان. هيجو. المصدر السابق. ص**75.**

[630] المصدر السابق. ص**65.**

الثاني من ابريل 1883: "*ارفض مراسيم الكنائس جميعاً*."[631] والى ايامه الاخيرة بقي ثابتاً في قراره بابعاد الرهبان عن فراش موته،[632] وانتهى الى القول: "*اطلب صلاة للارواح جميعاً . اؤمن بالله*."[633] وبسبب هذه الافكار قيل عنه بانه "مقاوم للاكليروس"[634] او انه "المسيح الدجال"[635]. صحيفة *الصليب* وقد اكتفت بالقول في اليوم التالي لوفاته بانه "كان مجنوناً منذ اكثر من ثلاثين عاماً"[636] .

صحيح ان هيجو مات دون رهبان ودون صلوات، ودون اعتراف او تناول قربان؛ مسببا استنكار الكاثوليك؛ ولكننا نميل إلى مشاطرة رأي احد الصحفيين، وهو بول لافارك Paul Lafargre الذي كتب في *المجلة الاجتماعية* عام 1891: "لكن المعتدلين في ايمانهم لم يوجهوا له تهمة الالحاد كالاخرين."[637]، لا بل ان تفكيره حول بعض الموضوعات اللاهوتية لا تتعارض ابداً مع ثوابت التفكير الاسلامي.

والآن، باتباعنا افكاره اللاهوتية، هل كان هيجو مسيحياً؟ ومن أي مذهب؟

احد الباحثين وهو شارل لوكور Charles Lecoeur وعند تأكيده الفكرة اضاف: [كان مسيحياً بالتأكيد، لكن عملياً اقل شبهاً لديانة القديس بيير او القديس بولص ، واكثر قربا إلى ديانة النبي محمد، فهو مع ايمانه اجمالاً "بابن مريم (ع) " بالولادة المعجزة، وما كان يؤمن به القديس بيير والقديس بولص، الا انه كان يفضل مع ذلك عدم المساس بعقيدة الوحدانية.][638].

---

[631] المصدر نفسه.

[632] انظر ضريح فيكتور هيجو. المصدر السابق. ص29، 106.

[633] هنري كويمان. المصدر السابق.

[634] انظر جورج بانفيل. المصدر السابق، ص241.

[635] انظر الفن ان تكون جداً، V,II، 1874.

[636] نقلاً عن ترستيان لوكاي. المصدر السابق. ص562.

[637] نقلاً عن ضريح فيكتور هيجو. المصدر السابق. ص134.

[638] شارل لوكور. الفلسفة الدينية لفيتور هيجو. مدينة دول (جورا)، دار بورداس 1951. ص23.

وبعيداً عن رأيه في الصفة التاريخية للمسيح عليه السلام، كان لهيجو الحنين إلى المسيحية: فاحسانه للفقراء والمضطهدين كما روجها في *اسطورة القرون*، جاء من الفكر المسيحي؛ ولكن لنضف في ذات الوقت بان رحمته الكبيرة تبدو وقد تجاوزت رحمة السيد المسيح (ع):

"*كنت سانقذ يهودا لو كنت المسيح عيسى.* "[639]

ومع ذلك هناك من بين الباحثين من رفض الاجابة على السؤال المطروح اعلاه،[640] وكان هناك من على العكس انكر الفكرة: "في الحقيقة، يقول بارييرِ، هيجو لم يكن مسيحياً، ولكن حياته الدينية عكست شيئاً آخر اكثر من تأليه (الهانية) فولتيري." [641]

تأليه ، نعم! ولكن أي نوع من تأليه[642] الذي يستحب الباحثون دائماً ان ينسبوه إلى دينه؟ "كان الشاعر الهانياً، يقول بونفيل، هذا هو الشيء الوحيد الذي نستطيع تأكيده؛ انه يؤمن بالله وبالروح الخالدة"[643]، ولكن ما هو هذا الإله، اين تذهب ومن اين تأتي الروح الانسانية؟ هل حاول حقيقة الاجابة عن ذلك كشاعر

---

[639] السنة المرعبة، ابريل، V، **1871**.

[640] انظر: ج.ب. جوسوا، المصدر السابق، ص**38**.

[641] نقلاً عن كلود جيلي، هيجو وثروته الادبية، المصدر السابق.

[642] جاء التاليه من ايطاليا، ووصل فرنسا منذ القرن السادس عشر واستقر هناك.. تحدث ساموئيل كليرك **Samuel lerke** عن موضوع الالهانيين من حيث كونهم اربعة انواع: النوع الاول يميل إلى الاعتقاد بوجود إله خالد غير منتهي، مستقل، ذكي؛ مع انكار العناية الإلهية. والنوع الثاني يؤمن بالله والعناية الإلهية، ولكنه يحرص على ان الله لا يحاسب على الاعمال الحسنة او السيئة اخلاقياً الا في اقرار قوانين انسانية تحكمية . والنوع الثالث يؤمن بالله والعناية الإلهية والصفة الاخلاقية الواجبة، ولكن يرفض قبول خلود الروح والحياة الآخرة. وأخيراً هناك نوع رابع من الالهانيين الذين لديهم دائما افكاراً مقدسة وصحيحة عن الله وعن كل صفاته. وهم يفتخرون في الاعتقاد بوجود كائن وحيد خالد، غير منتهي، ذكي، قادر على كل شيء وحكيم في كل شيء، وحافظ البشر وملك ومالك الملك.. ، ويحتفظ الالهانيون.. بفكرة الارتباط بقانون، وهو قانون الطبيعة." بول هازارد. المصدر السابق. ص**259 - 262**، **264**.

[643] جورج بونفيل. المصدر السابق. ص**238**.

كما يقول الباحث؟ ربما. ومن ناحية اخرى هناك من لا يرى كون الشاعر كاثوليكياً ، وانما "روحانياً، الهانياً ومتديناً بعمق حد التصوف." [644]

في الحقيقة اذا قبلنا بفكرة ان هيجو كان الهانياً، نميل إلى رؤيته ضمن النوع الرابع؛ أي من يؤمن بالله، واهباً اياه كل الافكار الصحيحة والمقدسة التي تعظمه؛ وقد عبرت عن هذه الفكرة قصيدته "*إلى الاسقف الذي دعاني ملحداً*"[645] **، وحول هذه النقطة، فان "الهنية" هيجو لا تتعارض مع الاسلام في سيئ، لا بل ان الاسلام هو الذي يطالب بعبادة إله واحد احد، قادر على كل شيء بكل صفاته واسمائه.**[646]

وقد قيل عن هيجو ايضاً بانه حلولي*. ولكن علينا التمييز بداية بين الحلولية و[ما يسميه اللاهوت القديم "الحضور الشاسع"، مثولية الله في كل شيء بدون وهن لعلوه وعظمته وتبدله الجذري مقارنة مع أي كائن.] [647]**، لأننا نخشى من ان الباحثين الذين رأوا هيجو حلوليا**[648]**، ربما لم يجدوا تعبيرا اخر ليصفوا به الدلالات التي وجدوها هنا وهناك في شعره مما يربط وجود الله بالطبيعة، ويبدو لنا ان هيجو شعر بوجود الله من خلال الطبيعة؛ بمعنى آخر انه كان يشعر بعظمة الله الذي خلق الطبيعة والكون كله بهذا التناسق الذي لا مثيل له. وقد اعطينا لذلك الكثير من الامثلة. ومن هنا نعتقد ان هيجو، مهما قال "الله في كل شيء"، ابعد من ان يرى الطبيعة كصورة الله:**

---

[644] انظر ضريح فيكتور هيجو. المصدر السابق. ص**49**.

[645] السنة المرعبة. نوفمبر، **IX** ، **1871**.

[646] حسب العرف الاسلامي هناك **99** اسماً من اسماء الله الحسنى.

* مواضيع الحلولية (كل شيء هو الله) لا تبدو ملحدة الا عند عقيدة التوحيد، عندما ينظر الى الله كشخص فوق العادة، فوق البشر، يعرفه الناس من خلال الامر الذي يفرضه على خلقه، ومن خلال القانون الذي يفرضه على عباده، ومن خلال الوحي الذي يتزله على انبيائه، او من خلال التجسيد.

[647] جون بيير جوسوا. المصدر السابق، ص**30**.

[648] المصدر السابق. ص**88 - 89**؛ انظر ايضاً جورج بونفيل، المصدر السابق، ص**239**.

"نلاحظه في كل شيء دون لمسه في مكان؛" [649]

من جهة أخرى استند الباحثون الذين فكروا بان هيجو كان حلولياً على ابيات يمكن ان تحمل اكثر من معنى مجاز، لا يعرفه سوى الشاعر نفسه. حسب هذه الرؤية، لا يتعارض التفكير الهيجوي مع التفكير الاسلامي. لم يفتأ القرآن في دعوة الناس لتأمل الطبيعة لكي يشعروا من خلالها بعظمة الخالق، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: " قل انظروا ما في السماواة والارض وما تغن الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون".[650] "قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شيئ قدير"[651]

لنقل اجمالاً بان الافكار المطروحة اعلاه حول الشاعر ليست في الحقيقة سوى افكار الباحثين. على كل حال لا يمكننا ان نقرر فيما اذا كانت هذه الافكار صحيحة ام خاطئة، لأنها في النهاية تمثل وجهات نظر مختلفة، وليست وجهة نظر الشاعر الذي لخص اسلوب تفكيره في كلمتين: [في الحادي والثلاثين من مايو 1872، فقد مر عليه المكلفون بتعداد السكان في شارع لاروشفوكو، وسألوه: "كاثوليكي؟" فاجاب: "كلا! مفكر حر."] [652] **، ولكن ماذا يعني "مفكر حر"؟**

في الحقيقة، في ديوانه *اديان ودين* وهي فعلاً امتداد منطقي لاعماله السابقة، عبر عن نظريته الثابتة بايمانه بدين "سامٍ، كما يقول كامارا، بعيد عن المتطلبات التي لا قيمة ولا أهمية لها، وبعيد عن تفاصيل التعاليم والنوادر

---

[649] السنة المرعبة. المصدر السابق.

[650] انظر القرآن الكريم. سورة يونس، الآية **101**.

[651] سورة العنكبوت، الآية **20**.

[652] هنري كويمان. هيجو. المصدر السابق. ص**74**.

الطريفة." [653]وفي هذا الديوان، عندما انتقد الاديان، فضل عليها السماء الصافية كمعبد [654].

يتخيل هيجو هذه السماء الصافية بكونها واسعة وهادئة لا توجد فيها اضطرابات البتة، ولا فروض ولا رهبان ،الحاكم الوحيد فيها هو رحمة بلا حدود. ولكن لنسرع إلى القول انه اذا كان هيجو قد فضل تفكيره الحر خارج اطاركل دين منزل، وخارج اطار كل ارتباط بفلسفة معينة، نجده في الوقت ذاته يستخدمها جميعاً لاظهار نزعاته الفكرية، فعند تفحصنا للتفكير الديني الهيجوي، بامكاننا ان نجد فيها خليطاً من العقائد والفلسفات المختلفة.*

رغم صعوبة الحصول على نظام فكري عند هيجو، لكننا نجد عنده وضوحاً فكرياً قاده طوال حياته للبحث ليس عن وجود الله وانما عن صفته لأنه "متأكد من وجود الله اكثر مما متأكد من وجوده نفسه" [655]؛ كان هيجو يبحث بالاحرى عن وجه "هذا الكائن الخفي الذي يندفع اليه قلبه في الظلام." [656] مع ذلك فهو مؤمن بالله دون مقدرة على تعريفه:

"قولي لي فقط اسمه، ايتها الفجوات السماوية الحزينة،

كي استطيع ان اذكره مراراً في الليل إلى الابد ! ـ " [657]

وهو في النهاية يسميه "الإله"

"والذي لعدم وجود اسم عظيم، ادعوه الهاً،" [658]

---

[653] بيير كامارا. المصدر السابق. ص**234**.

[654] انظر ما عرضناه في ص**221**.

* لا نعتقد انه بمكان ان نبحث تأثير كل دين وكل فلسفة على التفكير الديني الهيجوي، خشية الابتعاد عن موضوعنا.

[655] هنري كويمان. هيجو. المصدر السابق. ص**70**.

[656] المصدر ذاته.

[657] الله. **I I,**، الفكر الانساني، **1856**.

تتلخص فكرة الله عنده بالآتي: "يوجد كائن نحن بين يديه ، نعلم بانه يرانا ويدعونا وسيحاسبنا؛ والذات الانسانية الابدية الناجية من الموت مسؤولة امام الله الذي خلقها والذي يبقى شاهداً عليها." [659] هذا الإله هو قبل كل شيء وحيد : فقد اكد هذه الفكرة بقوة طوال حياته، وقد اعطى لذلك البراهين من وحي فكره[660]، فهو ينكر من انه *يتعب* او *ينام*، انه ذلك الخفي، ذلك المطلق، ذلك الطيب، و*الحكيم*، الذي *لاولد له* والذي *ليس كمثله شيء* [661]، انه ذلك الاله الذي يصلي له دون توقف، قائلاً لاولاده الذين يبتسمون من صلاته: "انتم تعرفون باني مصلي"[662]. وقد قال عام 1867 لـــ م.بول ستابفير M.Paul Stapfer: "... لاتمر عليّ اربع ساعات متتالية دون صلاة ، انا اصلي بانتظام كل صباح وكل مساء. فاذا استيقظت ليلاً اصلي "[663] وهو يدعو الله ويصلي وخصوصاً في اللحظات العصيبة من حياته[664] ؛ وهو يصلي بطريقة تسميها ((دعاء الله))*. ويمدحه ويثق به لانه يشعر بان كل ماغير الله الى فناء، فيعطيه وحده الحق في سن القوانين:

"اذهب ! الله وحده يهتم بالناس ووحده يملي القانون":[665]

---

[658] السنة المرعبة. المصدر السابق.

[659] هنري كويمان، هيجو. المصدر السابق. ص72.

[660] انظر اسطورة القرون. VIو IV 1875.

[661] انظر اديان ودين. III 1870- 1880 : السنة المرعبة ، المصدر السابق .

[662] هنري كويمان. هيجو. المصدر السابق. ص 74.

[663] بول سوشون. المصدر السابق. ص 75.

[664] انظر السنة المرعبة. مايو V "ليلة في بروكسل" 1871.

* يقدم لنا بول سوشون نص الصلاة المعتادة للشاعر، من خلال رسالة عند جولييت دروية . هاهي : ((يارب ، دعنا نعيش معاً إلى الابد، سامحها وسامحني، سامحني عليها، لاتفقدني اياها في أي يوم من ايام حياتي وفي أي لحظة من لحظات خلودي، اجعلني مفيداً وصالحاً إلى الابد في هذه الحياة الدنيا وفي الاخرة، ومحبوبا منها. احفظنا وحسِّن خلقنا ولا تفرقنا!)) المصدر السابق .

[665] السنوات المشؤومة. LVIII 1870.

سيكون ممتعاً ان نقرب هنا افكار الشاعر مع الاسلام ، لانه في القانون الاسلامي القرآن الموحى من الله هو الحاكم الوحيد. في الحقيقة كان لهيجو دائما افكاراً يمكن مقارنتها او تقريبها لافكار الاسلام وخصوصا فيما يتعلق بالله .فاله فيكتور هيجو هو مالم تقدمه لنا المسيحية بشكل مقنع[666] كما يقول بيير برونيل Pierne Brunel :

"اله بلا تعليم مسيحي، اله بلا توراة ، اله

لا يتمسك به بقوة لا القديس لوقا ولا القديس مرقس

ولا القديس يوحنا ولا القديس متي، ومن خلال الاطراف الاربع،"[667]

اذن فبأمكاننا ان نوضح تشابها في هذا الصدد بين الفكر الهيجوي والفكر الاسلامي ، تشابها اكده بوضوح شارل لوكور[668] ، وبشكل غامض م رايموند القائل: " ولكن هذا الاله أهو اله المسيح ؟ نقول انه اقرب إلى ذلك الكائن بلا وجه في الاديان الروحية الاسيوية " [669]، لان هيجو كان يرفض كل ادراك يجعل من الله معبوداً وليس فكرةً، ولهذا كان يجادل كل مفهوم للشخصية الالهية [670] .

وعند تتبعنا ايمانه بالله، نجد ان هيجو كان مؤمناً ايضاً بالمعجزات، وبالملائكة والشياطين، وبظواهر اخرى. كان يؤمن بيوم القيامة ، في حتمية وجودنا ذات يوم امام الله ليحاسبنا على اقل عمل خير او شر قمنا به في الحياة الدنيا.

---

[666] بيير برونيل. تاريخ الادب الفرنسي، القرن التاسع عشر والعشرون. باريس ، دار بورداس **1986**. ص **428**.

[667] اديان ودين. **III 1870 -1880**.

[668] انظر ما عرضناه في ص **227**.

[669] نقلاً عن ج. ب باريير. المصدر السابق. ص **145**.

[670] انظر عمر شخاشيرو. المصدر السابق. ص **171 -172**.

واخيرا قد يكون من المفيد ان نلاحظ ان قانوني الوضعية والعلمية هما نوعاما غير مستحبان له[671]، كذلك نجد استنكاره المعروف والثابت للالحاد والمادية. وكان يتحامل ايضاً على نظريات داروين[672]. ولاننسى ان القدر الانساني هو الذي ايقظ عند هيجو طموح الفلسفة. فمن خلال المسرات والمحزنات في حياته الخاصة، ومن خلال كل الاحداث التي حفلت بها مئة عام مفعمة بالمجد والكوارث والانقلابات، واخيراً من خلال مناظر الطبيعة، وتناسقها العالي التي فتحت للشاعر افاقا رحبه للتفكير، وايقظت عنده الطموح إلى الفلسفة، من خلال كل هذا تحول هيجو إلى مفكر[673].

في الحقيقة لو رأينا طريقة تفكير هيجو سيمكننا القول بانه ماكان يريد ان يختار بين القوالب الجاهزة للاديان، وانما كان يريد ان يكتشف قيمة كل دين بنفسه، فمضى حياته يدرسها ويتفحصها. وتوصل اخيراً إلى اكتشاف حقيقة الله غريزياً. فكل تفكيره الديني ليس في الحقيقة سوى ثمرة بحوثه الطويلة وقراءاته المتعددة. وتعود هذه النزعة الى فترة طفولته؛ فبفضل التربية القوية التي رسختها امه عنده منذ نعومة اضافره لم يتردد هيجو في قول اي شيء دون خوف من تأثير أي كتاب.

وحسب وجهة النظر الاسلامية يعتبر التفكير الهيجوي كما لو كان يعود إلى ديانة النبي ابراهيم (ع) ؛ فقد قال الشاعر:

"الهي ليس ملحداً ، ولامسيحياً ، ولاتوراتياً ؛"[674]

---

[671] انظر جورج بونفيل. المصدر السابق. ص **252.**

[672] المصدر السابق. ص **238** . ومن الجدير بالذكر ان الاسلام يتعارض مع نظريات داروين حول بداية خلق الانسان.

[673] انظر هنري كلوارد **Henri Clouard** . الانشاء الفرنسي المعد. باريس ، دار ديدية ، **1967**. ص **519.**

[674] رياح الفكر الاربع. الكتاب الهجائي **XXXIX 1874.**

وبهذا يقترب من الايات القرآنية التي يصف سبحانه في احداها التفكير الديني للنبي ابراهيم (ع) بقوله : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [675]، وفي آية اخرى يقول النبي : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [676].

وكذلك قال هيجو الموحد :

"اليه توجهت ... " [677]

ومن الجدير بالذكر ان النبي ابراهيم (ع) توصل إلى معرفة حقيقة الله بالغريزة، بعد ان تأمل الطبيعة المتكاملة التي تخفي في زواياها عظمة الخالق الواحد الاحد. فالقرآن يخبرنا بذلك : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ ﴾ [678]حول هذا الجانب بالتحديد أي اكتشاف حقيقة الله بالغريزة نستطيع مقارنة هيجو بالنبي ابراهيم (ع) .

وهكذا فنحن نشاطر رأي الباحث العربي روحي الخالدي؛ عندما حلل ولخص الفكر الهيجوي، معبراً عنه بنفس طريقة القرآن عند وصفه النبي ابراهيم عليه السلام، قائلا: "ولم يكن فيكتور هيجو يهوديا ولانصرانيا، وتبرأ من اصحاب هذين الدينين، وقال بأنهم اتخذوا دينهم لعباً ولهواً واوصى بعدم دفنه على سنن واحد منهما وبعدم حضور احد من رهبان النصارى ولا من احبار اليهود في جنازته، كما انه لم يكن يعرف حقيقة الدين الاسلامي، ولا امعن نظره في آيات القرآن لما قدمنا ذكره من الاسباب وهو عدم توسع دائرة المعارف الاسلامية في عصره، والذي ذكره في شعره من القرآن هو امثال قليلة نقلها عن غيره بدون ان يبحث

---

[675] سورة ال عمران. الآية **67.**

[676] سورة الانعام. الآية **79.**

[677] رياح الفكر الاربع. المصدر السابق.

[678] سورة الانعام. الآية **79.**

فيها بفكره، ومع ذلك ففيكتور هيجو موحد اعترف في كثير من اشعاره باعتقاده بالله وحسن رجائه باليوم الاخر واهتدى للتوحيد بنظره في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار كما اهتدى ابراهيم جد الانبياء عليه وعليهم السلام ..."[679].

في الحقيقة ولد هيجو وعاش وهو يعرف الله بالغريزة ، اذاً فقد احتفظ بفكرة حقيقة الله الواحد الاحد مثلما زرعها خالقه في قلبه[680].

وهنا نقول مرة اخرى ان ديانة هيجو تقترب من الاسلام، لان ديانة ابراهيم (ع) التي نميل إلى تشبيهها بديانة هيجو تعكس في الحقيقة روح الديانة الاسلامية، او انها تمثل جذور الفكر الاسلامي ، مثلما قالها الله تعالى في القرآن الكريم موجهاً الكلام إلى سيدنا محمد (ص) : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ... وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [681]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [682].

على افتراض ان لاشيء مؤكد ، نقول انه مهما حكمنا على التفكير الهيجوي، تبقى الحقيقة العظمى عند الله حسب ،كما يقول ذلك الشاعر نفسه :

"اجهل ذاتي، وحتى عن نفسي محجوب
الله وحده يعلم من انا وكيف ادعى " [683]

---

[679] روحي الخالدي. المصدر السابق. ص **279.**

[680] حسب ماجاء في القرآن وضع الله حقيقته في كل انسان حتى قبل ولادته. انظر سورة الاعراف، الاية **172.**

[681] سورة النمل. الاية **123.**

[682] سورة الحج ، اية **78.**

[683] البابا. لعنة وعقاب **1877.**

على كل حال، ولاننسى باننا امام شاعر وليس فيلسوف، فلا ننتظر منه افكاراً جلية او صيغاً مضبوطة. يكفي انه جلب لنا افكارا انسانية واحيانا لاهوتية حول دين نموذجي (حسب رأيه) هذا الدين الذي رغم احتجاجاته على الاديان، لايحوي ابداً افكارا سيئة، على الاقل بالنسبة للاسلام.

IV/ الجدل حول اعتناق فكتور هيجو الاسلام في اواخر ايامه

ويبدو من مصادر حديثة لم نطلع عليها سابقا انه اسلم في ايامه الاخيرة، فقد اذاعت احدى الفضائيات العربية مؤخراً برنامجا عن فكتور هيجو حين قالت فيه، "ويقال انه اسلم عام 1881"[684]

وبالعودة والبحث عن اصول هذا الرأي تبين ان مصادر هذه المعلومات هي مواقع الانترنت التي بدأت تتناقل انباءا حول احتمالية ان يكون هيجو قد اعتنق الاسلام قبل ثلاث سنوات من وفاته. اما مصادر واسباب هذه الانباء فكان لمقال كتبه الباحث السنغالي هاني ابراهيما الذي راسل ، حسب هذه المواقع، المركز الوطني للابحاث العلمية الفرنسي يسألهم فيها عن الديانة التي مات عليها الشاعر، لكنه لم يحصل على اجوبة منهم. كما ان المركز قام بحذف اشعار هيجو من موقعه على الانترنت، مما اثار شكوكا حول صحة اسلامه ، وخصوصا مع وجود عشرات الادلة التي تدعم هذه الحقيقة، ومنها ايمانه بالله الواحد الاحد ورفضه فكرة الاب والابن ، وكذلك فكرة الثالوث، علاوة على الابيات الجميلة التي كتبها عن الاسلام وابدى احترامه الكبير له ، ورفضه في وصيته لحضور اي رجل دين اثناء احتضاره وبعد موته، اضافة الى بعض التفاصيل الصغيرة في حياته، ومنها امتلاكه لسجادة في بيته وتمتمته احيانا، وصلواته الكثيرة، وتهيأته لمائدة طعام من اجل الفقراء والمساكين كل يوم اثنين، وتصدقه لهم، وولادته ووفاته الذي

---

[684] قناة الحرية الفضائية . برنامج اوراق، بتاريخ 9 اوغسطس 2008

صادف يوم الجمعة، كما ان هذه المواقع قد حددت التاريخ الذي اسلم فيه وبحضور رجل دين وتغيير اسمه لابي بكر هيجو...الخ وهذا هو النص كما نشر:

"المركز الوطني الفرنسي يحذف فيكتور هوجو من موقعه الإلكتروني

قام المركز الوطني للبحث العلمي –أكبر مؤسسة للبحث العلمي بفرنسا - بحذف جميع قصائد الشاعر فيكتور هوجو من موقعه الإلكتروني. مما يدعو للعجب - **حسب مقال للكاتب السينغالي هان إبراهيم الأستاذ بالمعهد العالي للتسيير التابع لجامعة دكار السينغالية - أن يقدم المركز الفرنسي على هذا الفعل في الوقت الذي افتتح فيه الموقع الالكتروني المذكور بمناسبة مرور قرنين على ميلاد أعظم وأروع شاعر عرفته فرنسا عبر العصور.**

أبو بكر هوجو أو فيكتور هوجو أبدع عدة قصائد إسلامية جميلة لم يكتب لها النشر في أي ديوان من دواوينه أو كتاب من كتبه المعروضة في المكتبات الفرنسية منذ قرن من الزمان، والتي أهدى بعضا منها إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وإلى صحابته الكرام رضي الله عنهم. وأضاف الكاتب السينغالي إبراهيم هان أن بعض القصائد التي نشرها المركز الفرنسي للبحث العلمي تعرضت للتحريف والتزوير في بعض الأبيات إذ حذفت منها مقاطع ووضعت أخرى مكانها سعيا وراء تشويه حقيقة إسلام فيكتور هوجو، ومن هذه الابيات المنسوبة للشاعر ولم يكتبها هذان البيتان من قصيدته المهداة إلى الى الرسول صلى الله عليه وسلم:

في بعض الأحيان كان يضع امرأة عارية
وينظر إليها، ثم يتأمل العارية.

وساق إبراهيم هان نماذج أخرى للاعتداءات الأدبية الخطيرة التي تعرض لها تراث أبي بكر هوجو شاعر فرنسا الكبير. ومن ثم طالب هذا الكاتب بحماية تراث

الشاعر خاصة قصائده وأبياته الإسلامية التي لم تنشر أبدا، والتي أوصى الشاعر ذاته بإهدائها إلى المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس. وقال الكاتب السينغالي"إن كل المخطوطات حول الإسلام التي كتبها هذا الشاعر ولم تنشر ينبغي من الآن فصاعدا ان تعتبر بمثابة ملك في التراث العالمي لكل الإنسانية، وينبغي المحافظة عليها حتى يطلع عليها العالم كله وعلى إبداعاته كلها التي تعرضت للإقصاء والتكتم منذ أكثر من قرن من الزمان". وقال الكاتب إنه وجه رسائل إلى الأكاديمية الفرنسية حول صحة إسلامية الشاعر هوجو غير أن المسؤولين الفرنسيين فضلوا السكوت واجتناب الحديث عن هذا الأمر.

أسلم فيكتور هوجو وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله يوم 6 شتنبر 1881 في منزله بباريس بحضور الشيخ إبراهيم من تلمسان الجزائرية. واتخذ فيكتور هوجو لنفسه اسما جديدا هو أبو بكر ومات اذن مسلما. ولكن الماسونيين الفرنسيين الذين كانوا يسيرون الجمهورية الثالثة نظموا له جنازة ماسونية ضخمة قرروا فيها محاولة إخفاء دينه الإسلامي.

وحضر الجنازة أكثر من مليون شخص وهو رقم قياسي إلى يومنا هذا في فرنسا. فيكتور هوجو رغم موته ما زال يستقطب الزوار في قبره إذ يزوره 8 من 10 زوار للمتحف الفرنسي" البانتيون."

الكنسية اعتبرته من جهتها رجلا مجنونا. فقد كتبت صحيفة لا كروا يوم 23 ماي 1885، أي بعد يومين* على وفاة الشاعر أبو بكر هوجو،"إنه كان مجنونا طيلة ثلاثين سنة".

ولد فيكتور هوجو يوم الجمعة 26 فبراير 1802 وأصيب بمرض الوفاة يوم 15 ماي وصعدت روحه إلى الرفيق الأعلى يوم الجمعة 22 ماي 1885. اختار اسم أبو بكر تيمنا واقتداء بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق، وقد كتب أبو بكر هوجو عن أبي بكر الصديق هذا المقطع في أكتوبر 1883

---

* يقصد في اليوم التالي لوفاته ، اذ انه توفي في **22** مايو **1885**

فقال :"لا أعرف اروع ولا أعظم في تاريخ الإنسانية من هذه الأقوال التي وجهها أبو بكر الصديق للمؤمنين: أيها المؤمنون، من كان يعبدا محمدا فأن، محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت."بالعودة إلى أشعار فيكتور هوجو سوف نكتشف أنه كان مسلما قبل أن ينطق بالشهادتين وقد استلهم هوجو بعض السور والآيات القرآنية مثل سورة الزلزلة التي تبدو معانيها وتركيبتها واضحة في هذه القصيدة التي سماها آية من القرآن وواضح أيضا إسلام هوجو في أشعاره حول الأنبياء والرسل الذين يجلهم جميعا ويحترمهم ويؤمن بهم، وهذا ما لا يفعله سوى المسلمون الذين يؤمنون بقوله تعالى"لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون."

وإذا كان شاعر فرنسا العظيم قد اختار الإسلام عن طواعية واختيار ومحبة وتعلق، فإن على فرنسا أن تكشف عن تراث الشاعر كله خاصة آلاف الأبيات الجميلة عن الإسلام، وأن ترد الشاعر إلى إسلامه الذيى تعرض للاختطاف والإخفاء مدة طويلة من الزمن فالقرآن يقول (لا إكراه في الدين) والديمقراطية الفرنسية تعترف بحرية المعتقد وحرية الإيمان وتجعل الدولة الفرنسية راعية للمعتقدات ضامنة لحرياتها.

يذكر أن شعراء غربيين آخرين تعرضوا للمعاملة ذاتها مثل الشاعر الألماني غوته والشاعران الفرنسيان الآخران رامبو ولامارتين.

عن حسن السرات رئيس تحرير جريدة التجديد (الرباط المغرب)"[685]

وقد علق احد الكتاب ويدعى ابو عبد المعز قائلا:

"والأهم في المسألة أن- C.N.R.S أي المركز الوطني للأبحاث العلمية الفرنسي - قد تستر عن سبق إصرار على العقيدة التي مات عليها الشاعر الفرنسي...كما

---

[685] http://www.baitona.net/forum/ انظر ايضا
http://www.shattalarab.com/vb/shatt23893.html

أبدى بعض المتتبعين للمسالة استغرابه لإقدام المركز المذكور علـى حـذف كـل قصـائد "هيغـو" -الإسـلامية وغيرهـا - مـن موقعـه علـى الشـبكة http://www.atilf.fr/ .....
وقد تأكدت من ذلك بنفسي فالموقع عند البحث فيه عن "هيغـو" يظهـر عنـوان: الاحتفال بسنة فيكتور هيغو.....لكن الرابط عاطل يشير إلى أن الصفحة مفقودة.... والمحير حقا هو أن هذا الموقع قد أطلق بمناسبة المائة الثانية لمـيلاد الشـاعر الفرنسي .....وقد أبدى الموقع قصائد "إسلامية " لهيغـو غيـر موجـودة فـي الطبعات المتكررة لديوان: أسـطورة القـرون.la Légende des siècles وقـد أهداها هيغو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عـنهم....ثـم فجأة حذفت هذه القصائد بل حذف معها كل القصائد الأخرى....ويرى المتتبعـون أن هذا الحذف تزامن مع إعلان الصحافة السنغالية عن إسلام أبـي بكـر هيغـو (فيكتور هيغو سابقا).فجاء الحذف للتعتيم على عقيدة الشاعر التي مات عليها.
ولا بد من الإشارة الى ان تلك القصائد المنشورة -قبل أن تلغى -قد لعبـت فيهـا الأيدي الأثيمة فأضافت أبيات شيطانية وأدمجتها في نسيج القصيدة لكن العـارفين بأسلوب هيغو يدركون التزوير بسهولة....وحتى غير العارف يدرك نشـاز تلـك الأبيات وعدم انسجامها مع الروح التمجيدية العالية المنبعثة من القصيدة المهداة إلى خير البشر .
والمتأمل لقصيدة هيغو المعنونة "السنة التاسعة للهجرة" سيجد فيها حقائق دقيقـة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل هذا المشهد الختامي -وكـأن هيغـو ينقله من صحيح البخاري-"[686]

وقد ردت احدى المواقع التي يبدو انها معادية للاسلام *على كل هذه الاحتمـالات والادلة قائلة :

---

http://www.tafsir.net/vb/archive/index.php?t-4167.html [686]

Coranix.com *

1 - "ما كان هيجو يقوم بطرد الجن والارواح الشريرة ، وانما كان يشتغل بالروحانيات كحال كل المثقفين في وقته، وكان ذلك من باب الموضة

2 - ما كان هيجو يتلو سورة الفاتحة ، وانما كان يفكر احيانا بصوت عال كأي شخص اخر.

3 - كان لدى هيجو سجاد كما لكل الناس ، وربما كان فيه هيأة نقوش عربية (وهو ما زال يحتاج الى اثبات)، وربما كانت سجادة "صلاة"(الامر الذي يحتاج ايضا الى اثبات) ولكن هيجو كان يستخدمه لحماية القدمين عند توجهه سيرا في الجوارب (او بدون جوارب) وليس لاداء صلاة المسلمين ، لانه لم يكن مسلما.

4 - لايوجد اي ذكر للمسألة على قبر هيجو في البانتيون بانه كان مسلما، لانه لم يكن مسلما ابدا.

5 - لايمكن تسليم المخطوطات الاسلامية لفكتور هيجو الى منظمة الايسسكو (اليونسكو الاسلامية) لعدم وجود اية مخطوطات اسلامية لهيجو!

6 - لم يكن هدف فكتور هيجو ابدا بناء وتكوين تاريخ الخلفاء الاربع للاسلام، لان هيجو كان عبقرية مبتكرة، وليس خادما للمجمع الاسلامي.

7 - كان لهيجو احلاما شأنه شأن كل الناس، ولكن لم تكن لديه رؤى عن النبي محمد.

8 - لم يخف جاك شيراك ولا اي شخص اخر المخطوطات الاسلامية لفكتور هيجو.

9 - لم يغير فكتور هيجو اسمه ابدا الى "ابو بكر هيجو، الاسم المستعار لهيجو)

10 - من الصحيح ان هيجو ولد يوم الجمعة ، وداهمه المرض يوم الجمعة، ومات يوم الجمعة، ولكن ذلك لا يجعل منه مسلما.وليس ذلك باعجاز، فايام الاسبوع سبعة وهذا يعني ان هناك 7/1 ممن يولدون يوم الجمعة، و7/1 ممن

يمرضون يوم الجمعة، و7/1 ممن يموتون يوم الجمعة، واذن فان هنالك شخص واحد من اصل 343 شخصا ممن يولدون ويمرضون ويموتون يوم الجمعة اي 7/1 7/1 7/1 المجموع 343/1، ومن بين 60 مليون فرنسي هناك اذن 174927 شخصا في حالة مشابهة لحالة فكتور هيجو ، اذن ليس في الامر اي شيء غير عادي."[687]

اما نحن فنقول اننا درسنا كل المؤلفات الشعرية لهيجو ، وكانت حقيقة تنتابنا الدهشة عندما نجد عنده تناقضا في فكرة ما حول نفس الموضوع ، فنجده تارة يهجوه وتارة يبجله، فكان يصعب علينا احيانا الخروج بفكرة واضحة حول رأيه بالاسلام ، وكنا مع ذلك نجد التبرير لهذا الهجاء عندما كنا نربطه بقانون الاعدام الذي حاربه بشدة طوال حياته والذي اقره القران الكريم في حدود معروفة للجميع، فيقول الله تعالى في كتابه الكريم "ولا تقتلوا النفس التي حرمها الله الا بالحق.."[688] والذي مع ذلك فضل عيه العفو والتسامح، فيقول ايضا "وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين"[689]

الا ان الملاحظ في ابيات هيجو فعلا كونها غريبة على الفكرة العامة وان وجدنا لها تبريرا، ولكننا مع ذلك اوضحنا حقيقة انه ، بعيداً عن الاشارات الصريحة المتناقضة احيانا عن الاسلام ، وسواء كان الشاعر اعلن اسلامه ام لم يعلن، وسواء كانت هناك ادلة (ملموسة ام غير ملموسة) على ذلك ام لم تكن، وسواء اخفوا ابياتا من شعره ام لم يخفوا، وسواء ان اخفوا حقيقة اسلامه ام انكروها، وسواء كان كل هذا حقيقة ام من نسج الخيال، واخيرا سواء رغبنا بهذا ام لم نرغب، نقول رغم كل هذا وحسب ما درسنا كل دواوين شعره البالغة اثنان وعشرون ديوانا، وهو كل ماوصلنا من اعماله الشعرية، فاننا نقول عن يقين انه

---

[687] http://www.tafsir.net/vb/archive/index.php?t-4167.html

[688] سورة الانعام ، الاية 151. وسورة الاسراء ، الاية 33.

[689] سورة الشورى ، الاية 40

يمكن اعتبار الشاعر فيكتور هيجو مسلما بالمفهوم الصحيح للاسلام، اي بـــالفكرة العامة عن الاسلام وهي عقيدة التوحيد والايمان بالانبياء وبالرسل واقام الصـــلام وايتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا هو جوهر الاسلام فـــي كل زمان ومكان. ولنترك هذا الجدل، فهذه الحقيقة هي فقط في علـــم الله العلـــيم الخبير القائل " ...هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة فـــي بطـــون امهاتكم، فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى"[690]. اما عـــن اســـلامه العلنـــي او السري فاعتقد انه كان المآل الطبيعي لفكره عن الاسلام الذي تطور بـــين فتـــرة واخرى حتى وصل الى القمة في ديوانه اسطرون القرون. وكنت اســـتغرب تلـــك الابيات التي وصلت على لسانه عن الاسلام ونبيه العظيم والتي كنـــت ولـــذلك لا استبعد وجود ايد خفية ارادت تلك الابيات ان تبعد اسلامه عن الانظار، واعتقد ان ما كشف مؤخرا هو اقرب للصحة حتى اننا لمسنا في الردود التـــي اكـــدت عـــدم اسلاميته انها متهافتة لا تصمد امام حقيقة معتقدات هيجو المتطورة من حالة دنيا الى حالة عليا فليس من المعقول ان ينكص على عقبيه ومن هنا فاننا بحاجة الى استجلاء ظروف حياته في ايامه الاخيرة ، اذ ليس من المعقول ان يكون قد انقطع نهائيا عن الكتابة او انه بعد اسلامه لم يقل شيئا جديدا عن اسلامه وعن النبـــي محمد (ص) واصحابه الكرام (رض) ، واذا كان هنالك من اخفى اوراقه وشـــعره لغاية في نفسه فان ذلك العمل لا يخدم الحقيقة باي شكل من الاشكال او باي وجه من الوجوه، لان عظمة هيجو في اشعاره الرائعة التي خلدته وفي ايمانه العميـــق بالانسانية وحبه لفرنسا وطننا وشعبا عاش فيها وشب وترعرع وكتـــب وصـــال وجال في السياسة ولقي عذابات النفي ولكنه صمد مدافعا عن الحـــق والانســـان حتى وفاته، والاسلام كما هو معروف دين سماوي مستجيب لكل دواعـــي الالفـــة والمحبة والخير للبشر وهو لا يجرد الانسان من حبه لوطنه وامته ، وبالتالي فهو لا يجرد هيجو من فرنسيته.

---

[690] سورة النجم ، الاية **32.**

الخاتمة

كانت حياة هيجو في كل شعره عبارة عن صراع ضد الشر من اجل انتصار مبادئ الخير والحق. فقد استعلم عن كل فكرة انسانية، في كل مكان حيث وجدت. ولكي نفهم موقف الشاعر ازاء الاسلام سيكون مفيدا تأكيد شيء مهم، فلكونه شاعراً رومانسياً، فقد توجب عليه ان يكون ملتقى لكل الظروف والاحداث التي قامت في قرن فاض بالمجد والمصائب والانقلابات ، فاض بحياة مفعمة بالفرحة، وبالحزن، وبالالم وبالتعاسة، فمثلاً الحرب التركية اليونانية هي التي اخفت الوجه الحقيقي للاسلام في شبابه، كما ان مشاكله الداخلية ثم طموحه في معرفة القدر هو الذي دفع به إلى الاهتمام قليلاً بالاسلام في سنوات نضجه؛ وفي النهاية كانت وحدته في المنفى هي التي هيأت الفرصة لكي يقرأ بعض الكتب الموضوعية التي غيرت رأيه نحو مراعاة الاسلام في سنواته الخمسين .

في الحقيقة مهما وجدنا بين طيات شعره تناقضا في رأيه ازاء الاسلام، الا ان هيجو اعطى لنا في النهاية وجهة نظره النهائية : وهي معارضته لجميع الاديان بما فيها الاسلام، فحسب رأيه انها لاتعطي لله قيمته الحقيقية ولاتفهم دورها الذي اراده الله لها. فقد ترك هيجو كل هذا، واتخذ لنفسه فكرة دينية خاصة به. وعلى ضوء الدراسات والبحوث التي اجريت في هذا المضمار، نلاحظ انه اذا كان هذا التفكير يتعارض مع المسيحية بارائه اللاهوتية الرئيسة ، فانه لايتعارض مطلقا مع الاسلام سوى في مبدأ الغاء عقوبة الاعدام.

من جهة اخرى فقد اكتشفنا تقاربا بين الفكر الهيجوي والفكر الاسلامي حول افكاراً لاهوتية وغيبية متعددة، في مقدمتها صفة الله الواحد الاحد الذي امن به هيجو دائماً، وافكاراً مذكورة في القرآن تشير إلى عظمة الله وقدرته على كل شيء، وتفاصيل عن الموت وعن يوم الحساب وجدت صداها في شعر هيجو.

ولايمكننا ابعاد تأثير المصادر الاسلامية حول فكر الشاعر في هذا الصدد . ولكن الامر الحقيقي ان هناك تقارباً بين الفكرين.

وقد نتسائل لماذا لم يقدّر هيجو الاسلام رغم نقاط التوافق بين الفكرين؟ يعود ذلك الى ان الشاعر، كما يبدو، رفض مجادلة كل فكرة تقترب من التعصب، من الدوكماتية، من الافكار البربرية كما رسمها بعض المستشرقين حول الاسلام والمسلمين؛ اضافة إلى هذا عدم كفاية الرغبة عند الشاعر لفهم الاسلام بعمق، وقد يعود هذا إلى ان هيجو تعب من دراسة الاديان والانظمة الدينية المختلفة ليفترض اخيرا عدم وجود شيء في الاسلام.

كما يجب ان لاننسى ايضاً حقيقة اننا كنا في القرن التاسع عشر، في عصر لم تنتشر فيه بعد الدراسات والبحوث التي تعرف العالم بجوهر العقيدة الاسلامية وتوضح وجهه الحقيقي بشكل كاف إلى الدرجة التي نلوم فيها هيجو عدم كفاية معلوماته عن الاسلام، والا لكان موقف الشاعر مختلفاً. فقد لاحظنا كيف ان كتاباً موضوعياً واحداً* غيَّر موقف الشاعر نحو اعادة الاعتبار للاسلام، عندما كتب قصيدة مؤثرة جداً حول وفاة النبي محمد (ص)، هذه القصيدة التي مهما اختلفت مواقف الشاعر ازاء الاسلام، تبقى افضل قصيدة الفها الشاعر حول الديانة المحمدية، وشاهداً حياً يدلل التأثير الذي مارسه الاسلام في لحظة معينة عند اكبر شاعر في فرنسا.

واذا كان صحيحا ما قيل انه اسلم فهو امر طبيعي في فهمه للاديان ونقده لها وايمانه بالاسلام مع وجود تناقضات لديه حوله، فقد تغلب اخيره على شكوكه واسلم.

---

* بواتييه . " الكتب المقدسة للشرق " التي اوحت لهيجو كتابة " السنة التاسعة للهجرة".

المراجع

I/ المراجع العربية

الكتب المقدسة

1 - القرآن الكريم . مؤسسة العلوم للقرآن ، دمشق 1978.

2 - Le Koran. Traduit par Savary (M). Paris, éd.Garnier Frères (sans date)

3 - الانجيل ، كتاب الحياة، لانت LBI 1982 .

4 - الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، مترجم. دار الكتاب في الشرق الاوسط 1995.

الكتب العربية عن هيجو

1 - جورج زيد. *فيكتور هيجو حياته وآثاره*. القاهرة، دار المعارف 1959.

2 - فيكتور هيجو. *رسائل واحاديث من المنفى*، ترجمة احمد رضا محمد رضا. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

3 - هنري غويمان. *فيكتور هيجو بقلمه*، تعريب سلام فاخوري. بيروت، المنشورات العربية 1966.

4 - هنري غويمان. *فيكتور هيجو* ، ترجمة وتلخيص فرنسوا سركيس. بيروت، دار بيروت للنشر 1956.

5 - هنري غويمان. هيجو ، ترجمة طونيوس فاجالي. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1875.

<u>الكتب العربية العامة</u>

1 - **روحي الخالدي : *تاريخ العرب عند الافرنج والعرب وفيكتور هيجو*. القاهرة، دار الهلال 1912.**

2 - **روحي الخالدي : *تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب وفيكتور هيجو*. عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع 1985.**

3 - **عبدالمطلب صالح : *مباحث في الادب المقارن*. بغداد، دار الشؤون الثقافية 1987.**

4 - **عبدالمطلب صالح : *موضوعات عربية في ضوء الادب المقارن*. بغداد، دار الشؤون الثقافية 1987.**

5 - **محمد غيمي هلال : *الرومانسية*. القاهرة، دار الثقافة.**

الدوريات

1 - ***افاق عربية*. مجلة شهرية. العدد الخامس يناير 1977 . بغداد، مؤسسة رمزي للكتاب.**

2 - ***الفيصل*. مجلة شهرية ، العدد 87 ، يونيو 1984 . الرياض، دار الفيصل للثقافة.**

3 - ***الفيصل* . مجلة شهرية ، العدد 105 ديسمبر 1985 . الرياض، دار الفيصل للثقافة.**

4 - ***الفيصل* . مجلة شهرية ، العدد 151 اغسطس 1989 . الرياض، دار الفيصل للثقافة.**

5 - ***مجلة التربية والعلم*. العدد 10 ، كلية التربية ، جامعة الموصل.**

6 - ***مجلة التربية والعلم*. العدد 19 ، كلية التربية ، جامعة الموصل.**

<u>كتب عربية متنوعة</u>

1 - ابن القيم : *الروح*. دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع. بغداد، 1988.

2 - ابن فرج الانصاري القرطبي: *التذكرة في احوال الموتى وامور الاخرة*. بغداد، مكتبة النهضة العربية 1985.

3 - ابن كثير : *تفسير ابن كثير* ، ج3 . القاهرة، دار احياء الكتب العربية.

4 - الامام ابن عباس : *الاسراء والمعراج*. بيروت، دار العلوم الحديثة1982.

5 - اندري كريسون: *روسو ، حياته ، فلسفته ، منتخبات*، ط3 ، ترجمة نبيه صقر. بيروت، عويدات 1982.

6 - زكرد هانكة : *شمس العرب تسطع على الغرب*. الدار البيضاء، دار الافاق الجديدة 1991.

7 - زكي الدين المنذري: *تهذيب الترغيب والترهيب*، ج1. الزرقاء، الاردن، الوكالة العربية للتوزيع 1990.

8 - سعد زغلول عبدالحميد : *تاريخ الحضارة الاسلامية العربية*. الكويت، ذات السلاسل 1986.

9 - سعيد الواش : *مكونات الادب المقارن* في العالم العربي. بيروت، الشركة العالمية للكتاب 1987.

10 - عبدالحليم محمود : *اوربا والاسلام*. بيروت، المكتبة العصرية.

11 - عماد الدين اسماعيل ابو الفداء: *المختصر في اخبار البشر*. القاهرة، المطبعة الحسينية.

12 - عبد المطلب صالح: *دراسات عربية مقارنة*. بغداد، دار الشؤون الثقافية 1994.

13 - فتحي عثمان: *مع المسيح في الاناجيل الاربعة*. القاهرة ، مكتبة وهبة.

14 - كارل بروكلمان : *تاريخ الشعوب الاسلامية*، ترجمة نبيه امين فارس، منير البعلبكي. بيروت، دار العلم للملايين 1979.

15 - مجموعة باحثين: *اثار العرب والاسلام في النهضة الاوربية*. القاهرة، دار الهيئة العامة 1970.

16 - محمد حسين هيكل : *حياة محمد*. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية. 1968.

17 - محمد صالح البنداق : *المستشرقون وترجمة القرآن الكريم*. بيروت، دار الافاق الجديدة 1983.

18 - محمد عبدالله عنان: *الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ط*2. القاهرة، مؤسسة الخانجي 1961.

19 - محمد فؤاد عبد الباقي : *المعجم المفهرس لالفاض القرآن الكريم*. بغداد، دار الفكر للكتاب والنشر والتوزيع 1981.

20 - مراد هوفمان : *الاسلام كبديل*. ترجمة غريب محمد غريب. الكويت، بافاريا 1993.

21 - نجيب العقيقي : *المستشرقون*، الجزء الاول. القاهرة، دار المعارف 1964.

22 - نوستراداموس: *تنبؤات نوستراداموس*، ترجمة جميل حمادة. بغداد، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان 1989.

المخطوطات

1 - وثائق مجموعة من قبل عبدالمطلب صالح (متوفي) في الملف المعنون "*عدة مقالات ادبية ولغوية* ".

2 - وثائق مجموعة من قبل عبدالمطلب صالح (متوفي) في الملف المعنون "*مواد مهمة عن الاستشراق والعرب وعن هيجو وغيره*".

المقابـــلات

1 - **مقابلة مع الشيخ عبدالوهاب الاعظمي ؛ امام وخطيب جامع مصعب بن عمير اجريت في بغداد في منزل الشيخ بتاريخ 19 يونيو 1999.**

2 - **مقابلات مع الاب ميشيل ، اجريت في بغداد في كنيسة الكرامل بتاريخ 29 مايو و 9 اكتوبر 1999.**

القنوات التلفزيونية

قناة الحرية الفضائية في 9 اب 2008

مواقع الانترنت

1. **http://www.baitona.net/forum/**
2. **http://www.shattalarab.com/vb/shatt23893.html**
3. **http://www.tafsir.net/vb/archive/index.php?t-4167.html**

II / المراجع الاجنبية

I. ŒUVRES DE BASE

Hugo (Victor) Œuvres Poétiques Complètes, avec un *avant propos* de Robert Goffin. Montreal, ed. Bernard Valiquette 1944.
Hugo (Victor) Poésies. 3 tomes, préface dc Jean Gaulmier, représentation et notes de Bernard Leuilliot. Paris, éd du Seuil 1972.
Hugo (Victor) Œuvres Poétiques. I. avant i'exil, 1802-1851, préface par Gaëan Picon, édition établie et annotée par Pierre Albouy. Paris, Bibliothèque de la Pléiade, éd. Gallimard 1964.

Hugo (Victor) Œuvres Poétiques. II. Les Châtiments, les Contemplations, édition établie et annotée par Pierre Albouy, Bibliothèque de la Pléiade, éd. Gallimard, Paris 1967.
Hugo (Victor) La Légende des Siècles, La Fin de Satan-Dieu. texte établi et annoté par Jacques Truchet., Paris , Bibliothèque de la Pléiade éd. Gallimard, 1950.
Hugo (Victor) Odes et Ballades, Les Orientales, chronologie etintroduction par Jean Gaudon. Paris, éd. Garnier-Flammarion 1968.
Ces éditions englobent toutes les œuvres poétiques de Hugo qui sont de 22 recueils:

1. Œuvres d'Enfance et de Jeunesse.
2. Odes et Ballades.
3. Les Orientales.
4. Les Feuilles d'Automne.
5. Les Chants du Crépuscule.
6. Les Voix Intérieures.
7. Les Rayons et les Ombres.
8. Les Châtiments.
9. Les Contemplations.
10. La Légende des Siècles. (3 tomes)
11. Les Chansons des Rues et des Bois.
12. L'Année Terrible.
13. Les Années Funestes.
14. L'Art d'Etre Grand-Père.
15. Le Pape.
16. La Pitié Suprême.
17. Religions et Religion.
18. L'Ane.
19. Dieu.
20. La Fin de Satan.
21. Les Quatre Vents de 1'Esprit.
22 Toute la Lyre.

II.ŒUVRES D'AUTRES ECRIVAINS

Lamartine (Alphonse de) Les Grands Hommes de l'Orient. Paris, éd. Librairie Internationale 1865.

Voltaire. Dictionnaire Philosophique. Bourges, éd. Andry Tardy 1961.

Voltaire Mahomet the Prophet or Fanatism, translated, with an introduction by Robert L. Myers. éd. Fredrick Ungar Publishing 1964.

III. ŒUVRES PARTICULIERS CONSACRES A HUGO

Aragon (Louis) Hugo, Poète Réaliste. Paris, éd. Sociales, 1952.

Barrère (Jean Bertrand) Hugo l'Homme et l' œuvre. Paris, éd. Hatier 1952.

Berret (Paul) La Légende des_Siecles de Victor Hugo. Paris , éd. Mellotte, 1945.

Berret (Paul) Le Moyen-Age Européen dans La Légende des Siècles et les Sources de Victor Hugo. éd. Henry Paulin, Paris 1911.

Bonneville (George) La Légende des Siècles. Etude et analyse. Paris, éd. Bordas Paris 1985.

Buchanan (M. Donald W.) Les Sentiments Religieux de Victor Hugo. 1825-1848. ed. Imprimerie de 1'Est, Besançon 1939

Chakhachiro (Omar) Proche et Moyen Orient dans l'œuvre de Victor Hugo. Paris, éd. Jouve & Cie 1950,

Dubois (I'abbé Pierre) Victor Hugo. ses Idées Religieuses, 1802-1825. Paris, éd. Champion 1913.

Flottes (Pierre) L'Eveil de Victor Hugo. 1802-1822. Paris , éd. Gallimard 1957.

Gamarra (Pierre) La Vie Prodigieuse de Victor Hugo. Paris, Temps Actuels 1985.

Gasiglia (Daniel) Victor Hugo, sa Vie, son œuvre. Paris, éd. Imprimerie Moderne de 1'Est 1984.

Gely (Claude) Hugo et sa Fortune Littéraire. Bordeaux, éd. Ducros 1970.
Gely (Claude) Victor Hugo. Poète de 1'lntimité. Paris, éd. Nizet, 1969.
Guillemin (Henri) Hugo. Paris, éd. du Seuil 1988.
Guimbaud (Louis) Les Orientales de Victor Hugo. Amiens, éd. Edgar Malfere 1928.
Hugo (Victor) Journal. 1830-1848. Publié et présenté par Henri Guillemin. Paris, éd. Gallimard 1854.
Hugo (Victor) La Peine de Mort, morceaux choisis. Paris, éd. Librairie Paul Ollendorf, (sans date).
Hugo (M[mc] Victor) Victor Hugo Raconté par un Témoin de sa Vie (1818- 1821), éd. J. Hetzel, Paris (saris date).
Lecceur (Charles) La Philosophie Religieuse. de Victor Hugo. Dole, (Jura) éd. Bordas 1951.

Legay (Tristan) Victor Hugo Juge par un Siècle. Paris, éd. de "La Plume" 1918
Maurois (Andre) Olympio ou la Vie de Victor Hugo. Paris, éd. Hachette, 1954.
(Œuvre collective) Tombeau de Victor Hugo, éd. Quintette, Paris 1985.
Souchon (Paul) Les Prophéties de Victor Hugo. Paris, éd. Jules Tallandier 1945

IV.OUVRAGES GENEKAUX TRAITANT PARTIELLEMENT DE HUSO

Brandes (G.) L'Ecole Romantique en France, traduit de l'allemand par Topin (A). Paris, éd. A. Michalon 1902.
Brunel (Pierre) Histoire de la Littérature Française XIX[e] et XX[e] Siècles. Paris, ed. Bordas, Paris 1986.
Calvet (J) Les Poètes du XIX[e] Siècle. Paris, éd. J. De Gigord 1933.

Clouard (Henri) La Composition Française Préparée. Paris, éd Didier 1967.

El-Nouty (Hassan) Le Proche Orient dans la Littérature Française de Nerval à Barrès. Paris, éd. Librairie Nizet 1958.

Fayolle (Roger) La Critique. Paris, éd. Librairie Armand Colin 1978.

Gautier (Téophile) Histoire du Romantisme. Paris, éd. Flammarion, (sans date).

Haedens (Kleber) Une Histoire de la Littérature Française. Paris, éd. Sfelt, 1949.

Hussein (Moenis Taha) Préface de l'Islam dans la Littérature Romantique en France. le Caire, éd. Dar alma'aref 1960.

Jossua (Jean-Pierre) Pour une Histoire Religieuse de I'Expérience Littéraire,Tom I. Paris, éd. Beauchesne 1985.

Juin (Hubert) Lectures du XIX^{e} Siècle. Paris, éd. Union Générale d'Editions 1976.

Lanson (Gustave) Histoire de la Littérature Française. Paris, éd. Brodard-Taupin 1960.

Moreau (Pierre) Le Romantisme. Paris, éd. Del Duca 1962.

(Œuvre collective) Le Romantisme et les Lettres. Paris, éd. Montaigne 1929.

Saulnier (V. L.) La Littérature Française du Siècle. Romantique. Paris, éd. Presses Universitaires de France 1961.

Thibaudet (Albert) Histoire de la Littérature Française, de 1789 à nos Jours. Paris, éd. Librairie Stock 1936.

VI. DIVERS

Baudot (R. P. Prosper) Les Evangiliques du Prédicateur, manuel homélitique d'Evangile. Lille, éd. Desclée de Brouwer & C[ie] 1923.

Brunel (Pierre), Pichois, Qu'est-ce que la Littérature Comparée. éd.
(Cl.), Rousseau (A. M.) Armand Colin, Paris 1983.

Hazard (Paul) La Crise de la Conscience Européenne. Paris, éd. Boivin & C[ie] 1935.

Jourda (Pierre) L'Exotisme dans la Littérature Française depuis Chateaubriand, du Romantisme à 1939. Paris, éd. Presses Universitaires de France 1954.

Michelet Histoire de la Révolution Française. Paris, éd. Bibliothèque de la Pléiade, Gallimard 1952.

Schwab (Raymond) La Renaissance Orientale. Paris, éd. Payot 1950.
Van Tieghem (Paul) la Littérature Comparée. Paris, éd. Librairie Armand Colin 1951.
Veron (Eugène) L'Esthétique. Paris, éd. Alfred Costes 1921.

الفهرست

الإسلام في شعر فيكتور هيجو



عمان - العبدلي - مركز جوهرة القدس التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٥٩٨٩١ - خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٥٧٤٧٤٦٠ - ٠٠٩٦٢ ٧ ٩٦٢٩٥٤٥٧
ص.ب ٩٢٧٤٨٦ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: dar_jenan@yahoo.com

الإسلام في شعر فيكتور هيجو

هيجاء قحطان أحمد الحمدان